نشأة الحركة الإباضية

تأليف

الدكتور عوض خليفات

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

تصـــــدير

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد استرعى انتباهي ـ مـذ كنت طالبـا في السنة الجامعية الأولى ـ موضوع الفرق الاسلامية، تاريخا وعقيدة · ومع توالي الأيام والسنين أدركت خطورة الدور الذي لعبته هذه الاحزاب والفرق في التاريخ الاسلامي ، ابتداء من الفتنة في عهد الخليفة عثمان وحتى يومنا هذا ·

وقـد حاولت في هذا الكتاب أن ألقي الضوء على بعض الجوانب الخاصة باحدى هذه الفرق ، وهي الفرقة الاباضية التي نجحت في تكوين دول خاصة بها كان لها دور هام في التاريخ الاسلامي · واخترت فترة التكوين والتأسيس في البصرة ، وهي الفترة المعروفة عند الاباضية باسم طور الكتمان ، وذلك لان هذه الحقبة من تاريخ الاباضية لم تحظ بدراسات عميقة ، ولم يصدر ـ فيما أعرف ـ أي بحث متخصص في هذا الموضوع · وقد انبريت لهذا العمل يحدوني الأمل بأن أؤدي واجبا نحو جانب هام من تراث أمتنا المجيدة · واضعا نصب عيني أن تاريخنا كله ملك لنا ، ويجب أن لا نغض الطرف عن أي جزء أو فترة منه ·فما هو جيد يجب أن يكون لنا مثلا طيبا وقدوة حسنة ، وما هو سيء يجب ان يكون لنا درسا مفيدا وعبرة واعظة ·

وسيرى القارىء أنني انطلقت في دراسة الموضوع بروح علمية مجردة خالية من الهوى والتعصب · وأثبت مـا توصلت اليـه نتيجة الـدرس والاستقصاء والمقارنة والتحليل ، وأفدت من الكتب والمؤلفات الاباضية على اختلافها وتنوعها · وعلى الرغم من ذلك فلا أجزم أن الزلل والخطأ قد فارقاني في كل رأي قلته أو نتيجة توصلت اليها رغم اجتهادي في تجنبهما ما استطعت· ولكنني على يقين من أن هذه الدراسة ستثير اهتمام الباحثين في التاريخ الاسلامي ، آملا منهم أن ينبهوني الى مواطن الزلل والخطأ ، ويدلوني على الطريق الصحيح ان كنت قد أخطأت السبيل ·

المؤلف
عوض خليفات

عمــان

كانون ثاني ١٩٧٨

ثبت المحتويات

الباب الاول

المصادر والدراسات الحديثة ـ عرض وتحليـــل

الفصل الاول ـ المصادر

الفصل الثاني ـ الدراسات الحديثة

الفصـــل الاول

المصادر ـ عرض وتحليــل

لم تحظ الحركة الاباضية في طورها الاول باهتمام المؤرخين والمفكرين المحدثين وذلك لندرة المعلومات الواردة في المصادر المنشورة أو المخطوطات المعروفة ـ باستثناء الاباضية ـ ويبدو أن عدم وجود معلومات في المصادر غير الاباضية عن نشأة الحركة وتنظيمها في طورها السري خلال القرنين الاول والثاني الهجريين انما يعود لجهل مؤلفي هذا المصادر بهذا الموضوع · وليس عجيبا ان نر ىمثل هذا النقص لدى غير الاباضية من المؤلفين القدامى ، نظرا للسرية التامة والتقية الدينية التي تبناها رواد الحركة وزعماؤها الاوائل مثل جابر بنزيد الازديوأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمةالتميمي ومنعاصرهما من أئمة الاباضية ومشايخها · ولعل القارىء يتساءل : لماذا وصلتنا معلومات كثيرة عن فرق ودعوات سرية اخرى استعملت التقية وغالت في ذلك الى حـد كبير مثل غلاة الشيعة والاسماعيلية والدعوة العباسية ايضا ، ولم تصلنا مثل هذه المعلومات عن الفرقة الاباضية ؟ من المرجح أن السبب يعود الى أن هذه الفرق قد كتبت عن نشأتها ونظمها وتطورها ووصلت الينا هذه الآثار فعرفنا الكثير من المعلومات عنها · أما الفرقة الاباضية فلم يعط مؤرخوها اهتماما كبيرا لتاريخ الحركة السياسي في فترة الكتمان وكل ما يمكن للباحث أن يفعله هو جمع روايات مبعثرة في ثنايا الكتب الاباضية التي تتكلم عن الفقه والعقيدة الاباضية أو في كتب الطبقات والسير الاباضية التي تتحدث عن أبرز أئمة الحركة ورجالها · ولكننا لا نعثر قط على مؤلف اباضي ألف تاريخا للحركة في طورها الاول · ليس هذا فحسب بل ان المصادر الاباضية تعطي معلومات أقل تفصيلا وأكثر نقصا وأخطاء من المصادر السنية عـن الثورات الاباضية قبل تأسيس الامامة والدول الاباضية · ولعل مرد ذلك يعود الى اهتمام المصادر الاباضية في المقام الاول بالعقائد الاباضية ومحاولة حفظها وتوريثها لاتباع الحركة جيلا بعد جيل · أما الحركـــات السياسية

والنزاع العسكري بين الاباضية ومخالفيهم فلم تنل من المؤرخين الاباضيين اهتماما الا بعد تأسيس دولهم الخاصة بهم في شمال افريقية وفي عمان ·

ولا عطاء صورة واضحة عن أهمية المعلومات الواردة في المصادر المختلفة فقد ارتأينا أن نصنف مصادر تاريخ الحركة الاباضية ـ منذ بداية نشأتها حتى تأسيس الامامة ـ الى مصادر سنية وشيعية واباضية ·

١ ـ **المصادر السنية** : من أهم المصادر السنية التي تزودنا بمعلومات عن التاريخ السياسي للحركة الاباضية في القرن الثاني الهجري **كتاب أنساب الاشراف للبلاذري** ، الذي يعد ـ بلا شك ـ أوفى المصادر وأدقها فيما يتعلق بثورات الاباضية التي تزعمها عبد الله بن يحيى طالب الحق ، وقائده أبو حمزه الشاري في حضرموت واليمن والحجاز ضد مروان الثاني ، آخر خلفاء بني أمية ، والحقيقة أن البلاذري يزودنا بمعلومات مفصلة وافية ودقيقة حول هذا الموضوع حتى ليحس القارىء أنه يتتبع الحوادث ساعة بساعة ·

ومقارنة معلوماته عن ثورة « طالب الحق » بالمعلومات الواردة في المصادر الاباضية حول الموضوع نفسه تظهر بوضوح تفوقه وامتيازه · ويروي البلاذري معلوماته في هذا الصدد عن المدائني وأحيانا باسناد جمعي · ويزودنا خلال حديثه عن هذه الثورة بخطب أبي حمزة الشاري في مكة والمدينة والتي تلقي ضوءا ساطعا على أفكار الاباضية ومبادئهم في تلك الفترة (١) ·

وفي **كتاب فتوح البلدان** ، يزودنا البلاذري بمعلومات متناثرة حول تاريخ الاباضية في المشرق والمغرب وقد أشرنا اليها في ثنايا البحث · أما عن تنظيم الحركة السري في البصرة فان البلاذري لا يمتاز على غيره من المصادر السنية ولا يزودنا بأية معلومات حول هذا الموضوع · ولعل عدم توفر المعلومات لديه كان السبب الرئيسي في احجامه عن الحديث في هذه المسألة ·

ومن المصادر التي تعطي معلومات عن ثورة الاباضية في حضرموت واليمن تاريخ **« خليفة بن خياط »** الذي يورد معلوماته نقلا عن «اسماعيل بن اسحق» الذي نقل بدوره عن « الزنجي بن خالد » الذي كان معاصرا للحوادث ·(٢) وفي

بعض الاحيان يأخذ خليفة عن « المدائني » · وعلى الرغم من ذلك فان الروايات التي أوردها « خليفة » عن ثورة « طالب الحق » مضطربة ولا تكفي وحدها لاعطاء صورة واضحة عن الثورة وطبيعتها · بالاضافة الى ذلك فان

---

١ ـ البلاذري ، **انساب** ، مخطوط ، ج٢ ،ص ٣٧٣ وما بعدها ·

٢ ـ خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢ ، ص٥٨٥ ·

« خليفة » يخطيء في ايراد اسماء بعض القادة والمشايخ الاباضية الذين اشتركوا في الثورة ، ويعطي أرقاما عالية جدا لعدد الجيش الاباضي • ومن جهة أخرى فانه يزودنا بمقتطفات من خطب « أبي حمزة الشاري » في الحجاز ويورد قائمة بأسماء الشخصيات الحجازية والقرشية البارزة التـــي قتلت أثناء المعارك بين الجيش الاموي والاباضية مما يلقي ضوءا على طبيعة العناصر التي اشتركت في الثورة وعلى معارضة قريش لها ولما نادت بـــه مـن مبادىء وأهداف •

ويورد « خليفة بن خياط » بعض المعلومات عن ثورات الاباضية في شمال افريقية ولكنها مقتضبة جدا ومضطربة •

ومن المصادر التي تحدثت عن ثورات الاباضية في الحجاز واليمن **تاريـــخ الرسل والملوك** « للطبري » الذي اعتمد على روايات منقولة عن « موسى بن كثير » مولى الساعديين • ولكن هذه المعلومات ناقصة ومختصرة بالمقارنة مع المادة الغزيرة التي يوردها « البلاذري » في **أنساب الاشراف** •

أما « الازدي » صاحب **كتا بتاريخ الموصل** فيعطي معلومات مختصرة عن ثورة « طالب الحق » • وتكمن قيمة معلوماته في أنه يشير الى اشتراك بعض الاباضية من الموصل في الثورة مما يدل على انتشار الافكار الاباضية هناك في فترة مبكرة •

أما عن ثورات الاباضية ونشاطهم في بلاد المغرب خلال القرنـــين الاول والثاني الهجريين فالمعلومات عنها متوافرة في المصادر السنية • ومن أشهر هـــذه المصادر وأهمها كتاب **تاريخ افريقية والمغرب** المنسوب « للرقيـــق القيرواني » (ت ٤١٧ هـ /١٠٢٦م) • كان « الرقيق » رئيسا لديوان الرسائل في الدولة الصنهاجية وبقي في منصبه نحو عشرين عاما • وكتب مؤلفـــات عديدة حول مواضيع مختلفة (٣) • وقد تناول في أحد هذه الكتب **تاريخ افريقية والمغرب** منذ الفتح الاسلامي حتى بداية القرن الخامس الهجري (٤) • أمـــا القطعة التي وصلت الينا والتي حققها « المنجي الكعبي » وعنونها تاريـــخ افريقيـــة والمغرب • فهـــي تتحدث عـــن تاريخ المغرب الاسلامي منذ ولاية «عقبة بن نافع الفهري» حتى حكم الامير الاغلبي « أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب » (ت ٢٠١هـ / ٨١٧م) • ويزودنا « الرقيق » بمعلومـات دقيقة ومفصلة حول ثورات الاباضية ضد ولاة الامويين والعباسيين ويأخذ الرقيق معلوماته في بعض الاحيان عن اشخاص عاصروا الاحداث واشتركوا

٣ ــ انظر المنجي الكعبي ، مقدمة **كتاب تاريخ افريقية والمغرب** ، ص ٢٢ــ٢٣ .

٤ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

فيهامثل «عمر بن غانم» الذي كان يسكن مدينة القيروان وتقلد بعض المناصب الرسمية ابان ولاية « حنظلة بن صفوان الكلبي » ، كما تولى منصب الحجابة «لعبد الرحمن بن حبيب الفهري» الذي تقلد ولاية افريقية بعد طرده «لحنظلة ابن صفوان» (٥) ، وفي أحيان أخرى يأخذ معلوماته عن «عبدالله بن أبي حسان اليحصبي» الذي يروي عن والده (٦) ، وكان معاصرا للحوادث التي جرت في افريقية خلال النصف الاول من القرن الثاني الهجري ، وهي الفترة التي شهدت ثورات الاباضية ضد الحكم الاموي والعباسي هناك ، ويقتبس « الرقيق » عن مؤلفين مشهورين آخرين مثل « المدائني » «والزبير بن بكار » « وعمر بن سلام » « وأبي عثمان المعافري » وغيرهم (٧) ،

وفي الحقيقة ، فان روايات « الرقيق » تعد أوفى ما وصل الينا عن تاريخ افريقية والمغرب السياسي بشكل عام وثورات الخوارج الصفرية والاباضية هناك بشكل خاص ، الا أن القطعة التي وصلتنا يعتورها بعض النقص أحيانا (٨) ، كما أن الرقيق كغيره من مؤرخي السنة (باستثناء ابن الصغير) ، يجهل التنظيم السري للحركة الاباضية ولا يزودنا في كتابه هذا بأية معلومات في هذا الشأن ولا يشير الى كيفية ورود المذهب الى شمال افريقية وانتشاره بين سكانه وخاصة البربر منهم ،

ومن المصادر الهامة عن تاريخ الاباضية في شمال افريقية كتاب **تاريخ الائمة الرستميين** « لابن الصغير المالكي » ، ونحن لا نعرف عن مولد ابن الصغير ونشأته شيئا ذا قيمة ، سوى انه كان يسكن مدينة « تاهرت » عاصمة الدولة الرستمية الاباضية التي أسسها « عبد الرحمن بن رستم » عام ١٦٢ هـ بعد كفاح مرير (٩) ،

وقدعاصرهذا المؤلف فترة من تاريخ تلك الدولة ، ويبدو أنه توفي قبل سقوطها عام ٢٩٧ هـ على أيدي الفاطميين ، والدليل على ذلك أن كتابه ينتهي بامامة «أبي حاتم يوسف بن محمد» المتوفى عام ٢٩٤هـ ، عاش « ابن الصغير » في حي الرهادنة في تاهرت حيث كان يملك دكانا فيه (١٠) ، واتخذ من مسجد ذلك الحي مكانا لدروسه ومناظراته مع الاباضية واتباع الفرق

---

٥ ـ الرقيق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ،
٦ ـ المصدر نفسه ، ص ١٠٧ ،
٧ ـ المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ،
٨ ـ انظر مثلا ص ١٤٢ ،
٩ ـ انظر ، الباب السابع ، الفصل الثالث ،
١٠ ـ ابن الصغير ، ص ٤٦ ،

والمدارس الاسلامية الاخرى كالمعتزلة • ويعتبر كتاب « ابن الصغير » أقدم مؤلف كامل وصل الينا عن تاريخ الاباضية في شمال افريقية وخاصة تاريخ الدولة الرستمية • وقد اعتمد في معلوماته على رواة من الاباضية نقلوا اليه معلوماتهم التي ورثوها عن أسلافهم ممن عاصروا الحوادث أو اشتركوا فيها • وقد تحدث ابن الصغير باسهاب عن تأسيس مدينة تاهرت وتاريخ الائمة الرستميين ، كما تكلم عن انقسام الحركة الاباضية في شمال افريقية الى فرق مختلفة • وتعد معلوماته حول هذه المواضيع أقدم وأفضل ما وصل الينا • ولا يذكر اسماء رواته الا نادرا ، وممن ذكرهم شخص يدعى «أحمد بن بشير» وهو اباضي عاش في تاهرت (١١) • وقد نقل بعض معلوماته عن كتاب وقع في يده من تأليف الامام الرستمي « عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم » (ت ٢٠٨هـ / ٨٢٤م) أجاب فيه على مسائل أشكلت على اباضية جبل نفوسة• وقد سمي الكتاب فيما بعد **مسائل نفوسة الجبل** ، وكان الاباضية يتوارثونه ويدرسونه بعمق وروية • وقد حصل عليه « ابن الصغير » من أحد أفراد العائلة الرستمية واستفاد منه • وبذلك يقول ابن الصغير : « ••• وكان هذا الكتاب في أيدي الاباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه ••• فأخذته عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه (١٢) •

كان « ابن الصغير » سنيا مالكيا على الرغم من أن عواطفه مع علي بن أبي طالب لا تخفى على من يقرأ كتابه (١٣) • الا أن هذه العاطفة لم تجعل منه شيعيا كما يرى المستشرق البولندي ليفتسكي Lewicki (١٤) • وأيا كان اتجاهه ومهما كان شعوره نحو أية شخصية اسلامية مرموقة فالثابت من كتابه أنه كان مؤرخا نزيها يتحرى الحق ويقوله ويبدي تقديره ويفصح عن أعجابه بالائمة العادلين من الرستميين رغم عدم قناعته بالمذهب الذي ينتمون اليه • وقد شرح ابن الصغير أسلوبه ومنهجه في العبارة التالية : « ••• وكانت لهم (الاباضية) قصص حكوها لا يمكن ذكرها الا على وجه ، وان تم الصدق فيها ولا أحرفها على معانيها ولا أزيد فيها ولا أنقص منها اذا النقص في الخبر والزيادة فيه ليس من شيم ذوي المروءات ، ولا من أخلاق ذوي الديانات• وان كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين ولمذاهبهم مستقلين•

---

١١ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٤ ــ ٤٥ •

١٢ ــ المصدر نفسه ، ص ١٧ •

١٣ ــ انظر مثلا ص ١٠ من كتابه حيث يعيب على الاباضية براءتهم من علي بن ابي طالب ولكنه لم يتطرق اطلاقا لبراءتهم من عثمان وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة •

١٤ ــ T. Lewicki, "les historiens, biographes et traditionnists ibadites - wahbites de l'Afrique du Nord VIIle au xvi' siecle", **Folia Orientalia**, vol. 3 (1951 - 2), pp. 105 - 6.

فنحن وان ذكرنا سيرهم على ما اتصل بنا وعدلهم فيما ولوه فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم ولا حسن سيرهم لما نعلمه من براءتهم ممن والاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » (١٥) . وقد تقيد ابن الصغير بهذا المنهج الذي اختطه لنفسه ، واعترف بفضله وعلمه مؤرخو الاباضية أنفسهم واعتبروه مصدرا أساسيا لمعلوماتهم عن الدولة الرستمية . وممن فعل ذلك المؤرخ الاباضي المعروف « أحمد بن سعيد الشماخي » (١٦) .

أما ما يخص موضوع بحثنا فان ابن الصغير يعطي معلومات جيدة حول العلاقة بين التنظيم الاباضي في البصرة وبين أتباعه في شمال افريقية ، ويتحدث عن المراسلات السرية والمعونات المادية التي كان يرسلها اباضية البصرة لاخوانهم في شمال افريقية (١٧) .

وثمة مصدر سني آخر هام يزودنا بمعلومات جيدة عن حركات الاباضية وثوراتهم ودولهم في بلاد المغرب وهو كتاب البيان المغرب لابن عذارى . ويعتبر هذا الكتاب أهم مصدر وصل الينا عن تاريخ بلاد المغرب بشكل عام . وقد نقل ابن عذارى عن كثير ممن سبقه من المؤلفين المشارقة والمغاربة وان كان اعتماده على المصادر المغربية أكثر . وقد أشار الى بعض مصادره في الجزء الاول من كتابه (١٨). كما اقتبس من مؤلفين آخرين يشير اليهم في ثنايا كتابه . أما عن ثورات الاباضية في القرن الثاني الهجري فيبدو اعتماده على الرقيق القيرواني واضحا ، وأحيانا نجده يكرر روايات الرقيق حرفيا . ويمتاز ابن عذارى في انه زودنا بالمعلومات الناقصة الموجودة في الاوراق المفقودة من كتاب الرقيق الذي اشرنا اليه سابقا . ويعطي ابن عذارى تواريخ دقيقة للحوادث التي يتكلم عنها . ولذا فان ابن عذارى يعد من أفضل مصادرنا عن حركات الخوارج بشكل عام والاباضية على وجه الخصوص خلال الفترة الاولى من تاريخ حركتهم في شمال افريقيه .

أما النويري صاحب كتاب نهاية الارب فقد أفرد الجزء الثاني والعشرين من مؤلفه الضخم للحديث عن تاريخ المغرب والاندلس . وقد طبع هذا الجزء في غرناطة عام ١٩١٧م . ويورد المؤلف في هذا السفر معلومات قيمة عن ثورات الاباضية ومحاولاتهم المستمرة لتأسيس الامامة الاباضية في بلاد المغرب خلال القرن الثاني الهجري .

---

١٥ — ابن الصغير ، ص ١٠ .

١٦ — شماخي ، سير ، أنظر مثلا ص ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٦٢ — ٢٦٣ .

١٧ — ابن الصغير ، ص ١٠ — ١٢ .

١٨ — ابن عذارى ، ج١ ، ص ٢ — ٣ .

ويزودنا ابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ بمعلومات مماثلة • ويبدو أن كلا المؤلفين (النويري وابن الاثير) قد استفادا من كتاب الرقيق القيرواني• ومقارنة المعلومات الواردة فيهما بما ورد في كتاب الرقيق تظهر تشابهها واضحا في كثير من الروايات • وربما اعتمد المؤلفان أيضا على مصادر أخرى أقدم مثل محمد بن يوسف الوراق (ت ٣٦٣هـ) الذي يعتبر أفضل من كتب عن تاريخ افريقية والمغرب الا أن كتبه ضاعت ولم يصلنا منها الا شذرات مبعثرة في صفحات الكتب المتأخرة •

ومن المؤلفات الهامة التي تعطي معلومات قيمة عن اباضية شمال افريقية كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، للجغرافي المعروف البكري (ت ٤٨٧ هـ) وهو من أفضل الكتب التي تزود القارىء بمعلومات جيدة عن علاقة اباضية المغرب ببلاد السودان وافريقية السوداء • ويحوي كتابه فقرات تاريخية هامة تكشف عن بعض الحقائق حول تسرب الحركتين الاباضيــة والصفرية الى شمال افريقية • وهو المصدر الوحيد من بين المصادر المتوافرة – سنية وشيعية واباضية – الذي يذكر أن سلمة بن سعد الحضرمي ، أول داعية اباضي الى شمال افريقية ، قد وصل القيرواني قبل عام ١٠٤هـ • وهذا يلقي ضوءا على تاريخ تسرب الحركة الى تلك المنطقة (١٩) •

ولا يستطيع باحث في تاريخ افريقية والمغرب الاستغناء عن تاريخ ابن خلدون (٢٠) ، الذي يزودنا بمعلومات قيمة عن تاريخ الاباضية في شمال افريقية ، الا انه يخطيء كثيرا في التواريخ ويمتاز بعدم الدقة في ضبط الاسماء البارزة التي اشتركت في الحوادث • كما انه غالبا ما يخلط بين الاباضية والصفرية • ويجب أن تؤخذ معلوماته بحذر شديد • وعلى الرغم من ذلك فانه يمدنا بمعلومات فريدة لا نجدها في المصادر الاخرى حول مواطن القبائل البربرية وانتماءاتها ومعتقداتها معتمدا في ذلك على رواة من البربر• وتفيد هذه المعلومات في معرفة مناطق انتشار المذهب الاباضي وأسباب انتشاره فيها ومدى علاقة الهوية القبلية في تحديد المذهب الديني • وتفيد هذه المعلومات أيضا في معرفة أثر العصبية القبلية بين البربر في انتشار هذا المذهب أو ذاك بين أفراد قبيلة معينة •

ومن المصادر السنية الاخرى التي تمدنا بمعلومات مفيدة عن تسرب الحركة الاباضية الى شمال افريقية كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم الذي يزودنا ببعض الروايات الفريدة في هذا الصدد وقد أشرنا اليها في الصفحات المعنية من هذا البحث • وكذلك كتاب رياض النفوس للمالكي وكتاب أخبار مجموعة

---

١٩ – البكري ، ص ٢٨٤ .

٢٠ – يصنفه محمد اسماعيل عبد الرازق ضمن مؤلفي الشيعة . انظر محمد اسماعيل عبد الرازق ، **الخوارج في بلاد المغرب** ، ص ١٤ .

لمؤلف مجهول وغيرها من المؤلفات الاخرى التي أخذنا منها بعــد تمحيص وتدقيق والتي سيلحظها القارىء في ثنايا البحث ٠

وقد رجعنا أيضا الى كتب التراجم والرجال ، المشرقية منها والمغربية ، وأخذنا منها في حديثنا عن نشأة الحركة الاباضية وخاصة عن جابر بن زيد الازدي الذي يعتبره الاباضية مؤسسا لمذهبهم بينما يعتبره السنة مـــن الفقهاء والمحدثين البارزين الثقات ٠

أما كتب المقالات والملل والنحل فتتحدث ـ كما هو معروف ـ عن الفــرق الاسلامية المختلفة وتتعرض للحديث عن الديانات الاخرى غير الاسلامية ٠ ويجب أن نستخدمهذه المؤلفات بحذر شديد لان أصحابها تنقصهمالموضوعية ويعوزهم الحياد عندما يتكلمون عن فرق مخالفة لمعتقداتهم ٠ ولا تزودنا هذه الكتب بمعلومات قيمة عن نشأة الحركة الاباضية وتنظيماتها السرية ٠ وما أوردته هذه المصادر من معلومات لا تمت في معظمها للاباضية ولا علاقة لهم بها ٠ واذا استثنينا عبد الله بن أباض فان كتب المقالات لا تورد أيـــة معلومات عن أئمة الاباضية ومشايخها مثل جابر بن زيد الازدي ، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، والربيع بن حبيب وغيرهم ٠ ولعل السبب في ذلك يعود الى جهل مؤلفي هذه الكتب بدور هؤلاء الاعلام البارزين في الفرقة الاباضية ٠ وحتى عبد الله بن اباض فان المعلومات عنه مشوشة ومضطربة ولا يمكن الركون اليها (٢١) ٠

واذا قارن المرء بين ماورد من معلومات في هذه الكتب وبين ماورد في المصادر الاباضية سواء كانت تاريخية أم كتب فقه وعقائد يلاحظ أن هؤلاء المؤلفين قد نسبوا الى الاباضية آراء ومعتقدات غريبة لا يقر بها أتباع هذه الفرقة ٠ كما أنهم تكلموا عن فرق اباضية لا نجد لها ذكرا على الاطلاق في المصادر الاباضية ، على اختلافها وتنوعها ، مثل الفرقة اليزيدية التي ينسبها أبو الحسن الاشعري الى يزيد بن أنيسة ٠ والحقيقة أن آراء اليزيدية كما أوردها الاشعري بعيدة جدا عن مبادىء الاباضية بل هي خارجة عن المبـــادىء الاسلامية (٢٢) ٠

ويبدو من المعلومات التي توردها هذه المصادر أن مؤلفيها كانوا يجهلون تماما نشأة الحركة وتطورها ، وما أشاروا اليه من آراء منسوبة لهذه الفرقة لا يعتبر ذا أهمية وخاصة اذا تذكرنا أن هذه المعلومات مشوهة ومتحيـــزة

---

٢١ ــ انظر الباب الرابع ٠

٢٢ ــ الاشعري ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ ٠

وتفتقر الى الدقة والمعرفة العميقة . ويمكن القول : ان هذه الكتب قد أصابت الاباضية بكثير من الاذى والتشنيع قد لا يكون مقصودا في بعض الاحيان ولكنه موجود . وقد أدت هذه الكتابات الى ازدياد الفجوة بين الاباضية واتباع المذاهب الاسلامية الاخرى . ولا يصح الاعتماد عليها لتكوين فكرة صحيحة عن نشأة الحركة وتطورها وعن فهم آرائها ومبادئها . وقد أدرك أحد مؤلفي هذه الكتب وهو أبو الحسن الاشعري عدم دقة المعلومات الواردة في هذه المصادر وصدق حينما قال : « .. ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ، ويصنفون في النحل والديانات ، من بين مقصر فيما يحكيه ، وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه ، ومن بين معتمد للكذب في الحكاية ارادة التشنيع على من يخالفه ، ومن بين تارك للتقصي لروايته فيما يرويه ، من اختلاف المختلفين ، ومن بين من يضيف الى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به » (٢٣) . رغم هذا القول فان الاشعري نفسه قد وقع في نفس الاخطاء التي ذكرها كما فعل غيره ممن تصدى للكتابة عن الفرق الاسلامية . ومن هنا فان الاعتماد على هذه المؤلفات حول نشأة الاباضية لا يضيف الى الصورة الا تشويها ولا يزيد الامر الا تعقيدا .

٢ ـ المصادر الشيعية :

ان المصادر الشيعية التي تورد معلومات عن موضوع بحثنا قليلة وليس فيها ما يتعرض للحديث عن البدايات الاولى لقيام الحركة ونشأتها في البصرة في القرنين الاول والثاني الهجريين . ويعتبر **كتاب الاغاني** لابي فرج الاصفهاني من أهم هذه المؤلفات ، اذ أنه يمدنا بمعلومات وافية ومفصلة عن ثورة طالب الحق في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية والحجاز . وينقل معلوماته عن رواة متقدمين وعلى رأسهم المدائني . ويبدو من مقارنة المعلومات التي يوردها مع تلك التي حفظها لنا البلاذرى في **أنسابه** أن هناك تشابها كبيرا بين المصدرين . ولا عجب في ذلك اذ أن البلاذرى ينقل معلوماته ـ كما ذكرنا سابقا ـ عن المدائني (٢٤) .

ويعطي اليعقوبي في **تاريخه** رواية مختصرة ـ بدون سند ـ عن ثورة طالب الحق في اليمن وحضرموت وامتدادها الى الحجاز (٢٥) . ويزودنا في كتابه **البلدان** بمعلومات جيدة عن دول الاباضية المختلفة في المشرق والمغرب وعلاقات كل دولة مع جيرانها . وتكمن قيمة معلوماته في أنه زار المناطق التي تكلم عنها وأخذ مادته من الرجال الثقات الذين التقى بهم في تلك المناطق .

---

٢٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

٢٤ ـ انظر بلاذري ، **انساب** ، ج٢، ص ٣٧٣ وما بعدها ، ابو الفرج ، **الاغاني** ج٢٠ ، ص٩٧ وما بعدها .

٢٥ ـ اليعقوبي ، **تاريخ** ، ج٢ ، ص ٤٠٦ .

وقد عبر اليعقوبي عن منهجه هذا بقوله : « ... وقد اتصلت أسفاري ودام تغربي ، فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره وبلده وساكنيه ودياناتهم ومقالاتهم ثم أثبت كل ما يخبرني به من أثق بصدقه » (٢٦) .

وقد أورد ابن حوقل معلومات جيدة عن مدينة تاهرت ، عاصمة الرستميين ، وعلاقتها ببلاد السودان . وتلقي معلوماته في هذا الشأن بعض الضوء على الحركة التجارية بين بلاد المغرب وافريقية السوداء أو ما تسميه المصادر بلاد السودان .

ومن المصادر الشيعية الهامة التي تعطي معلومات مستفيضة عن بعض الفرق الاباضية في شمال افريقية **كتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت ٦٢٨هـ) الذي يعتبر بحق مصدرا جيدا عن فرقة النكار الاباضية وزعيمها أبي يزيد مخلد بن كيداد (٢٧) . ويبدو من مقارنة معلوماته بالمصادر السنية والاباضية نزاهته وعدم تحيزه فيما يتعلق بهذا الموضوع .

وعلى الرغم من أنه لا يذكر مصادره فمن المحتمل أنه أخذ رواياته في هذا الشأن عن مؤلفين قدامى ليسوا شيعة . ويرى فاندر هيدن أن ابن حماد قد اعتمد في معلوماته ، عن ثورة أبي يزيد ، على الرقيق القيرواني .

٣ ـ المصادر الاباضية :

على النقيض من الفرق الخارجية المتطرفة فقد خلف الاباضية تراثا ضخما في التاريخ والسير والعقائد . ولكن القسم الاعظم لا يزال مخطوطا ومحفوظا في دور كتب خاصة يملكها أتباع الفرقة في عمان وزنجبار وشمال افريقية ومن الصعب الوصول اليها . وهناك مجموعات لا بأس بها محفوظة في المتاحف ودور الكتب المعروفة مثل مكتبة المتحف البريطاني (المكتبة البريطانية حاليا) ودار الكتب المصرية . وقد استفدنا من هذه المخطوطات كما استطعنا الاطلاع على مخطوطات أخرى يملكها بعض الافراد في شمال افريقية وعمان. ومن أهم هذه المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا :

كتاب السيرة وأخبار الائمة ، لابي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . ولا يزال الكتاب مخطوطا

---

٢٦ ــ اليعقوبي ، **بلدان** ، ص ٣٥٨ .
٢٧ ــ نشر الكتاب المستشرق فاندرهيدن M. Voderheyden عام ١٩٢٧م.

وتوجدمنهنسخةفيدارالكتب المصرية ونسخةاخرىفيالمتحفالوطنيالبولوني ٠ ولكن مخطوطة دار الكتب أقدم تاريخا وأكمل ٠ ولعل هناك نسخا أخرى في المكتبات الخاصة الاباضية في شمال افريقية وعمان ٠ وقد ترجمت المخطوطة الى الفرنسية مرتين (٢٨) ٠

عاش أبو زكريا في وارجلان بعد سقوط الامامة الرستمية على يد الفاطميين عام ٢٩٧ هـ ، ومن المحتمل أنه عاصر آخر أيامها ٠ وقد أسهب في كتابه عن تاريخ الدولة الرستمية ، ويبدو أن المؤلف قد وضع كتابه أصلا لهذا الغرض٠ ويعتبر هذا المصدر من أقدم كتب السير الاباضية التي وصلتنا من شمال افريقية ٠ وقد اعتمد عليه كثير من المؤلفين الاباضيين المتأخرين مثـــل الوسياني والدرجيني والشماخي وغيرهم ٠ ويبدو أبو زكريا متعصبا لبعض القوميات وخاصة الفارسية التي تنسب اليها الاسرة الرستمية ٠

وقد أورد كثيرا من الاحاديث المنسوبة الى الرسول الكريم صلى الله عليــه وسلم تمجد الفرس وتشيد بدورهم في نصرة الاسلام والمسلمين (٢٩) ٠ أمــا معلومات المؤلف حول الفترة الاولى من تاريخ الحركة الاباضية في البصرة فهي نادرة ٠ ولكنه يمدنا بمادة يسيرة عن علاقة التنظيم الاباضـــي في البصرة بالدعاة في شمال افريقية (٣٠) ٠ ويبدو أن رواياته مأخوذة عن مصادر قديمة قد يكون أصحابها معاصرين للحوادث ، الا أنـــه يكثر من ايراد الاساطير والكرامات المنسوبة الى الائمة والمشايخ الاباضية في المشرق والمغرب ٠ وعلى الرغم من هذه الهنات فان سيرة أبي زكريا تعتبر ، بـــدون شك ، مصدرا أساسيا هاما عن تاريخ الحركة الاباضية في بلاد المغرب منذ بداية تسربها الى تلك المنطقة حتى سقوط الدولة الرستمية ٠ كما أنه يعطي معلومات جيدة عن علاقة الاباضية بالفاطميين بعد عام ٢٩٧ هـ وهو العام الذي استولى فيه الفاطميون على مدينة تاهرت عاصمة بني رستم٠ ويجد الباحث ايضا مادة قليلة ، ولكن قيمة ، فيثنايا الكتاب عن حركة الخوارج الصفرية في شـــمال افريقية وخاصة عن علاقاتها بالحركة الاباضية ٠

---

٢٨ —
Al-sira wa Akhbar al-A'imma, French translation by E. Masqueray, Algers, 1878; This work is translated anew by R. le Tourneau, **Revue Africaine,** 105 (105) (1961), pp. 117 - 176.

٢٩ — منها حديث منسوب الى الرسول نصه : « لو تعلق الدين بالثريا لنالته رجال من العجم وأسعدهم به فارس » . أنظر أبو زكريا ، ورقة ٤ . وهناك احاديث أخرى على شاكلة هذا الحديث ينثرهـــا المؤلف في صفحات كتابه .

٣٠ — ابو زكريا ، ورقة ٣ — ٤ ورقة ٦ وما بعدها .

وقد خلف لنا المؤلف الاباضي العماني مسلمة بن مسلم العوتبي **كتاب أنساب العرب** الذي يعتبر من المصادر الهامة عن تاريخ الاباضية وتاريخ عمان المحلي ٠

ينتمي العوتبي الى قبيلة الازد العمانية ٠ وقد ولد وعاش في مدينة صحار ، ذلك الميناء العماني الهام ٠ وكان يسكن أحد أحياء المدينة المعروفة باسم عوتب فنسب اليه ٠ ولا نملك معلومات كافية عن حياة المؤلف ولكنه كان حيا في القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي ٠ ويدل على ذلك ترجمته لبعض الاشخاص الاباضية البارزين الذين عاشوا في تلك الفترة ومن بينهم أبو الحسن البسيوي ، العالم الاباضي المشهور الذي توفى في الربع الاول من القرن الخامس الهجري (٣١) ٠

ويعتبر كتاب **أنساب العرب** من أهم المصادر عن أنساب القبائل العربية وبخاصة تلك التي اتخذت من الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية موطنا لها ٠ وقد أعطى المؤلف أهمية خاصة للقبائل القحطانية والعربية الجنوبية (٣٢) ٠ وأسهب في الحديث عن قبيلة الازد التي ينتمي اليها ٠ وأشار الى دورها في نشأة الحركة الاباضية وتطورها في عمان ٠ وأعطى معلومات حسنة عن تسرب الافكار والمبادىء الاباضية الى تلك المنطقة وزودنا بأسماء حملة العلمالذين كان لهم دور كبير في نشر المذهبالاباضي هناك(٣٣)٠ وقدنقل عنه هذه المعلومات من جاء بعده من الكتاب العمانيين مثل الازكوي وسليل ابن رزيق والسالمي وسالم بن حمد الحارثي والبياسي وغيرهم ٠ بالاضافة الى ذلك فان العوتبي يمدنا بمعلومات متفرقة عن تطور الحركة الاباضية في اليمن وحضرموتوعلاقة اباضي عمانباخوانهم فيهاتين المنطقتين ، الا أنه يعطي ـ أحيانا ـ معلومات خاطئة وخاصة عن الاشخاص الذين اشتركوا في الحوادث (٣٤) ٠

---

٣١ ـ العوتبي ، ورقة ١٦٢ ٠ يجدر بالذكر ان البسيوي من المؤلفين الاباضية الكبار ومن مؤلفاته : **الحجة على من ابطل السؤال في الحدث الواقع في عمان** وتوجد منه نسخة اخرى في زنجبار ٠ وهناك ايضا **مختصر** البسيوى المطبوع طبعة حجرية في زنجبار عام ١٣٠٤ هـ ٠

٣٢ ـ اعتمد المؤلف العماني المتأخر ، سليل بن رزيق ، على العوتبي في هذا الموضوع واشار الى ذلك في كتابه **الصحيفة القحطانية** الذي لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخة في رودس هاوس في اكسفورد
(Rhodes House Oxford Mss. Afr. S.3)
انظر ايضا
J. C. Wilkinson, "The Origin of the Omni state",
The Arabian Studies, ed. D. Hopwood, London, 1972, p. 87.

٣٣ ـ العوتبي ، ورقة ١٠١ ، ١٠٧ ٠

٣٤ ـ العوتبي ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٦٢ ٠

وكتاب العوتبي هذا مصدر هام للتاريخ العماني منذ العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الرابع الهجري • وتكمن قيمته الاساسية فيما يورده من معلومات عن استقرار القبائل وتجمعاتها ودورها في تاريخ عمان وتطور الامامة الاباضية في ذلك القطر • ويورد أحيانا مادة فريدة حول بعض الموضوعات وبخاصة حول الامامة الاباضية الثانية التي أسست عام ١٧٧هـ (٣٥) •

أما كتاب **الطبقات الاباضية** لمؤلفة أبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان ابن علي بن يخلف الدرجيني فهو أهم مصدر لموضوع بحثنا • وقد عاش المؤلف في القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي ، وكان شاعرا وفقيها ومؤرخا ، وينتمي الى أسرة تجارية غنية كانت في الاصل تعيش في منطقة جبل نفوسة في ليبيا • وقد اتسعت علاقات أسرته التجارية حتى شملت ـ الى جانب نفوسة ـ بلاد الجريد في جنوب تونس ومناطق افريقية جنوب الصحراء وخاصة ما يعرف اليوم بجمهورية مالي • وكان والد المؤلف يعيش في منطقة درجين السفلى الجديدة بالقرب من نفطة في بلاد الجريد وقد نسب اليها وعرف بالدرجيني • وكان من فقهاء الاباضية وعلماء الحديث في تلك المنطقة • ولذا فان أبا العباس قد عاش وتربى في كنف أسرة علمية غنية مما أتاح له الفرصة ليأخذ من العلم ما وسعه ، ويرتحل في طلبه الى أماكن متعددة من مناطق الاباضية في الشمال الافريقي • وفي عام ٦١٦هـ/١٢١٩ ـ ١٢٢٠ م ارتحل الى وارجلان حيث بقي هناك مدة سنتين تلقى خلالها العلوم والمعارف عن مشايخ الاباضية فيها (٣٦) • ثم رجع الى بلاد الجريد واستقر في توزر حيث مال الى دراسة التاريخ • وبعد عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م ارتحل الى جزيرة جربة حيث أخذ عن مشايخها وأظهر نبوغا وذكاء في العلوم الاباضية المختلفة مما أكسبه تقدير علماء الاباضية هناك وعلى رأسهم مجلس العزابة (٣٧) • وهناك كتب مؤلفه الذي بين أيدينا والذي سماه **طبقات الاباضية** بناء على اشارة من مجلس العزابة في جزيرة جربة • ويروي لنا البرادي الظروف والاسباب التي حدت به للقيام بهذا العمل فيقول : « ذكر لي بعض العزابة أن سبب تأليف أبي العباس هذا الكتاب لما وصل الحاج عيسى

---

٣٥ ــ المصدر نفسه ، ورقة ١٦٤ــ١٦٥،١٦٩ •

٣٦ ــ يبدو ان الدرجيني كان انذاك حدثا صغير السن • ويورد البرادي نصا منقولا عنه حول رحلته الى وارجلان يقول فيه : « • • • وذلك أني دخلت حلقة وارجلان حرسها الله تعالى سنة ستة عشر وستمائة في ربيع الاخر منها في اول ما وجب علي الصوم ، والبال خالي من الهم •• » البرادي ، **الجواهر** ، ص ٢١٥ •

٣٧ ــ عن مجالس العزابة أنظر : علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، الحلقة الاولى ، ص٩٧ــ١١٠ ،

T. Lewicki, "Halaka", E. I (2).

ابن زكريا من بلاد عمان بما معه من الكتب التي ورد بها أرض المغرب :**كحل** ابن وصاف **وجامع** الشيخ أبي الحسن **وجامع** ابن جعفر وغيره · فكان مما رغب اليه فيه اخوانه (من أهل عمان) أن قالوا له : وجهوا لنا كتابا يتضمن سيرأوائلنا ومناقب أسلافنا من أهل المغرب من لدن وقع فيه مذهبنا الى هلم جرا · فانه قد عميت علينا أنباؤهم وغابت عنا آثارهم من بعد الشقة · فشاء من بجربة يومئذ من العزابة والفقهاء ومن يشار بالبنان اليه من الحذاق والنبهاء في تلبية طلبة اخوانهم اليهم ووصف لهم الكتاب المشروط عليهم · فنظروا في كتاب الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر فوجدوه مخلا ببعض التفصيل قاصرا دون أمد التحصيل ، مع أن لسان البربرية أورد ألفاظه موارد التكليف وقلة تحفظه على قوانين العربية أدخل ببعض معانيه مجاهل التعسف ، فاهتموا بتصنيف كتاب يشتمل على سير الدولة الرستمية ومناقب الاسلاف كما طلب ذلك اليهم ، فلم يروا أهلا لهذا التصنيف غير أبي العباس · · ·» (٣٨) ·

وعلى أية حال فان الدرجيني – في كتابه هذا – قد أسدى خدمة جلى في تعريفنا ببعض مراحل تطور تاريخ الحركةالاباضية وأبرز مشايخها في المغرب والمشرق· وقد ترجم لمشايخ الاباضية حسب طبقاتهم جيلا بعد جيل، وأعطى معلومات قيمة حول نشأة الحركة الاباضية في البصرة من خلال حديثه عن أئمة الفرقة ورجالها البارزين في المشرق والمغرب ·

اعتمد الدرجيني في معلوماته حول المحكمة الاوائل الذين يعتبرهم الاباضية روادا لحركتهم على **كتاب الكامل** للمبرد وخاصة عند حديثة عن أبي بلال مرداس بن أدية التميمي وأخيه عروة وعن عمران بن حطان · ولكنه يضيف بعض التفاصيل من مصادر أخرى لايذكرها وقد تكون اباضية (٣٩) · أما فيما يتعلق بأئمةالاباضية البارزين والذين كان لهمالدور الاساسي في تنظيمالحركة في البصرة مثل جابر بن زيد الازدي وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمةالتميمي فان الدرجيني ينقل معلوماته عن الامام المؤرخ الاباضي أبي سفيان محبوب ابن الرحيل (٤٠) ، آخر الائمة الاباضية في البصرة ، وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري · ولابي سفيان هذا كتاب في تاريخ الاباضية

---

٣٨ – البرادي ، **الجواهر** ، ص ٢١٥ ·

٣٩ – الدرجيني ، ورقة ، ٩٢،٩٧،٩٨ ·

٤٠ – الدرجيني ، ورقة ، ٨٨ وما بعدها ، ورقة ١٠٠ وما بعدها ·

يشتمل على الاخبار والفقه والكلام والعقائد • ويعد من أهم كتب الاباضية الأوائل حتى أن أئمة الدولة الرستمية كانوا يوصون اتباعهم بقراءة هذا الكتاب والتعمق في معاينه (٤١) • ولم يذكر أحد من العلماء المحدثين أو مصنفي دور الكتب والمخطوطات انه عثر عليه • ولما كان أبو سفيان قد أمضى آخر حياتـــه في عمان فيراودنا الامل في امكانية العثور عليه في تلك البلاد وخاصة أن المسؤولين فيها يولون المخطوطات والتراث الاباضي والعماني أهمية خاصة ويبذلون – كما سمعت – جهدا مشكورا في هذا الشأن • وعلـــى أي حال فان اعتـــماد الدرجيني على هذا المصدر يعتبر ذا أهمية كبيرة لان الراوية – كما قلنا – معاصر للحوادث ، وقد تبوأ مركز المسؤولية في الحركة الاباضية ابان مرحلة الكتمان في البصرة كما كان من مشايخ الفرقة البارزين قبل أن يتزعم الحركة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (٤٢) • ولذا فان المعلومات التـي وصلتنا برواية أبي سفيان تعتبر ذات أهمية خاصة لانها جاءت من شخص عاش الاحداث واطلع عن كثب على التنظيم السري في البصرة واشترك فيـه بشكل مباشر وفعال •

بالاضافة الى هذه المعلومات فان الدرجيني يزودنا بمادة خصبة عن تاريخ الحركة الاباضية في شمال افريقية منذ بداية تسربها الى تلك المنطقة فـي نهاية القرن الاول الهجري وحتى نهاية الدولة الرستمية • كما يترجم لمشايخ الاباضية البارزين من أصل مغربي حتى العهد الذي عاش فيه • ومن خلال ذلك فانه يعطي معلومات متفرقة عن تطور الحركة حتى القرن السابع الهجري ويلقي بعض الضوء على العلاقة بين اباضية المغرب وبلاد السودان وخاصة ما يتعلق منها بالعلاقات التجارية ودور التجار الاباضية في نشر الاسلام في تلك البقاع • وهو ينقل معلوماته حول هذه المواضيع من مصادر اباضية أقـدم مثل أبي زكريا الوارجلاني الذي يكاد يكون مصدره الوحيد في المعلومـــات المتعلقة بتسرب الافكار الاباضية الى بلاد المغرب والحركات والثـــورات الاباضية هناك والتي توجت بتأسيس الدولة الرستمية الاباضية • كمـــا أن معلوماته عن تاريخ الرستميين تكاد تكون منقولة حرفيا عن سيرة أبي زكريا • أما فيما يتعلق بالمواضيع الاخرى التي ضمنها كتابه فنقلها عن أبي سفيان محبوب بن الرحيل وأبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني (عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) وأبي عبد اللـه محمد بن بكر النفوسي (عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميـــلادي) •

<u>والواقع أن طبقات الدرجيني تعتبر من أهم المصادر الاباضية عن موضوع</u>

٤١ – البرادي ، **رسالة** ، ورقة ٢٠٥ – ٢٠٦ .

٤٢ – عن الامام أبي سفيان أنظر : الدرجيني ، ورقة ١١٧ وما بعدها ، شماخي ، سير ، ص ١١٧–١١٩ .

بحثنا بالرغم مما يؤخذ عليه من مثالب يشترك فيها مع بقية المؤلفين الاباضية المغاربة وخاصة تحيزهم للعناصر غير العربية كالفارسية والبربرية وتضمين كتابة كثيرا من الاحاديث المنسوبة الى الرسول عليه الصلاة السلام لاثبات فضل الفرس والبربر على الاسلام (٤٣) • كما أن الكتاب لا يخلو من الاساطير والكرامات التي تصل الى حد المعجزات المنسوبة الى بعض رجال المذهب البارزين • ولكن الباحث لا يجد عناء كبيرا في كشفها وبيان بطلانها•

وقد أكمل عمل الدرجيني مؤلف اباضي آخر هو أبو القاسم بن ابراهيم **البرادي** الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي • وقد ألف كتابا سماه ، **الجواهر المنتقاة في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات لأبي العباس الدرجيني (٤٤)** •

نشأ البرادي في مدينة دمر في جنوب تونس حيث تلقى علومه الاولية على يدي الشيخ الاباضي أبي البقاء يعيش الجربي ، الذي يبدو من نسبه أنه جاء الى هناك من جزيرة جربة التونسية • وارتحل البرادي بعد ذلك الى جبل نفوسه وأخذ العلم عن الشيخ أبي ساكن عامر الشماخي (ت ٧٩٢هـ/١٣٩٠م) في مدينة يفرن • ثم طاب له المقام في جزيرة جربة حيث أصبح من العلماء البارزين فيها • وكان يلقي دروسه ومحاضراته في جامع وادي الزبيب في جربة • وألف كتابه **الجواهر** هناك • ويضم الكتاب معلومات غزيرة عن تاريخ صدر الاسلام ابتداء من البعثة النبوية وحتى الايام الاولى من الدولة الاموية وفسر حوادث هذه الفترة طبقا لآراء الاباضية ومعتقداتهم • وقد أسهب في الحديث عن عهد الخليفة عثمان بن عفان واسباب الفتنة وظهور المحكمة الأوائل وبذلك يستطيع الباحث أن يحصل على معلومات مفيدة حول رأي الاباضية في الفتنة والحرب الاهلية الاولى التي هزت الخلافة الاسلامية خلال العقود الاولى من تاريخها • وكذلك عن الرواية الاباضية في ظهور الحركة الخارجية وتطورها خلال القرن الاول الهجري • ويحفظ لنا البرادى الرسائل التي بعثها عبد الله بن اباض الى الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان والتي تعطينا فكرة واضحة عن بعض مبادىء الفرقة الاباضية في تلك الفترة المبكرة من تاريخها • وقد تكلم في بقية كتابه عن بعض المشايخ والائمة الاباضية الذين أغفلهم الدرجيني في طبقاته • ويختم كتابه ببعض المسائل العقائدية كما أنه يعطي معلومات جيدة عن تنظيم الحلقة عند الاباضية • وفي نهاية الكتاب يثبت المؤلف أسماء بعض تآليف أهل المشرق والمغرب من الاباضية التي قرأها أو رآها أو سمع عنها •

---

٤٣ ــ الدرجيني ، ورقة ٤ ــ ٥ •

٤٤ ــ طبع الكتاب طبعة حجرية غير علمية في القاهرة عام ١٣٠٢ هـ كما طبع ايضا طبعة حجرية في الجزائر • وتوجد نسخ مخطوطة من هذا الكتاب في دار الكتب المصرية وفي وادي مزاب في الجزائر •

وجدير بالذكر أن للمؤلف مخطوطة محفوظة ضمن مجموع في دار الكتب المصرية ذكر فيها عناوين بعض المؤلفات الاباضية سماها : **رسالة في تقييد كتب أصحابنا** (٤٥) ٠

وهناك مخطوطة أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية لمؤلفها أبي الربيع الوسياني ومصنفة تحت عنوان **سير** أبي الربيع بن عبدالسلام الوسياني(٤٦)٠ وقد عاش الوسياني في القرن الرابع الهجري وتوفي في العقد الثاني من القرن الخامس الهجري ٠ ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة عن تاريخ الاباضية ـ بعد سقوط الدولة الرستمية ـ وعلاقاتهم مع الفاطميين٠ ويتضمن الكتاب معلومات جيدة عن العقيدة الاباضية يستفيد منها الباحث خلال حديثه عن الادوار التي مرت بها الحركة الاباضية ٠

ويعتبر كتاب **السير** لمؤلفه أحمد بن سعيد الشماخي (ت ٩٢٨هـ) أشمل المصادر التاريخيةالاباضيةعن تاريخ الحركةحتى بدايةالقرن العاشرالهجري٠ ويتناول الشماخي في هذا الكتاب التاريخ الاسلامي منذ البعثة النبوية الشريفة ٠ ولذلك فهو يساهم في اعطاء صورة واضحة عن رأي الاباضية في الحوادث التي جرت في صدر الاسلام كالحرب الاهلية ونشأة المحكمة الأوائل ويسهب المؤلف في الحديث عن الصراع بين الخلافتين الاموية والعباسية وبين الاباضية في المشرق والمغرب ٠ ويمدنا بمعلومات جيدة عن أئمة الفرقة ومشايخها البارزين ٠ ويعتبر مؤلف الشماخي هذا مصدرا خصبا لكل من يتصدى للكتابة عن تاريخ الحركة في بلاد المغرب الاسلامي ٠ ولما كان الشماخي قد عاش في فترة متأخرة فقد أتيح له الاطلاع على كثير من مؤلفات من سبقه من علماء الاباضية واستفاد منها ٠ ويشير في كثير من المواضيع الى مصادره ورواته مثل أبي سفيان محبوب بن الرحيل وأبي نوح صالح بن ابراهيم وابن عمار وأبي زكريا وابن سلام والربيع بن حبيب والسوفي ٠ كما ينقل عن مؤرخين سنة مثل الرقيق القيرواني وابن الصغير والمبرد ٠ وعلى الرغم من تحيزه الواضح لمذهبه فان الشماخي يحاول أحيانا مناقشة الروايات وتحليلها واعطاء رأي فيها ٠ وفي بعض الاحيان يرجح روايات مؤرخي السنة على الروايات الاباضية ٠ وهذه ميزة تعطي كتابه قيمة كبيرة ٠

ومن المصادر الاباضية المتأخرة التي تمدنا بمعلومات جيدة حول آراء الاباضية وتفسيرهم لبعض نواحي التاريخ الاسلامي وخاصة الفتنة في عهد

---

٤٥ ــ دار الكتب المصرية ، رقم ٢١٧٩١ ب ٠

٤٦ ــ دار الكتب المصرية ، رقم ٩١١٣ح ٠

عثمان والحرب بين علي ومعاوية ونشأة الخوارج : **كتاب الكشف والبيان** لأبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري ـ السابع عشر الميلادي · ويقع الكتاب في خمسين بابا وينقسم الى قسمين : قسم تاريخي والاخر عقائدي · ويبدأ القسم الاول في الكلام عن خلق السموات والارض والملائكة والجن والانس · ويشمل تاريخ الانبياء والرسل منذ بدء الخليقة ويفصل فيه الحديث عن البعثة النبوية الشريفة وما تلاها من أحداث حتى بداية العصر الاموي مع تركيز خاص على فترة خلافة كل من عثمان وعلي رضي الله عنهما (٤٧) · وفي القسم الثاني يتناول المؤلف عقائد بعض الاديان والمذاهب مثل عبدة الشمس والمزدكية ومذاهب أهل الهند · ثم يتكلم عن الفرق الاسلامية وبيان عقائدها وأوجه الشبه والخلاف بينها · ويعطي أهمية خاصة للفرقة الاباضية التي ينتمي اليها ويسميها الفرقة الوهبية نسبة الى عبد الله بن وهب الراسبي ·

ويأخذ القلهاتي معلوماته عن رواة ومؤلفين قدامى ، منهم السني ومنهم الاباضي ، وأشهر هؤلاء الرواة مجاهد وابن شهاب الزهري ومحمد بن السائب الكلبي وشبيب بن عطية الخراساني الاباضي وأبو غانم وغيرهم (٤٨) · ويجدر بالذكر أن النسخة الوحيدة المعروفة حتى الآن من هذا الكتاب هي مخطوطة المتحف البريطاني (٤٩) ·

وهناك مصدر آخر يشبه في كثير من معلوماته ـ وبخاصة ما يتعلق منها بتاريخ صدر الاسلام ـ المعلومات الوارة في كتاب القلهاتي· وهذا الكتاب هو **كشف الغمة الجامع لاخبار الامة** لمؤلفه سرحان بن سعيد الازكوي الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي · وتوجد عدة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب واحدة منها في المتحف البريطاني وتقع في ٨١٩ صفحة بينما توجد نسخة أخرى ناقصة في المكتبة الوطنية في تونس برقم ٣١٨٢ وتقع في ٤٩٧ صفحة فقط (٥٠) ·

وهناك نسخة أخرى محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (ت ٣٤٧) ونسخة أخرى في باريس ولعل هناك نسخا غيرها في عمان ·

---

٤٧ ــ القلهاتي ، ورقة ٨٣ وما بعدها .

٤٨ ــ القلهاتي ، أنظر مثلا ورقة ١٣٢ ، ورقة ١٨٠ وما بعدها .

٤٩ ــ حول مزيد من المعلومات عن القلهاتي انظر :

C. Brockelmann, **Geschichte der arabischen** literatur, sup. Vol. 2 p. 568. M. Kafafi, "The rise of Kharijism according to Abu sa'id Muhammad b. Sa'id al-Azdi al - qalhati", **Bulletin of the Faculty of Arts,** Cairo University, Vol. 14, part 1 (1952) pp. 29ff.

انظر ايضا محمد بن عبد الجليل ، « خلافة عثمان وعلي من كتاب الكشف والبيان » : **حولية الجامعة التونسية** ، العدد ١١ (١٩٧٤) ، ص ١٨٤ ــ ١٨٧ .

٥٠ ــ محمد بن عبد الجليل ، المقالة السابقة ، ص ١٨٦ .

وقد ترجم الضابط الانجليزي روس Ross الفصول الخاصة بتاريخ عمان من مخطوطة المتحف البريطاني الى اللغة الانجليزية ونشرها في مجلة الجمعية الاسيوية البنغالية عام ١٨٧٣م·(٥١) بينما قامت الباحثة الالمانية هيدويج كلين Klein بتحقيق بعض فصول الكتاب الخاصة بعمان وجعلتها رسالة نالت عليها درجة الدكتوراة ، ولم أستطع الحصول عليها ·

وفي عام ١٩٧٦م قام الاستاذ عبد المجيد حسيب القيسي بتحقيق ونشر الاجزاء الخاصة بتاريخ عمان معتمدا في ذلك على مخطوطتي المكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة المتحف البريطاني · ويقوم الان بتحقيق الاجزاء المتبقية مـــن الكتاب ·

والكتاب في مجمله يعد من أشمل المصادر التي تتناول تاريخ عمـــان · ويحتوي أيضا على معلومات عن تاريخ العرب منذ العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي · ويزودنا المؤلف بالرسالة التي بعث بها عبد الله بن أباض الى عبد الملك بن مروان · كما أنه يعطي معلومات قيمة عن آراء الفرقـــــة الاباضية · ويمدنا في الباب الثاني والثلاثين من المخطوطة بمعلومات جيدة عن انتقال المذهـــب الاباضي الى شـــمال افريقيـــة · وفي الحقيقة فان هـــذا الكتاب لا يستغني عنه لكل من يتصدى لكتابة تاريـــخ عمان وتطور الحركة الاباضية فيه · وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مخطوطة المتحف البريطاني وعلى الجزء الذي حققه ونشره الاستاذ عبد المجيد القيسي والذى سماه : **المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامـــة** ·

كتب الفقه والعقائد : ان كتب الفقة والعقائد الاباضية تحوي معلومات تاريخية جيدة · فهي خلال الحديث عن موضوع فقهي أو فتوي شرعية تورد أدلة تاريخية سابقة تسند رأي الفقيه أو فتوى المشرع · وهذا يفيد في اعطاء معلومات عن بعض الحوادث السياسية وعن آراء الفرق العقائدية · وتزودنا هذه الكتب بمعلومات جيدة عن سلوك الاباضيـــة السياسي وتنظيماتهم المختلفة ابان المرحلة السرية أو ماتسميه المصادر بطور الكتمان · ومـــن نافلة القول أن نذكر أن المكتبة الاباضية تضم أعدادا ضخمة من كتب الفقه،

---

٥١ —
E. C. Ross, « Annals of Oman » , **J. A. S. Soc. Bengal** , Calcutta (1874) , idem, « An account of The Tenets of the Ibadhi sect of Oman » , **Proceedings of the Asiatic Society of Bengal** (1873) , pp. 2ff.

بل ان معظم ما خلفه الاباضية من مؤلفات انما ينضوي تحت هذا الصنف ٠

ومن أهم المؤلفات التي تمكنت من الاطلاع عليها والتي تفيد في البحث عن نشأة الفرقة الاباضية وتطورها **كتاب جوابات جابر بن زيد** ٠ويعتبر الاباضية جابر بن زيد المؤسس الاول لمذهبهم وصاحب دعوتهم وقد عاش في القرن الاول الهجري وتوفي في عام ٩٣ هـ ٠ وسوف نفرد فصلا خاصا للحديث عنه ٠ أما الكتاب المذكور المنسوب اليه فلا يحمل تاريخا ٠ ويبدو أن هناك نسخا متعددة منه موزعه في المناطق التي يعيش فيها الاباضية ٠ وهناك بالتأكيد نسخة منه محفوظة في الخزانة البارونية في جزيرة جربة التونسية والتي ينتمي معظم سكانها للمذهب الاباضي (٥٢) ٠

أما النسخة التي أفدت منها في بحثي فهي عبارة عن نسخة مصورة تفضل أحد الاصدقاء المغاربة وأعارني اياها لمدة ساعات قلائل خلال وجودي في بريطانيا في صيف عام ١٩٧٧ ، وأعلمني أنه حصل على تلك النسخة من جربة ٠ ولا تحمل النسخة رقم تصنيف المخطوطة ولا الدار المحفوظة فيها ٠ وقد قرأتها على عجل ولكني استفدت منها أيما افادة وخاصة عن علاقة جابر ابن زيد الازدي ـ ابان زعامته للحركة السرية في البصرة ـ مع أتباعه في الامصار الاخرى ٠ وتدل المعلومات الواردة في هذه الرسائل التي كان يتبادلها مع أصحابه وأتباعه على السرية التامة والدقة في التنظيم لدى أتباع الفرقة في طور الكتمان ٠ كما أنها تبين ، بلا أدنى شك ، ان بعض رجال الفرقة تقلدوا مناصب في الدولة الأموية دون أن يعرف الخلفاء والولاة هويتهم المذهبية ٠ وكانوا أثناء ذلك يستخدمون نفوذهم المعنوي والمادي لتعزيز مكانة اخوانهم في العقيدة ولخدمة الدعوة الاباضية كلما سنحت الفرصة للقيام بمثل هذه المهمة ٠

وتحتوي أجوبة جابر على ١٨ رسالة من جابر الى بعض أتباعه وتتضمن آراءه في كثير من أمور الدعوة في النواحي التنظيمية والفقهية ٠ وقد أشرنا الى بعض المعلومات القيمة التي وردت في جوابات جابر خلال الحديث عن دور جابر بن زيد في نشأة الحركة الاباضية ٠

ومن المصادر الهامة في هذا الموضوع ، **رسالة في أحكام الزكاة** لمؤلفها أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي خلف جابر بن زيد في زعامة الحركة

---

٥٢ ـ عن مخطوطة جربة انظر :

A.K. Ennami, "Description of new Ibadi manuscripts from north-Africa, **J.S.S**, Vol. 15, I (1970), pp. 65 - 8; J.V. Van Ess, "Untersuchugen zu einigen ibaditischen Handschrifen", **Z. D. M. G** Band 126, Heft I (1976) pp. 26ff.

الاباضية، وكانت له جهود جبارة في نشرالمذهب الاباضي في الامصارالاسلامية بواسطة الدعاة أو حملة العلم الذين كان يرسلهم الى المناطق البعيدة عن الولايات المركزية للدعوة للمذهب الاباضي . وسوف نفصل الحديث عن دور أبي عبيدة في تنظيم الدعوة الاباضية وانتصارها في باب خاص من هذا البحث .

أما رسالته في أحكام الزكاة التي وصلتنا فانها تمدنا بمعلومات قيمة عن دور مشايخ الاباضية في تطور الحركة ، وتكشف لنا عن السرية التامة التي تبناها الائمة في البصرة لنجاح دعوتهم . وتوضح الرسالة العلاقة الوثيقة بين مشايخ البصرة واباضية المغرب حتى بعد نجاح الاخيرين في تأسيس امامة الظهور في شما لافريقية . ولا تزال نسخة من هذه الرسالة مخطوطة ومحفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة .

ومن كتب العقائد والفقه المفيدة **متن عقيدة التوحيد** للشيخ عمرو بن جميع وقد نشره المستشرق موتيلنسكي Motylinski وفيه معلومات قيمة عن آراء الاباضية. ونجد معلومات مماثلة في كتاب **شرح مقدمة التوحيد** للشماخي الذي يلقي ضوءا على مراحل تطور الدعوة الاباضية ويسهب في الحديث عن الامامة وشروط اقامتها ومؤهلات القائم بها . وهناك أيضا كتاب **مختصر الخصال** للامام الاباضي ابراهيم بن قيس الحضرمي وفيه بعض المعلومات عن حملة العلم بالاضافة الى أمور العقيدة .

وتعتبر مخطوطة **كنز الاديب وسلافة اللبيب** للصائغي من المصادر الاباضية الهامة التي اعتمدنا عليها . ولا تزال المخطوطة محفوظة في جامعة كمبردج . وتتعلق معظم فصولها بالفقة والقضايا الشرعية كما يراها أتباع الفرقة الاباضية . ويبدو من الاشارات المتعددة أن مؤلف المخطوطة قد أخذ معلوماته من مصادر أقدم ، ومن أجوبة مشايخ الاباضية في المشرق والمغرب وآرائهم مثل جاعد بن خميس وناصر بن خميس وحبيب بن سالم وغيرهم .وقد أسهب الصائغي في الباب الرابع من كتابه في الحديث عن الامامة الاباضية وشروط عقدها والكفاءات التي يجب أن تتوافر في من يشغل هذا المنصب .

بالاضافة الى ما سبق فان **مدونة** أبي غانم الخراساني **وشرح السوءالات** للسوفي تحتوي على معلومات مستفيضة عن القضايا الفقهية وآراء الاباضية فيها . كما أنها تضم معلومات متناثرة حول بعض مظاهر تطور الحركة الاباضية من الناحيتين السياسية والتنظيمية . وقد استفدنا أيضا من مؤلفات ومخطوطات اباضية أخرى سوف يلحظها القارىء في هوامش البحث وفي قائمة المصادر .

الفصل الثانـــي

الدراسات الحديثة ـ عرض وتحليل

لم يكن العرب والمسلمون في العصور الحديثة سباقين الى دراسة الحركة الاباضية دراسة علمية موضوعية ، بل ان المستشرقين هم أول من انبرى لهذه المهمة وطرق هذا الباب مدفوعين بعوامل كثيرة لا سبيل لذكرها وان كان الاستعمار ـ الفرنسي بشكل خاص ـ قد لعب دورا كبيرا في تسهيل هـــذه المهمة . ولا عجب فان أول معاهـــد الاستشراق في فرنسا كان تابعـا لوزارة المستعمرات . ورغم ذلك فان عملهم في هذا المضمار لا يخلو من فائدة لكـل طالب وباحث في تاريخ وعقائد هذه الفرقة الاسلامية التي لا تزال موجودة الى يومنا هذا في عمان وزنجبار وبلاد المغرب العربي ، وخاصة جبل نفوسة فـي ليبيا وجزيرة جربة في تونس ومنطقة وادي مزاب في جنوب الجزائر .

بدأت جهود المستشرقين في هذا الشأن بمحاولة الكشف عن المخطوطات الاباضية في دور الكتب والمتاحف العالمية ، وحتى في المكتبات الخاصة التـي استطاعوا الوصول اليها . ووضعوا قوائم ببليوغرافية لهذه المخطوطات . ثم تبع ذلك القيام ببعض الدراسات حول تاريخ الاباضية وعقائدها ، وتعدى ذلك الى دراسة المجتمعات الاباضية المعاصرة من شتى الوجوه .

وأول من صنف قائمة بالكتب والمخطوطات الاباضية هو المستشـــــــرق موتيلنسكي Motylinski (٢) . وقد اشار في قائمته الى المؤلفات الاباضية التي ذكرها البرادي في كتابه المعنون : **الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات** (٣) . ويبدو انه لم يطلع على رسالة أخرى خصصها المؤلف للكتب الاباضية التي قرأها او سمع عنها ، ولا تزال مخطوطة . وتوجد منهـــا نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة (٤) . وعلى أية حال فان هذا المستشرق قـــد

---

(٢) Motylinski, "le Manuscrit arabo de zouagha", **14 cong. int. or.** 1905, 11, 4 section, pp. 79 - 92; Idem, "Expedition de Pedro de Navarre et de Garicia do Tolede contre Djerba (1510) d,aprss les sources abadhites", **14 cong. Int. or** 1905, 111, 3 section, II pp. 133 - 159.

(٣) طبع هذا الكتاب طبعة حجرية في القاهرة عام ١٣٠٢ هـ .

(٤) عنوان الرسالة : **رسالة فيها تقييد كتب اصحابنا** ، وقد جاءت ضمن كتاب **أحكام الديوان** الذي الفه مجموعة من رجال الاباضية ولا يزال محفوظا في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٧٩١ ب .

أضاف الى قائمة البرادي أسماء مخطوطات أخرى عثر عليها بنفسه • ولكنه ـ مع الاسف ـ لم يذكر أماكن وجودها • ولذا فان قائمته قليلة الفائدةرغم انها كانت حافزا لغيره من العلماء للقيام بعمل جاد في هذا الموضوع • وتكمن قيمة عمله ـ في اعتقادي ـ في أنه أعطى معلومات حسنة عن محتويات الكتب التي تتكلم عن مشايخ الاباضية وأئمتها مثل سيرة أبي زكريا الورجلاني وطبقات الدرجيني وجواهر البرادي وسير الشماخي • مما حدا بالعلماء للبحث عن هذه الكتب ومحاولة الاستفادة منها • وعلى أية حال فان مقالته قد أثارت اهتمام الباحثين وخاصة المستشرقين بالحركة الاباضية وحاولوا التعرف عليها وعلى مصادرها •

وفي عام ١٩٤٩ قام المستشرق الايطالي Rubinacci بنشر مقالة احتوت على قائمة بالمخطوطات الاباضية الموجودة في معهد الدراسات الشرقية في جامعة نابولي (٥) • وكان المعهد قد حصل عليها من ليبيا ابان الاحتلال الايطالي • وقد وصف هذه المخطوطات وصفا مستفيضا مبينا محتوياتها وأهميتها بالنسبة للدراسات الاباضية •

وفي تشرين الثاني عام ١٩٥٢ وكانون الاول من عام ١٩٥٣ قام المستشرق الانجليزي J. Schacht بزيارة لمنطقة مزاب في جنوب الجزائر واطلع على المخطوطات الاباضية المحفوظة في المكتبات الخاصة ، وخاصة مكتبة الشيخ الاباضي المعروف اطفيش المشهور بقطب الائمة • وقد نشر في عام ١٩٥٦ نتائج رحلته في مقالة ضمنها قائمة بالمخطوطات التي رآها أو أطلع عليها في فهارس مكتبة الشيخ اطفيش وبعض المكتبات الخاصة الاخرى • وقد رتب قائمته طبقا للمواضيع • ولفت النظر في مقالته هذه الى حوالي مئتي مخطوطة منها مئة وخمسين مخطوطة تعتبر من المؤلفات النفيسة التي تعطي معلومات جيدة عن تاريخ الاباضية وعقائدها • أما المخطوطات الاخرىفتعتبر أقل أهمية لانها تتعلق بأجوبة وفتاوى لشيوخ الاباضية المتأخرين وخاصة أولئك الذين استقروا فيواديمزاب(٦) • وفي عام ١٩٥٩نشرف•كوبياك Wladyslaw Kubiak بحثا بعنوان « المخطوطات العربية في بولونيا » (٧)• وضع فيه قائمة بأسماء المخطوطات العربية المحفوظة في كل من أكاديمية العلوم

---

(٥) R. Rubinacci, "Notizia di alcuni manoscritti ibaditi presso L' Iniversitario Orientale di Napoli" **A. I. O. N.,** N. S. , 3 (1949) pp. 431 - 439.

(٦) J. Schacht "Biblioth' eques et Manuscrits abadites", **Rev. Africaine** 100, (1956) , pp. 375 - 398 .

(٧) انظر **مجلة معهد المخطوطات العربية** ، المجلد الخامس ، الجزء الاول (١٩٥٩) ، ص ٧ — ٢٢ .

البولونية ومعهد اللغات الشرقية والمتحف الوطني وكلها موجودة في مدينة كراكوفية Krako'w في بولونيا • ويبدو من قائمته أن كل المخطوطات المتعلقة بالاباضية موجودة في المتحف الوطني البولوني ومن أهمها مخطوطة **أنساب العرب** للعوتبي ، **وكتاب السيرة وأخبار الائمة** لابي زكريا الورجلاني وكذلك نسخة من **كتاب السير** للشماخي ، **والطبقات** للدرجيني • كما ضمت مخطوطات المتحف المذكور مخطوطة عبارة عن كتاب مجموع فيه تواريخ وقصائد لاباضية من شمال افريقية • وتضم القائمة أيضا خمسة مخطوطات عن تواريخ الاباضية في مزاب في جنوب الجزائر ، وكتابا اباضيا في الفقه مجهول المؤلف والعنوان • وجدير بالذكر أن الكاتب قد رتب قائمته طبقا لعناوين الكتب ثم اسم المؤلف مع ذكر اسم الناسخ ان وجد وتاريخ النسخ ولكنه لم يورد أرقام تصنيف هذه المخطوطات • وفي الاونة الاخيرة قام أحد العلماء الاباضية وهو عمرو خليل النامي بنشر مقالة وصف فيها بعض المخطوطات الموجودة في المكتبات الاباضية في شمال افريقية ، وخاصة في جبل نفوسة في ليبيا وجزيرة جربة في تونس ووادي مزاب في الجزائر • وقد ذكر الكاتب أنه زار هذه المناطق الاباضية في الفترة الواقعة بين حزيران وأيلول من عام ١٩٦٨ • ويعتبر النامي أول باحث أشار الى أهمية المخطوطات الموجودة في جزيرة جربة ، ومن بينها بعض المخطوطات التي ألفها بعض أئمة المذهب القدامى خلال القرنين الاول والثاني الهجريين ، وعلى رأسهم مؤسس المذهب الامام جابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميي • وقد أشار المؤلف الى عناوين مخطوطات اعتبرت حتى ذلك الوقت مفقودة • ويبدو أن المؤلف لم يتبع منهجا معينا في ترتيب قائمته ، وربما وصفها ورتبها طبقا لاهمية المؤلف والكتاب حسب تقديره • وهو يذكر المؤلف ثم الكتب المنسوبة اليه ثم يصف كل كتاب مشيرا الى الاوراق المفقودة منه ، او التي عطبت بفعل الزمن ، ثم يذكر محتويات كل كتاب ويورد العبارات التي تبتدىء المخطوطة وتنتهي بها • وقد أشار في أحد هوامش بحثه الى أن كثيرا من المخطوطات غير مرقم ، فوضع لها أرقاما طبقا للصفحات كما هو الحال في الكتب المطبوعة • ولا شك أن الاطلاع على بعض هذه المخطوطات التي أثبتها النامي في مقالته يفيد كثيرا في الكشف عن معلومات جيدة حول الدعوة الاباضية في مرحلة الكتمان (٨) • وقد سعدت شخصيا بالاطلاع على بعضها كما سيرى القارىء في ثنايا البحث • وقد أشرت الى بعض هذه المخطوطات في الصفحات السابقة خلال الحديث عن المصادر •

وفي عام ١٩٧٤ نشر الدكتور فاروق عمر فوزي مقالة بعنوان : « ببليوغرافية في تاريخ عمان » أشار فيها الى بعض المؤلفات الاباضية التي ألفها علماء

---

٨ — A.K. Ennami, "Description of New Ibadi Manuscripts from North Africa", **J.S.S,** Vol. 15, part I (1970), pp. 63-87.

عمانيون وتهتم بالتاريخ المحلي لعمان (٩) • كما قدم بحثا آخر في الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية حول الموضوع نفسه ولم يضف شيئا جديدا ذا أهمية على ماقاله في بحثه السابق •

وحول تاريخ عمان نشر المستشرق البريطاني ولكنسون Wilkinson مقالة عرض فيها لبعض المصادر الاباضية التي تعنى بتاريخ عمان في الفترة الواقعة بين نهاية القرن التاسع ونهاية القرن الرابع عشر الميلادي (١٠) • وقد قدم بحثا آخر حول مصادر تاريخ عمان في العصور الاسلامية وذلك في الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التي عقدت في الرياض عام ١٩٧٧ • والحقيقة أنه لم يأت باضافات ذات شأن كبير ، ومعظم المصادر التي ذكرها في بحثه هذا مصادر متأخرة من الناحية الزمنية • ولم تكن مجهولة لكثير من العلماء المهتمين بالدراسات الاباضية والعمانية بشكل خاص • وعلى أية حال فان هذه هذه المصادر التي أشار اليها الباحث مهمة لدراسة تاريخ عمان وبالطبع تاريخ الحركة الاباضية في ذلك القطر ، لان الموضوعين لا يمكن فصلهما عند الحديث عن تاريخ تلك المنطقة • وقد أشار في بحثه هذا الى أن مكتبة وزارة التراث القومي في عمان تضم الان ما ينيف على ألفي مخطوط (١١) •

وفي آذار عام ١٩٧٤ قام المستشرق الالماني يوسف فان اس Van Ess الاستاذ في جامعة توبنجن ، بزيارة بعض المكتبات الاباضية الخاصة في جزيرة جربة في تونس ومنطقة وادي مزاب في جنوب الجزئر • واستطاع الاطلاع على بعض المخطوطات هناك مستعينا بالشيخ الاباضي صالح بو عمارة من بلدة مليكة في مزاب • وقد وضع هذا الشيخ مكتبته الخاصة تحت تصرف المستشرق المذكور ، وأرشده الى مكتبات وفهارس أخرى في مزاب • وقد نشر نتيجة زيارته مقالة وصف فيها أهم المخطوطات التي رآها • وتعتبر من أهم المقالات الببليوغرافية عن المصادر لاباضية ـ بالاضافة الى مقاله النامي السالفه الذكر ـ لأنه وصف مخطوطات منسوبة الى أئمة الاباضية الاوائل مما يلقي ضوءا قد يكون جديدا حول تاريخ هذه الحركة ونشأتها الاولى (١٢) •

---

٩ ـ فاروق عمر فوزي « ببليوغرافيا في تاريخ عمان » ، **مجلة المورد** ، ١٩٧٥ .

١٠ ـ J.C. Wilkinson, "Bio-bibliographical Background to the Crisis Period in the Ibadi Imamate of Oman (End of 9th to end of 14th Centrury) ", **Arabian Studies** vol. 3, pp. 137-164.

١١ ـ J.C. Wilkinson, "Sources for the Early History of Oman", Unpublished article, **First International symposium on studies in the History of Arabia;** University of Riyad, 1977.

١٢ ـ Josef van Ess, "Untersuchungen zu einioen ibaditischen Handschriften" **Z.D.M.G.,** Band 126, Heft I (1976), 25-63.

وكان أحد الدارسين الاباضيين واسمه ابراهيم فخار قد نال عام ١٩٧١ ، الدكتوراة حول الجماعات الاباضية ، بعد الفتح الفاطمي لشمال افريقية في نهاية القرن الثالث الهجري • وقد أشار فيها الى كثير من المخطوطات الاباضيةفي ليبيا وتونس والجزائرمستفيدا من نحو ١٠٠ مكتبة عامة وخاصة: منها ٨٧ في الجزائر و٥ في جزيرة جربة و ٧ في ليبيا وواحدة في تونس وهي مكتبة آل الطاميني (١٣) •

وفي تشرين أول من عام ١٩٧٦ قام الدكتور ركس سميت G.R. Smith من المتحف البريطاني (المكتبة البريطانية) بزيارة سلطنة عمان بدعوة من وزير التراث القومي فيها ، وصنف قائمة ببعض المخطوطات المحفوظة في الوزارة المذكورة • وقد رتب قائمته طبقا للمواضيع ثم وفقا لاسماء المؤلفين مرتبة حسب الحروف الألفبائية ، وبعد ذلك وضع فهرسا لعناوين المخطوطات الواردة في القائمة • وقد التقيت به في صيف عام ١٩٧٧ في لندن وتفضل مشكورا وأعطاني نسخة مصورة من مقالته التي ذكر لي في ذلك الحين أنها ستظهر في العدد الرابع من مجلة Arabian Studies (١٤) • وقد أفادني بأن المستشرق ولكنسون سوف ينشر مقالة أخرى مكملة في المجلة نفسها والعدد نفسه وقد فشلت في الحصول على نسخة من بحثه ، لانني زرت أكسفورد وكان آنذاك غائبا •

أما الدراسات والبحوث حول تاريخ الاباضية وعقائدها فقد بدأت بشكل جدي على يد المستشرق ماسكراى Masqueray الذي ترجم **كتاب السيرة** لابي زكريا الورجلاني الى اللغة لفرنسية • وكان عمله هذا رائدا في هذا المضمار شجع غيره من العلماء على الاهتمام بهذه الجماعةالاسلامية، ومحاولة دراسة تاريخهاوعقيدتها ، وأسباب بقائها واستمرارها في مناطقمتعددة الى يومنا هذا • ولكن معظم الباحثين ـ بما فيهم ما سكرى نفسه ـ قد ركزوا اهتمامهم على تاريخ الحركة في شمال افريقية ، وقاموا بهذه الدراسات خلال نهاية القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين حيث كانالاستعمار

---

١٣ ـ Ibrahim **Fakhkhar, les Communautes ibadites en Afrique du Nord Libye, Tunisie, Algerie, depuis les Fa timides. 1971,** Sorbonne W 1971, The se 30, Unter C. Cahen. see also Van Ess, Op. cit, p. 27.

١٤ ـ G.R. Smith, "The Omani Manuscript callection at Muscat, part I, A General Description of the MSS", Unpublished.

١٥ ـ E. Masqueray, **Chranique d'Abou Zakari, Alger 1878.**

وقد ترجم هذا الكتاب مرة أخرى الى الفرنسية في عام ١٩٦١ • انظر
R. Le Tourneau, **Rev. Africaine,** 105 (1961), pp. 117-176.

الأوروبي (الفرنسي بشكل خاص) سائدا في تلك البقعة من العالم الاسلامي مما سهل مهمة الباحثين الاوروبيين للقيام برحلات الى شمال افريقية ، زاروا خلالها المكتبات والمجتمعات الاباضية هناك ، واستطاعوا الحصول على كثير من المعلومات والمؤلفات الاباضية التي أفادتهم في أبحاتهم ٠ وليس عجيبا والحالة هذه أن نرى معظم الابحاث التي تمت لهذا الشأن كانت بالفرنسية رغم أن بعض الباحثين كانوا ينتمون الى جنسيات اخرى غير الفرنسية مثل المستشرق البولندي المعروف Lewicki (١٦) الذي درس في فرنسا وزار شمال افريقية وخاصة الجزائر - ربما بمساعدة السلطات الفرنسية- حيث قضى فترة من الوقت اطلع فيها على بعض المصادر الاباضية كما عاش بين الجماعات الاباضية هناك في محاولة منه للتعرف على عاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم ٠ وقد كتب أبحاثه بالفرنسية (كتب بعض المقالات بالبولندية ولكنها كلها ترجمت الى الفرنسية) ويعد Lewicki بلا منازع أشهر من كتب في موضوع الاباضية ٠ وسنشير الى قيمة أبحاثه ودراساته في هذا الفصل ٠

وقام المستشرق موتلنسكي Motylineki بتحقيق وترجمة لكتاب ابن الصغير المالكي المذهب ، الذي كان معاصرا للدولة الرستمية الاباضية في شمال افريقية ، وقد كتب سفرا ثمينا عن تاريخ الدولة عرف باسم تاريخ الائمة الرستميين (١٧)٠ ولم يلبث أن أخذ المستشرقون يتسابقون في الكشف عن أسرار الحركة الاباضية وقاموا بجهود مشكورة في مراجعة المعلومات الواردة في بعض المصادر الاباضية ونقدها ، اذ قام المستشرق ليفتسكي Lewicki

بكتابة بحثين بين فيهما قيمة المعلومات الواردة في كل من **طبقات** الدرجيني ، وسير الشماخي (١٨) ٠ بينما قام المستشرق الايطالي روبيناتشي Rubinacci

---

١٦ - كان استاذا في جامعة كراكوف في بولندا ٠ وقد أحيل على المعاش مؤخرا ٠

١٧ - Motylinski, **Chronique d'ibn Saghir sur les imams Rostomides de Tahert**, Actes du xIv. Congr'es International des Orientalistes (Alger, 1905), Troisl'eme Pertie ((suite) : "Langues Musulmanes (arabe, persan et turc" (Paris, 1908), pp. 3 -132.

١٨ - T.Lewichi, Notice sur la chronique ibadite d'ad - Dargini', **Rocznik Orientalistyczny,** vol. 11 (Iwow, 1936) pp. 146-172; idem, "Une Chronique ib'adite Kit'ab as sijar' d'abu' l-Rbbas Ahmad as - sammahi", **Revue des Etudes Islamiques** , No - 1 (1934), pp. 59 ff.

بدراسة مماثلة لكتاب الجواهر المنتقاة للبرادي (١٩) ٠

ومن أوائل الذين كتبوا في تاريخ الاباضية في شمال افريقيـة المستشرق ستروثمان Strothmann الذي قام بدراسة عن علاقة البربر بالحركة الاباضية(٢٠)٠ وجل اعتماده في هذا البحث على تاريخ ابن خلدون الذي لا يعطي معلومات موثوقه عن هذا الموضوع ٠ وكثيرا ما يخلط بين الصفرية والاباضية ٠ والحق أن ابن خلدون لا يقدم معلومات هامة عن الموضوع سوى تعريفه ببعض قبائل البربر ومناطق سكناها ٠ وقد اعتمد ستروثمان أيضا على المؤلفات الاباضية المطبوعة على الحجر مثل سير الشماخي ، أو المترجمة للفرنسية مثل سير أبي زكريا الذي أسلفنا الحديث عنه ٠ كما أنه استفاد من كتاب ابن الصغير المالكي عن الائمة الرستميين ٠ وعلى أي حال فان المعلومات التي أوردها الباحث في مقالته لم تلق أي ضوء على نشأة الحركة الاباضية وتطورها في البصرة ـ وهذا مجال بحثنا ـ كما أنه لم يعط معلومات ذات شأن عن كيفية تسرب الافكار والاراء الاباضية الى بلاد المغرب ، ولم يحلل بعمق الظروف والاسباب التي أدت الى اعتناق البربر لهذا المذهب ٠

وعلى أي حال فان بحثه المختصر هذا كان مفيدا للطلبة (في النصف الاول من هذا القرن) الذين اهتموا بدراسة تاريخ المغرب الكبير رغم أن المعلومات التي جاءت فيه قد أصبحت الان قديمة وخاصة أن كثيرا من المخطوطات قد أكتشف ، وان معلومات جديدة قد ظهرت للعيان ٠ وعلى أية حال فان هذه الدراسة ليس فيها ما يفيدنا في بحثنا عن نشأة الحركة الاباضية في البصرة٠

وقد درس شيخ بكري Ch. Bekri حركة الخوارج في شمال افريقية بتفصيل أكثر وتحليل أدق من ستروثمان الا أنه لم يفرد بحثا خاصا بالاباضية ٠ وكانت استفادته من المصادر الاباضية جيدة الا أنه ركز اهتمامه في حديثه عن فرقة الاباضية على تاريخ الدولة الرستمية في شمال افريقية ٠ ولم يتطرق للدور السري (مرحلة الكتمان) للحركة الاباضية ، ولذا فانه لم يذكر أية معلومات هامة لها علاقة بنشأة الحركة في البصرة سوى اشارته المقتضبة الى حملة العلم الذين نشروا المذهب الاباضي في شمال افريقية (٢١) ٠

---

١٩ ـ R. Rubinacci, "Il Kit'ab al-Gaw'ahir di al-Barradi, **A. I. O. N,** N. S. vol 6 (1954-6), pp. 1-41.

٢٠ ـ R. Strothmann, "Berber and Ibaditen", **Der Islam,** vol. 21 (1928), pp. 258-279.

٢١ ـ C. Bekri, "Le Kharijisme berbe're", **Annales de l'Institut d'Etudes Orientales,** vol. 15 (1957), pp. 55-108.

وفي الاونة الاخيرة اهتم بعض المستشرقين بتاريخ الاباضية في عمان من خلال اهتمامهم بتاريخ الخليج العربي ومناطق شرق الجزيرة العربية الغنية بالبترول • وأشهر من الف في هذا الموضوع هو المستشرق الانجليزي ولكنسون Wilkinson الذي عمل دراسة عن تاريخ عمان موضحا فيها استقرار القبائل العربية في ذلك القطر وعلاقة القبائل وتحالفاتها بالامامة الاباضية هناك • وقد نال على هذا البحث درجة الدكتوراة من جامعة اكسفورد عام ١٩٦٩م (٢٢)• ثم نشر عدة مقالات في المجلات العلمية المعروفة حول الاباضية والتاريخ المحلي العماني • ويبدو أن هذه البحوث عبارة عن مقتطفات ـ أو فصول من رسالته للدكتوراة • ومن هذه الدراسات : المقالة التي نشرها عن الاصول التاريخية لدولة عمان • وقد أشار فيها الى الحركة الاباضية وأثرها في التاريخ العماني في العصور الاسلامية •

وبالرغم من اشارته المقتضبة لحركة الاباضية في مرحلة الكتمان في البصرة ودور التجار الاباضية في تمويل الدعوة الا أنه لا يعطي أية تفاصيل ، بل انه لا يوضح كيف انتشر المذهب الاباضي في عمان ، ولم يذكر أحدا من الدعاة (حملة العلم) الذين أرسلهم أئمة الاباضية ومشايخها في البصرة الى ذلك القطر في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية • وبناء على ذلك فان هذه المقالة عديمة الفائدة لبحثنا عن أصول الدعوة الاباضية في دورها السري في البصرة • ومن ناحية أخرى فان هذه الدراسة مهمة لكل من يريد البحث في التاريخ العماني وخاصة أنها تتضمن معلومات جيدة عن هجرة القبائل العربية واستقرارها في عمان ودور هذه القبائل في صنع تاريخ ذلك القطر • وقد اعتمد المؤلف في بحثه هذا على مخطوطة أنساب العرب للعوتبي بالاضافة الى مصادر أخرى أقل أهمية (٢٣) •

وفي بحثه الذي نشره في عام ١٩٧٦ عن آل الجلندي في عمان ، ركز ولكنسون في حديثه على الفرع المعولي من هذه الاسرة ، وهو الفرع الذي حكم عمان حتى الربع الاخير من القرن الثاني الهجري ، أي حتى تأسيس الامامة الاباضية الثانية في عمان نحو عام ١٧٧ هـ • ورغم حديثه عن الامام الاول الجلندى بن

---

٢٢ ـ J. C. Wilkinson, **Arab settlement in Oman : The Origins and Development of the Tribal Pattern and its Relationship to the Imamate**... Unpublished D. Phil. Thesis. Oxford. 1969.

٢٣ ـ J. C. Wilkinson. "The Origins of the Omani state", in **Arabian Peninsula**, ed. p. HOpwood, London. 1972.

٢٤ ـ J.C. Wilkinson, "The Julanda of Oman", **Journal of Omani studies,** London-Muscat (1976), pp. 97-108.

مسعود فانه لم يعط معلومات ذات شأن عن تأسيس الفرقة الاباضية في البصرة ودور اباضية البصرة في انتقال المذهب الى عمان ، ولكنه أشار باختصار الى العلاقة الوثيقة بين الازد والحركة الاباضية .

أما مقالته الاخيرة عن الامامة الاباضية التي نشرها في مجلة معهد الدراسات الشرقية والافريقية (٢٥) فتكاد تكون ترجمة لما ورد من معلومات عن الامامة الاباضية في مخطوطة كنز الاديب وسلافه اللبيب للصائغي المحفوظة في مكتبة جامعة كمبردج (٢٦) . والحقيقة أن ولكنسون قد تكلم في هذه المقالة عن الامامة في وقت الظهور أي ما يسمى في المصادر الاباضية بامامة البيعة أو امامة الظهور . ولم يشر فيها الى امامة الكتمان وهي التي تهمنا في البحث عن نشأة الحركة الاباضية . ولما كانت اهتمامات ولكنسون محصورة حتى الان في تاريخ عمان فان الامثلة التي أوردها في هذا المجال مأخوذة من تاريخ تطور الامامة في ذلك القطر . ورغم عدم استقصاء المؤلف للمصادر الاباضية المختلفة التي عالجت هذا الموضوع فان بحثه عن الامامة مفيد لطالب التاريخ المحلي العماني ولاولئك الذين يبحثون في تاريخ الحركة الاباضية بعد انتصار دعوتها وتأسيس الدول الخاصة بها .

ولم يقتصر اهتمام الاوروبيين بدراسة تاريخ الحركة الاباضية على الناحية السياسية ، بل التفتوا أيضا الى دراسة العقيدة الاباضية من جوانبها المختلفة ومقارنتها بالمذاهب الاسلامية الاخرى . وأول من فتح الباب في هذا المجال هو المستشرق موتيلنسكي Motylinski الذي نشر في عام ١٩٠٥م ترجمة بالفرنسية لكتاب عمرو بن جميع المتعلق بالعقيدة الاباضية (٢٧) .

وفي عام ١٩١٦ نشر المستشرق الايطالي المعروف نللينو بحثا عن تأثير المعتزلة في العقائد الاباضية مركزا بحثه على اباضية شمال افريقية . والبحث عبارة عن مقالة قصيرة بين فيها الكاتب العلاقات بين المعتزلة والاباضية من الناحية الفكرية . ولا يوجد في هذا البحث المختصر ما يفيدنا في حديثنا عن

---

٢٥ — J.C. **Wilkinson**, "The Ibadi Imama", **B.S.O.A.S.** VOL. 39, pp. 535-551.

٢٦ — **Sálim b. Sa'id al-saighi, Kanz al-Adib wa sulafat al-Labib,** Cambridge University Library, Ms, no. (Add. 2896).

٢٧ — A. de C. Motylinski, "L' 'Aqide des Abadhites", **Recueil de Me'moires** et de Textes Publies en L'honneur du XIV Congris des Orientalistes, Algier (1905).

نشأة الحركة الاباضيــــــة فـــــي المشرق (٢٨) ·

وفي عام ١٩٢٨ كتب المستشرق Smogorzewski بحثا عن العلاقة بين المذهبين المالكي والاباضي في شمال افريقية · وقد اعتمد المؤلف في هذه الدراسة على ما جاء في قصيدة اباضية مجهولة المؤلف (٢٩) ·

وفي عام ١٩٦٤ نشر المستشرق الايطالي Rubinacci بحثا جيدا عن العقيدة الاباضية اعتمادا على كتاب **عقيدة التوحيد** للمؤلف الاباضي ، أبي زكريـا الجناوانـي (٣٠) · وقد وضح هذا المستشرق العلاقة بين المذهب الاباضي (كما شرحه الجناواني) وبين المذاهب الاسلامية الاخرى · وأرفق الدراسة بترجمة ايطالية لكتاب الجناواني الانف الذكر ((٣١) ·

ولكن المؤلف لم يعط معلومات هامة عن نشأة الحركة في البصرة · وقـــد أورد ملخصا لهذه المعلومات في مقالته التي نشرها بالانجليزية في كتاب الدين في الشرق الاوسط (٣٢) · وقد نشر هذا العالم بحثا آخر في الفقه الاباضي قارن فيه بين موضوع الطهارة عند الاباضية والموضوع نفسه عند أتباع المذاهب والفرق الاسلامية الاخرى (٣٣) · وللمؤلف بحث آخر حول العلاقة بين الاباضية والخليفة الاموي ، عبد الملك بن مروان (٣٤) · وقد اعتمد المؤلف في بحثه هذا على الرسائل التي بعث بها عبدالله بن اباض الى الخليفةالمذكور · وقد وردت هذه الرسائل (أو النصائح كما يسميها الاباضية) في كتـاب الجواهر المنتقاة

---

٢٨ _ C.A. Nallino, "Rapporti fra la Dogmetico Mu'tazilita e quella deghli, Ib'aditi dell' Africa Settentrionale", **R. S. O.**, vol 7, pp. 455-460.

٢٩ _ Z. Smogorzewski, "Un Po'eme ab'adite sur certaines divergences entre les M'alikites et les Ab'adites" **Rocknik Orientalistyezny,** vol.2, pp. 260 - 268.

٣٠ _ طبع هذا الكتاب طبعة حجرية في الجزائر عام ١٣٢٥ هـ ·

٣١ _ R. Rubinacci, "La Professione di fede di al - Gann'awuni' **A.I.O.N,** Vol. 14, (1964) pp. 552-592.

٣٢ _ R. Rubinacci, "The Ib adis", **Religion in the Middle East**, vol. 2, pp. 302 317.

٣٣ _ R. Rubinacci, "La Purita rituale secondo gli Ib'aditi", **A.I.O.N, N.S.** vol. 6 (1954-6) pp. I-41.

٣٤ _ R. Rubinacci, "Il califfo 'Abd al - Malik b. Marwan e gli Ib'aditi", **A. I. O. N.**

للبرادى ، وفي كتاب كشف الغمة للأزكوي • ولعلها موجودة في مصادر أخرى لم أتمكن من الاطلاع عليها • على أن أهم من كتب عن الاباضية والذي يجب أن نعير بحوثه اهتماما خاصا هو المستشرق البولندي ليفتسكي Lewicki فقد نشر هذا العالم مقالات وبحوثا عديدة حول مختلف أطوار الحركة الاباضية ونشاطاتها منذ بداية ظهورها حتى يومنا هذا (٣٥) • ومعظم دراساته تتناول تاريخ الحركة في شمال افريقية • ويؤخذ عليه التكرار في كثير من بحوثه فهو ينشر بحثا مثلا عن الاباضية في شمال افريقية ثم يعود فيكرر المعلومات نفسها في مكان آخر وبعنوان اخر يختص بجزء من شمال افريقية مثل تونس أو غير ذلك • ورغم ذلك فان بحوثه عن تاريخ الحركة الاباضية في شمال افريقية تعد أفضل البحوث المنشورة الى الان (٣٦) • ولعل مرد ذلك يعود الى أنه زار المنطقة وعاش فيها مدة من الوقت ـ كما ذكرنا سابقا ـ مما أتاح له الاطلاع على المصادر الاباضية ، كما تعرف عن كثب على المجتمعات الاباضية وتنظيماتهم الخاصة بهم • هذا بالاضافة الى أن ليفتسكي قد استفاد بشكل جيد من المخطوطات المحفوظة في بولونيا • كما انه يملك عددا من المخطوطات الاباضية مثل سير الوسياني والورجلاني وغيرها • وعلى أية حال فان أهمبحوثه التي تفيدنا في موضوع دراستنا هو مقالته عن الاباضية في الطبعة الثانية من الموسوعة الاسلامية • ولعلها الدراسة الوحيدة الهامة باللغات الاوروبية التي تلقي ضوءا على نشأة الحركة الاباضية في البصرة خلال القرنين الاول والثاني الهجريين • وقد كرر المعلومات الواردة في هذا البحث في مقالة أخرى نشرها في مجلة تاريخ العالم التي تساعد منظمة اليونسكو التابعة للامم المتحدة على اصدارها (٣٧) •

ورغم أهمية دراسته عن نشأة الاباضية في البصرة في الفترة الاولى من تكوين فرقتهم فقد جاء بحثه ناقصا في كثير من الجوانب نتيجة لعدم اطلاعه على بعض المصادر الاباضية ، والتي تحوي معلومات جديدة ومفيدة حول هذا الموضوع • أضف الى ذلك فان ليفتسكي Lewicki لا يعير اهتماما للمصادر السنية في بحوثه مما يؤدي به الى أن يعطي آراء تنقضها بصراحة ، المصادر

---

٣٥ ـ عن الدراسات التي قام بها هذا المستشرق انظر قائمة المراجع الاجنبية المثبتة في نهاية بحثنا .

٣٦ ـ هناك رسالة دكتوراه باللغة الفرنسية غير منشورة كتبها الدكتور ابراهيم فخار المدرس في جامعة وهران بالجزائر • وهو نفسه اباضي وتتناول الرسالة دراسة المجتمعات الاباضية في شمال افريقية منذ العهد الفاطمي وقضائهم على الدولة الرستمية عام ٢٩٧ هـ وقد اشرنا للرسالة في الصفحات السابقة .

٣٧ ـ قارن : T. Lewicki, "Ibadiyya", E.I, and T. Lewicki, : The Ibadites in Arabia and Africa", translated by Marianna Abrahamowicz **Cahiers D'Histoire Mondiale,** vol. 13, partI (1971) pp.51-80.

السنية المتوافرة . من أمثلة ذلك قوله ان سلمة بن سعد ، الداعية الاباضي في شمال افريقية ، كان من بين العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز لتعليم البربر مبادىء الدين الاسلامي . ولو رجع لقائمة العشرة الذين أرسلهم الخليفة المذكور والمثبته أسماؤهم في المصادر السنية لما ظهرت هذه العبارة في دراسته (٣٨) . وفي بعض الاحيان نراه يسيء فهم بعض النصوص الواردة في المصادر أو يتكلف كثيرا في استنتاجاته ، كما فعل عندما أشار الى أن يزيد ابن أبي مسلم ـ كاتب الحجاج ـ بأنه من الخوارج (٣٩)، لانه كان على علاقات ودية مع جابر بن زيد ، أمام الاباضية ، وهذا يتناقض مع الحقيقة المعروفة والمثبتة في كل المصادر ، السنية منها والاباضية ، بأن يزيد كان التلميذ والخادم المخلص لسيده ، الحجاج ، الذي قمع الخوارج بدون هوادة . ليس هذا فحسب بل أن يزيد نفسه قد لاقى حتفه على أيدي الخوارج عام ١٠٢هـ ، عندما عين واليا على افريقية زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك (٤٠) . بالاضافة الى ماذكرنا فان هناك بحوثا أخرى عن بعض جوانب تاريخ الحركة الاباضية أو تاريخ الاقطار التي انتشرت فيها تلك الدعوة . وتعتبر أقل أهمية من الدراسات التي أشرنا اليها في الصفحات السابقة . وسيرى القارىء ثبتا بعناوين تلك الدراسات والبحوث في قائمة المراجع الاجنبية المرفقة في هذا البحث .

يبدو من استعراض الدراسات الحديثة التي قام بها المستشرقون أنهم (باستثناء ليفتسكي) أهملوا الفترة الاولى من تاريخ الحركة ، وهي فترة التكوين والتنظيم السري في البصرة خلال القرنين الاول والثاني الهجريين . ولعل مرد ذلك الى ندرة المصادر التي تتكلم عن هذا الموضوع والى صعوبة استقصاء المعلومات المتوافرة في المصادر الموجودة . وذلك لان الباحث سيجد نفسه مضطرا لان يكتب تاريخا لحركة سرية معتمدا في ذلك على مصادر اباضية لم تفرد عناوين أو فصولا خاصة بالموضوع . بل ان المؤلفين الاباضيين لم يخطر لهم أن من واجبهم الخوض في هذا الموضوع ، واجلاء غوامضه الا من خلال الحديث عن مشايخ وأشخاص لهم مكانة خاصة في نفوس أتباع هذه الفرقة . ومن هنا فان على الدارس لهذه الفترة أن يجمع معلوماته ويرتبها من الروايات المتفرقة والمبعثرة في كتب الطبقات الاباضية. وأحيانا فان عليه أن يحلل ويستنتج بناء على استقراء وتفحص عميق للاساطير والكرامات المنسوبة الى بعض أئمة ومشايخ الاباضية حتى يكون

---

٣٨ ــ عن هؤلاء العلماء العشرة الذين بعثهم الخليفة عمر بن عبد العزيز الى شمال افريقية انظر : المالكي ، **رياض النفوس** ، ج١ ، ص ٦٤ ــ ٧٦ ، ابو العرب ، **طبقات علماء افريقية وتونس** ، ص ٨٤ــ٨٧ .

٣٩ ــ T. Lewicki, "Ibadiyya, E. I (2).

٤٠ ــ ابن خلدون ، **عبر** ، ج٦ ، ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

صورة أقرب ما تكون الى الوضوح عن هذا الموضوع الغامض . بالاضافة الى ذلك فان معظم المصادر الاباضية اما مخطوط أو مطبوع على الحجر ، وبذلك يصعب على الباحث الاستفادة منها لعدم وجود الفهارس أو لعدم وضوح الخط ، وعليه بالتالي أن يقرأ مجلدات بكاملها حتى يحصل على رواية مفيدة أو اشارة قد تنير له السبيل في هذا الشأن . والحقيقة ، وبناء على تجربتي الخاصة ، أن الباحث قد يقرأ مؤلفا مخطوطا مكونا من عدة مجلدات ثم لا يخرج منه بشيء مفيد في دراسة نشأة الحركة الاباضية في مرحلتها السرية . أما عن العقيدة والفقة الاباضي فان المعلومات كثيرة ومتوافرة ويمكن الحصول عليها . لان الكتاب الاباضية المتأخرين قد اعتنوا بهذه المواضيع عناية كبيرة وكتبوا فيها أسفارا ضخمة ، اعتقادا منهم بوجوب حفظ عقيدتهم من الزوال . وكانت معظم هذه المؤلفات تحفظ في أماكن سرية حتى لا تتعرض للتدمير من جانب أعدائهم في المذهب كمل حصل للمكتبة المعصومة في مدينة تاهرت الاباضية التي أحرقها الفاطميون عندما استولوا على المدينة في عام ٢٩٧هـ .

بالاضافة الى العقائد والفقه فاننا نلاحظ أيضا توافر المعلومات فيما يتعلق بالاباضية في مرحلة الظهور ، وبعد أن كونوا دولا خاصة بهم في عمان وشمال افريقية . والواقع أن هذه المعلومات يمكن الحصول عليها من المصادر السنية والشيعية أيضا بالاضافة الى المصادر الاباضية . ويمكن للباحث بعد التحليل والنقد أن يتوصل الى نتائج مقبولة في هذا المضمار . وليس من الغريب بالتالي أن نرى معظم أبحاث الاوروبيين قد انصبت على تاريخ الحركة الاباضية في شمال افريقية ثم في عمان بعد تأسيس امامة الظهور والدول الاباضية في تلك الاقطار . أما نصيب التنظيم السري (أو ما يعرف بمرحلة الكتمان) للفرقة الاباضية في البحوث والدراسات الاوروبية الحديثة فلا يعدو ـ كما رأينا ـ الاشارات العابرة المقتضبة للدعاة أو حملة العلم الذين أرسلوا الى الامصار الاسلامية لنشر الدعوة فيها بعيدا عن أنظار ومتناول السلطة المركزية في العراق .

أما الدراسات العربية عن الفرقة الاباضية فهي قليلة جدا ، ومعظم ماكتب حول هذا الموضوع يتعلق بتاريخ الثورات والدول الاباضية في بلاد المغرب وعمان . وحتى السنوات الاخيرة فان البحوث التي ظهرت في هذا الشأن عبارة عن فصول من كتبتعالج تاريخ منطقة معينة تضم عددا من الاباضية بين سكانها مثل بلاد المغرب . أو مقالات تعالج ثورات الاباضية ضد الولاة والحكام في العصور الاسلامية . ومن المؤلفات التي تناولت مثل هذه المواضيع: كتاب تاريخ المغرب العربي للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، أستاذ التاريخ الاسلامي في جامعة الاسكندرية . وقد تكلم فيه باسهاب عن ثورات

الاباضية ضد الولاة الامويين والعباسيين . كما خصص الفصل الثاني من الباب الخامس للحديث عن تاريخ الدولة الرستمية الاباضية . وقد اعتمد المؤلف على المصادر السنية المطبوعة والمخطوطة كما استفاد بشكل جيد مما ورد في كتاب **السير** للشماخي الاباضي المذهب . وتعد دراسته مرجعا هاما لطلاب تاريخ المغرب العربي (٤١) .

وفي عام ١٩٧٣ نشر رفعت فوزي عبد المطلب كتابا بعنوان : **الخلافة والخوارج في المغرب العربي : الصراع بينهما حتى قيام دولة الاغالبة** ، وقد تحدث فيه عن ثورات الخوارج الصفرية والاباضية في شمال افريقية في الفترة المذكورة . وقد اعتمد في بحثه على بعض المصادر الاباضية مثل **سير** الشماخي بالاضافة الى المصادر السنية المعروفة . وقد جاءت آراؤه موضوعية ومتوازنة . ورغم انه عرض في الفصل الاول من دراسته لنشأة الخوارج في المشرق الا أنه ردد أقوال كتب الملل والنحل والاراء التقليدية حول هذا الموضوع . ولم يأت بجديد حول تكون الفرقة الاباضية في البصرة رغم اشارته المقتضبة الى **حملة العلم** الذين أرسلهم أئمة البصرة الى بلاد المغرب لنشر المذهب الاباضي هناك (٤٢) .

في نفس العام (١٩٧٣م) نشر الدكتور محمود اسماعيل عبد الرازق كتابه : **الحركات السرية في الاسلام ، رؤية عصرية** ، وقد أشار المؤلف الى أن الحركة الاباضية كانت احدى هذه الحركات السرية . كما لمح لدور علماء البصرة ومشايخها في تدريب الدعاة (حملة العلم) الذين أوفدوا الى الولايات الاسلامية المختلفة للتبشير بالدعوة الاباضية . ولكن ما قاله في هذا الموضوع لا يعطي صورة واضحة عن نشأة الحركة وتنظيماتها السرية . وقد اعترف الكاتب بأن الصورة التي رسمها حول هذا الموضوع هي « صورة باهتة » لعدم توافر المصادر الكافية (٤٣) . وفي عام ١٩٧٦ نشر المؤلف نفسه كتابا اخر اسماه : **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري** . وقد تحدث فيه باسهاب عن حركات الخوارج ودولهم في شمال افريقية منذ بداية تسرب الاراء الخارجية لتلك المنطقة في أواخر القرن الاول الهجري حتى قضي على قوتهم السياسية كليا على أيدي الفاطميين . وقد اعتمد الدكتور محمود اسماعيل في بحثه هذا على مصادر سنية وشيعية وفيرة كما استفاد من بعض المخطوطات الاباضية المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

---

٤١ — د . سعد زغلول ، **تاريخ المغرب العربي** ، ص ٢٨١ — ٣٩٨ .

٤٢ — رفعت فوزي عبد المطلب ، **الخلافة والخوارج في المغرب العربي : الصراع بينهما حتى قيام دولة الاغالبة** ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٤٣ — محمود اسماعيل عبد الرازق ، **الحركات السرية في الاسلام ، رؤية عصرية** ، القاهرة ، ١٩٧٣م. ص ٢٧، ٣٠ — ٣٢ .

أما عن نشأة الحركة الاباضية في المشرق فلم يقدم أية معلومات ذات شأن . الا أن المؤلف بذل جهدا مشكورا في دراسة تاريخ الحركة في شمال افريقية ودرس بعمق تاريخ الدولة الرستمية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية (٤٤) .

أما **كتاب الاباضية بالجريد** الذي وضعه صالح باجية ، فلا يزودنا بأية معلومات ذات قيمة عن نشأة الحركة في المشرق . وركز الباحث كلامه على تاريخ الاباضية في منطقة الجريد ، جنوب تونس . أما حديثه عن تسرب الدعوة الى بلاد المغرب فيبدو ناقصا ولم يأت بجديد . كما أن خطة البحث مضطربة وأبواب الكتاب غير منسقة . رغم ذلك فان اطلاع المهتمين ، بدراسة تاريخ الحركة في شمال افريقية ، على هذا الكتاب لا يخلو من الفائدة وخاصة أنه اسهب في الحديث عن تاريخ الحركة في تلك المنطقة من النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية وأثر ذلك في تاريخ المغرب . ويعطي بعض المعلومات المفيدة عن علاقة الاباضية ببلاد السودان الغربي .

باضافة الى هذه الدراسات فان الباحث في تاريخ الخوارج والاباضية في شمال افريقية يمكنه الاستفادة من مؤلفات الدكتور احسان عباس (٤٦) والاستاذ الطاهر الزاوي (٤٧) وحسن حسني عبد الوهاب (٤٨) والدكتور حسين مؤنس (٤٩) .

أما المؤلفات الحديثة التي كتبها أشخاص ينتمون الى الفرقة الاباضية فجلها تتصل بالعقيدة أو التاريخ المحلي للبلاد التي يعيشون فيها . وهي في محتوياتها لا تختلف عن المصادر الاباضية القديمة الا في الاسلوب . ومن أهم هؤلاء المؤلفين الاباضيين المحدثين : أبو اسحق اطفيش وبيوض ابراهيم ابن عمر والباروني وعلي يحيى معمر ومحمد علي دبوز من شمال افريقية . ونور الدين السالمي والبياسي وسالم بن حمد الحارثي من عمان . وسأشير هنا الى دراسات بعض هؤلاء المؤلفين التي تلقي بعض الضوء على موضوع بحثنا عن نشأة الحركة الاباضية فيالبصرة . ومن اهمها **كتاب الاباضية في**

---

٤٤ ــ محمود اسماعيل عبد الرازق ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري** ، الدار البيضاء ، ١٩٧٦ م .

٤٦ ــ احسان عباس ، **تاريخ ليبيا** ، بيروت ١٩٦٧ .

٤٧ ــ الطاهر الزاوي ، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** ، القاهرة (بلا تاريخ) .

٤٨ ــ حسن حسنيعبد الوهاب ، **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية** ، تونس ، ١٩٦٦ .

٤٩ ــ حسين مؤنس ، « ثورات البربر في افريقية والاندلس » **مجلة كلية الاداب** جامعة القاهرة (١٩٤٨) ج١٠ ص١٤٣ــ٢١٦ .

موكب التاريخ الذي وضعه الشيخ علي يحيى معمر(٥٠) · والكتاب في معظمه عبارة عن معجم عن حياة وأعمال الائمة والمشايخ والرجال البارزين من الاباضية في مختلف العصور وخاصة في شمال افريقية ، بالاضافة الى لمحات سريعة عن بعض المواقع الجغرافية المأهولة بالسكان الاباضيين في تلك المنطقة · ورغم أن المؤلف قد عرض في كتابه للحديث عن أئمة الاباضية في البصرة في المرحلة التي نحن بصدد الحديث عنها الا أن معلوماته لا تعدو أن تكون اقتباسات مختارة من كتب الطبقات والسير الاباضية · وبالتالي فان المؤلف لم يوضح الاسلوب ولا العمل الذي قام به مشايخ الاباضية في البصرة في سبيل نشر دعوتهم · ولا يخلو كتابه من تعصب واضح لفرقته رغم انه لم يحاول الاساءة الى الفرق الاسلامية الاخرى ·

أما في كتابه الثاني : الاباضية بين الفرق الاسلامية فقد عالج فيه روايات أصحاب المقالات من قدامى ومحدثين ، وكذلك أقوال بعض المستشرقين وحاول تفنيدها · ولكنه لم يتحدث في مؤلفه هذا عن نشأة الفرقة التي ينتمي اليها · وحبذا لو قام هذا العالم الاباضي بدراسة نشأة الحركة الاباضية في مرحلتها السرية في القرنين الاول والثاني الهجريين دراسة علمية موضوعية وخاصة أن بامكانه الاطلاع على كثير من المخطوطات التي لا يتسنى لاحد غير اباضي الاطلاع عليها ·

ولما كان يحيى معمر يدعو في كتابه للتآلف والمودة بين جميع المذاهب الاسلامية، ويطلب من المفكرين السنيين الاطلاع على المؤلفات الاباضية وسبر أغوارها حتى يدركوا الحقيقة حول عقيدة الاباضية ودورها المجيد في التاريخ الاسلامي ، فان من واجبه العمل على تسهيل هذه المهمة · اذ أن الباحث المسلم – غير الاباضي – يلاقي عنتا كبيرا وصعوبات لا حصر لها في سبيل الحصول على نسخة من كتاب اباضي مطبوع أو الاطلاع على مخطوطة اباضية محفوظة في المكتبات الاباضية الخاصة · وفي كثير من الاحيان فان الاطلاع على مخطوطة محفوظة في دار كتب أجنبية معروفة يعتبر أكثر سهولة من الحصول على كتاب اباضي مطبوع في بلد عربي اسلامي خلال العقدين السادس والسابع من القرن العشرين · فهل يسهم عالمنا الاباضي بحل هذه المعضلة ؟ أرجو ذلك !

وأما الباروني فقد ألف كتاب الازهار الرياضية الذي يعتبر مرجعا هاما لمن يريد الكتابة عن تاريخ الدولة الرستمية وخاصة أن المؤلف قد اقتبس معلوماته من مصادر اباضية قديمة · والحقيقة أنه في معلوماته وأسلوبه لا يختلف عن كتاب اباضي مؤلف في العصور الاسلامية · ويشير في بعض

---

٥٠ – علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٦٤م ·

الاحيان الى مصادره وفي أحيان أخرى يسبق حديثه عن موضوع معين بكلمة « ممزوج » أي أن الرواية التي أوردها قد استخلصها من مجموعة روايات قديمة ووضعها بالشكل الذي ورد في كتابه ٠ أما عن موضوع بحثنا فلا يورد معلومات ذات قيمة (٥٢) ٠

وهناك مؤلف اباضي اخر من شمال افريقية هو الاستاذ محمد علي دبوز ، أستاذ الادب والتاريخ في معهد الحياة الاباضي ، في مزاب ٠ وقد ألف كتابا أسماه : **تاريخ المغرب الكبير** ٠ واتبع في تأليفه أسلوبا جديدا يختلف عن غيره من مؤرخي الاباضية ومفكريها واستعمل ألفاظا عصرية مصنفا الدول الاسلامية في بلاد المغرب في العصور الاسلامية الى جمهورية وملكية ٠ وفعل مثل ذلك في بعض اشاراته الى المؤرخين المسلمين القدامى ، فهو يصف المؤرخين غير الاباضيين بالمؤرخين الملوكيين الذين يدسون أكاذيب مستوحاة من رغبات ساداتهم الحكام ٠ ولا حاجة للاشارة الى الصفحات التي استخدم فيها مثل هذه الالفاظ فهي موزعة في أبواب الكتاب ولا يخلو أي فصل من مثل هذه العبارات ٠ وقد أفاض في كتابه في الحديث عن الاباضية في شمال افريقية وخاصة تاريخ الدولة الرستمية الاباضية ٠ كما أشار الى ائمة الاباضية ومشايخها في مرحلة الكتمان ولكن أسلوبه عبارة عن خطب انشائية بعيدة عن الموضوعية والبحث العلمي الدقيق ٠ ومع ذلك فان الكتاب لا يخلو من فائدة لطلاب تاريخ المغرب العربي (٥٣) ٠

ويعتبر نور الدين السالمي أشهر مؤرخي عمان في العصر الحديث ٠ وقد أصيب بالعمى وهو في الثانية عشرة من عمره ٠ وتوفي في أوائل العقد الرابع من عمره عام ١٩١٤ ٠ ورغم ذلك فقد أنتج ما ينيف على اثنين وعشرين كتابا في التاريخ المحلي العماني والعقائد الاباضية ٠ ويعد كتابه المعنون : **تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان** (٥٤) ٠ أشهر هذه الكتب وانفعها للباحثين ٠ ويعتمد السالمي في كتابه هذا على كثير من المصادر القديمة التي يذكرها في ثنايا كتابه مثل كتاب **أنساب العرب** للعوتبي **وسيرة أبي المؤثر** وأبي سفيان محبوب بن الرحيل ، بالاضافة الى مصادر أخرى غير اباضية مثل المسعودي وابن الاثير وابن خلدون وغيرها ٠ ويذكر المستشرق ولكنسون (٥٥) ـ بعد

---

٥٢ ـ سليمان بن الشيخ عبدالله الباروني النفوسي ، **الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية** ، القسم الثاني مطبعة الازهار البارونية (بلا تاريخ) .

٥٣ ـ محمد علي ديوز ، **تاريخ المغرب الكبير** ، الطبقة الاولى القاهرة ، ١٩٦٣ . عن الاباضية انظر بشكل خاص الجزء الثالث .

٥٤ ـ نور الدين السالمي ، **تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان** ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٤ .

٥٥ Wilkinson, "Bio-Bibliographical Background to the Crisis Period in the Ibadi Imamate of Oman", art. Cit., p. 147.

مقابلته لما جاء في **تحفة الاعيان** بما ورد في المصادر التي نقل عنهـا ـ أن السالمي كان أمينا ودقيقا جدا في اقتباساته · ولما كان الكتاب في معظمة عبارة عن اقتباسات (أحيانا بتصرف لا يخل بالمعنى الاصلي) فان مؤلفه هذا يعتبر من المراجع الهامة لكل من يريد البحث في تاريخ عمان المحلي وعلاقاتها بجيرانها ، بالاضافة الى تطور الامامة الاباضية التي تشكل أحد المظاهر الاساسية في تاريخ ذلك القطر منذ بداية القرن الثاني الهجري وحتى يومنا هذا · ويفيد الكتاب في اعطاء معلومات مختصرة عن انتشار المذهب الاباضي في عمان وأسماء حملة العلم الذين ساهموا في نقل الافكار والمبادىء الاباضية من البصرة الى عمان · بالاضافة الى كتاب **تحفة الاعيان** فان الباحث يحصل على معلومات متفرقة من كتب السالمي الاخرى وخاصة كتاب **اللمعة المرضية** وكتاب **تلقين الصبيان** و**شرح الجامع الصحيح** ·

أما كتاب **العقود الفضية في أصول الاباضية** (٥٦) الذي ألفه المؤرخ الاباضي المعاصر سالم بن حمد الحارثي العماني فهو من المراجع الهامة أيضا في تاريخ الحركةالاباضية في المشرق والمغرب ويأخذ المؤلف معلوماته من مصادر قديمة مثل أبي سفيان محبوب بن الرحيل والدرجيني والشماخي والمبرد وابن الاثير وغيرها · أما فيما يتعلق بالاضية في طورها الاول فهو يقتدي بكتب طبقات الاباضية ويخصص فصلا لكل أمام · واذا قارنا ما أورده من معلومات مـع المصادر القديمة فاننا نجد أن حديثه عن مشايخ الاباضية القدامى : مثل جابر بن زيد وأبي عبيدة يكاد يكون منقولا عن**طبقات الدرجيني** · وهو ينقل بأمانة ولكن بتصرف ولذا فان كتابه هذا يعطي بعض المعلومات عن الحركة الاباضية في طورها السري من خلال الحديث عن أئمة المذهب الاوائل · وقد أشرنا الى هذه المعلومات في ثنايا هذا البحث ·

يتبين من هذا العرض التحليلي السريع للدراسات الحديثة حول الاباضية، أنها قد اهتمت بالمراحل المتأخرة من تاريخ الحركة الاباضيـة ولا تعطـي معلومات هامة عن نشأة الحركة وتنظيماتها السرية في البصرة خلال القرنين الاول والثاني الهجريين· والبحث الوحيد الذي أعار هذه القضية اهتماما خاصا هو بحث المستشرق البولندي ليفتسكي Lewicki الذي أشرنا اليه فـي الصفحات السابقة ·

---

٥٦ ـ سالم بن حمد الحارثي ، **العقود الفضية في أصول الاباضية** ، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنـان (بلا تاريخ) · عن أئمة الاباضية في البصرة ، أنظر الصفحات ٩٣ وما بعدها ·

الباب الثاني

الفصل الاول

تطور الخلافة وأثرها في ظهور الخوارج

كانت مشكلة الخلافة أول مسألة اشتد فيها الخلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخاصة أنه لم يرد في القرآن الكريم نص صريح يتم بموجبه اختيار رئيس الدولة ، كما ان الرسول عليه السلام لم يعين الشخص الذي سيتولى زعامة المسلمين بعده (١) . ونظرا لذلك تشعبت آراؤهم حول منصب الخلافة وتمخض الخلاف في هذا الموضوع عن اهم الفرق الاسلامية في صدر الاسلام ، كالخوارج والشيعة . ولفهم الظروف التي نشأت فيها تلك الفرق ، لا بد من اعطاء لمحة سريعة عن تطور منصب الخلافة ، وأثر ذلك في ظهور هذه الفرق وخاصة الخوارج أو المحكمة ، الذين انبثقت عنهم الفرقة الاباضية .

وضعت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الامة الاسلامية أمام مشكلة خطيرة الا وهي مشكلة خلافة الرسول عليه السلام وقيادة الامة، والاشراف على شؤونها من الناحيتين الدينية والدنيوية . أما الناحية الدينية فقد اكتملت قواعدها ورسخت جذورها ، وقد أكد ذلك قول الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » . الا أن هذا الدين لا بد له من يحميه ويعمل على انتشاره في مناطق جديدة لم تصل اليها الدعوة من قبل ، وخاصة أن الدين الاسلامي دين عالمي ليس مقصورا على العرب وحدهم ولا محدودا بالجزيرة العربية . ومن الناحية الدنيوية لا بد للامة من قائد وزعيم يحافظ على المكتسباب التي احرزتها في ظل الاسلام . وتتمثل هذه المكتسبات في الوحدة والعدالة ونبذ العصبية الجاهلية ، وقد حض الاسلام على التمسك بها في قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم » . والحفاظ على هذه المكتسبات وصيانتها تقتضي وجود زعيم يشرف على تطبيقها في الداخل ، ويرد عنها غائلة الاعداء من الخارج .

وأدركت الامة أن مصلحتها تحتم عليها أن تختار لنفسها زعيما يقوم

---

١ ـ باستثناء الرواية الشيعية التي تدعي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى لعلي بن ابي طالب بالخلافة .

بحمل المسؤولية وتدبير شؤون الدولة الاسلامية الفتية ٠ وقد رأى الانصار انهم أحق من غيرهم في هذه الزعامة ؛ فأسرع بعض قادتهم ووجهائهم الى سقيفة بني ساعدة ليختاروا من بينهم رجلا كفؤا خلفا للرسول عليه السلام ؛ معتقدين بأنهم أولى من غيرهم لتولي هذا المنصب ؛ وحجتهم في ذلك انهم هم الذين آووا الرسول ونصروه في زمن عسرته ، وأعزوا دينه ومنعوه واصحابه ممن أراد بهم سوءا ٠ ورشحوا سعد بن عبادة الخزرجي لمنصب الخلافة وقيادة الامة الاسلامية ٠ وعندما سمع المهاجرون بذلك سارع عدد منهم الى السقيفة ، من بينهم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم٠ وعندما وصلوا السقيفة تكلم أبو بكر وقال بأحقية المهاجرين في الخلافة ؛ لانهم أسبق الناس اسلاما وانهم اهل الرسول وعشيرته ، وقد تحملوا المشاق وتركوا أموالهم وبيوتهم وهاجروا بدينهم الى المدينة ٠ وذكر الانصار بأهمية قريش بين القبائل العربية وقال : « ان العرب لا تعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش وهم أوسط العرب دارا ونسبا » (٢) ٠ واكد عمر بن الخطاب هذا المبدأ عندما قال مخاطبا الانصار : « والله لا ترضي العرب ان يؤمروكم ونبيها من غيركم ، لكن العرب لا تمنع أن تولي امرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته» (٣) ٠ ثم حدث نقاش وجدل بين الطرفين وانحازت الأوس الى المهاجرين خشية أن تبقى الخلافة في الخزرج ان وليها أحدهم ٠ وقد عبر زعيم الأوس ؛ أسيد ابن حضير ، عن ذلك عندما خاطب اصحابه قائلا : « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا ابدا ٠٠٠ » (٤) ٠ ثم دب النزاع بين الخزرج أنفسهم عندما قام بشير ابن سعد ، أبو النعمان بن بشير الخزرجي ، وهو من زعماء الخزرج ، فأكد حق المهاجرين وأفضليتهم ، ودعا الى عدم منازعتهم هذا الامر (٥) ٠ وهكذا تطور النقاش في السقيفة لصالح المهاجرين وفازوا بما اعتبروه حقا لهم٠ وأشار ابو بكر على المجتمعين أن ينتخبوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة الا ان الاثنين رفضا الامر وناديا بمبايعة أبي بكر لانه أفضل المهاجرين وثاني اثنين اذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين»(٦)٠ وتمت بيعة أبي بكر واستطاع المسلمون ان يتغلبوا على أول مشكلة

---

٢ ــ الطبرى ، ج٣ ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ٠

٣ ــ الطبرى ، ج٣ ، ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ ٠

٤ ــ الطبرى ، ج٣،ص٢٢١ــ٢٢٢ ٠

٥ ــ الطبرى ، ج٣ ، ص ، ٢٢١ ٠

٦ ــ الطبرى ، ج٣،ص٢٢١ ٠

هامة واجهتهم بعد فقد رسولهم وزعيمهم محمد صلى الله عليه وسلم ٠

ويلاحظ في عملية انتخاب أبي بكر امتزاج العادات والتقاليذ العربية بالتعاليم الاسلامية ٠ ففكرة الانتخاب وعدم قبول مبدأ الوراثة فكرتان مأخوذتان من التقاليد العربية التي كان العرب يستندون اليها في انتخاب شيخ القبيلة ، وكذلك كبر السن والتجربة والخبرة فهي عادات عربية تؤخذ بعين الاعتبار عند انتخاب الشيخ أو الزعيم ولم يلغها الاسلام لانها لم تتعارض مع مبادئه ٠ أما اشتراط موافقة المسلمين على عملية الانتخاب وعدم الاقتصار في ذلك على موافقة أسرة الرجل او قبيلته فهي فكرة اسلامية وبذلك أصبح الخليفة زعيم أمة ورئيس دولة وليس شيخ قبيلة ٠

وتمثل الاتجاه الاسلامي أيضا بتفضيل السابقين في الاسلام ألا وهم المهاجرون ثم بتقديم ابي بكر رضي الله عنه لصحبته لرسول الله عليه السلام وأسبقيته وتفويض الرسول له بامامة المسلمين في الصلاة أثناء مرضه (٧) ٠

وعندما شعر ابو بكر بدنو أجله أحس بضرورة العهد من بعده حتى يجنب المسلمين الفتنة والاختلاف، وقد عبر عن ذلك بقوله : «اللهم اني لم أرد بذلك الا صلاحهم (المسلمين) وخفت عليهم الفتنة » (٨) ٠ ووجد أبو بكر ـ بعد تفكير عميق ـ أن عمر بن الخطاب هو أكفأ الصحابة الموجودين لتولي قيادة الامة الاسلامية في تلك الظروف التي كانت الجيوش الاسلامية فيها مشتبكة مع دولتي الفرس والروم . فقد كان عمر أفضل الموجودين خبرة وأكثرهم نفوذا في خلافة أبي بكر ٠ هذا بالاضافة الى أن خدماته الجليلة للاسلام لا ينكرها أحد ٠ أضف الى ذلك أنه لم يكن من فرع بارز من قريش وبذلك لن يخاف أحد من استبداد عشيرته وأقاربه في الحكم ٠ ولم يشأ أبو بكر أن يستبد بالامر ويفرض رأيه على المسلمين بل شاور كبار الصحابة الموجودين في المدينة ولقي تجاوبا من معظمهم (٩) ٠ بعد ذلك أملى ابو بكر على عثمان بن عفان وثيقة عهده لعمر بن الخطاب وجاء فيها « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد ابو بكر بن ابي قحافة في اخر عهده في الدنيا

---

٧ ــ الدوري ، **مقدمة** ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٤٨ ٠

٨ ــ بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٢٤٣ ٠

٩ ــ تردد قليل من الصحابة في قبول ترشيح عمر اما لانهم يفضلون عليا او لان بعضهم رأى ان عمر شديد . وعلى أية حال فان هذه المعارضة لم تتسم بالتطرف والعنف . انظر بلاذرى ، ج٢ ، ص ٢٤٣ ،٢٤٤ ، الطبرى ج٣، ص ٤٢٣ ، **الامامة والسياسة** ، ج١ ، ص ١٩ ، ابن الجوزى ، **سيرة عمر بن الخطاب** ص ٤٤ــ٤٥ ٠

خارجا منها ، وعند أول عهده بالاخرة داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويوقن المرتاب الفاجر ويصدق الشاك المكذب ، اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، فاني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيرا ، فان عدل فذاك ظني به وعلمي فيه ، وان بدل فلكل امرىء ما اكتسب والخير أردت ولا يعلم الغيب الا الله ... »(١٠)كان هذا العمل من جانب ابي بكر سنة جديدة في تطور منصب الخلافة ذلك انه اختار وليا للعهد من غير أقاربة (١١) ، ولم يترك الامر للمسلمين للتشاور فيه . وقام هو بنفسه بهذه الاستشارة في حدود طاقته ، وبالقدر الذي تسمح به الظروف التي كانت تمر بها الدولة . ولكنه حمل عمر المسؤولية في تنفيذ الامانة ، وحمل الامة مراقبة منهجه في الحكم كما يتضح من العبارات المقتضبة التي أملاها أبو بكر على عثمان في وثيقة العهد .

ويبدو ان عمر بن الخطاب قد فكر قبل أن يتلقى طعنات خنجر أبي لؤلؤة الفارسي المسمومة فيمن يحمل المسؤولية بعده . وكانت تراوده فكرتان : الاولى أن يستخلف واحدا من الصحابة ولكنه لم يكن مطمئنا لرجل بعينه (١٢)، والثانية أن يترك الامر للمسلمين لاختيار من يريدونه (١٣) . وبعد ان طعن عمر في المسجد وحمل الى بيته استقر رأيه - بعد الحاح من الصحابة بضرورة الاستخلاف - على أن يجعل الامر شورى .وقد حددها في ستة من الصحابة هم : علي بن أبي طالب ، عثمان بن عفان ، طلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص والزبير بن العوام . وقد بين عمر أسباب اختياره لهؤلاء النفر من الصحابة بقوله : « اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم ، وقد قبض رسول الله وهو عنكم راض » (١٤) . ثم أردف قائلا : « اني لا أخاف اختلاف الناس عليكم ان استقمتم ولكني أخاف عليكم اختلافكم

---

١٠ - بلاذري ، ج٢ ، ص ٢٤٣ ، انظر ايضا الطبرى ، ج٣ ، ص٤٢٩ ، ابن الجوزى ، **سيرة عمربن الخطاب** ص٨٢، ابن اعثم ، ج١ ، ص ١٥٢ .

١١ - يروى عن أبي بكر انه خاطب أصحابه وقال : « اني والله ماألوت من جهة الرأي ولا وليت ذا قرابة » . انظر الطبري ، ج٣ ، ص ٤٢٨ .

١٢ - يظهر عدم اطمئنانه لا ختيار واحد معين من بينهم من ملاحظاته على كل منهم : فقد كان يخشى من علي ، كونه رجلا فيه دعابة وبطالة وفكاهة ومن عثمان عصبيته وحبه لاهله وقومه ، وحملهم على رقاب الناس ، أما عبد الرحمن بن عوف فان فيه ضعف . وأما طلحة فيخشى كبرياءه وزهوه ، ويأخذ علي سعد انه صاحب حرب لا يصلح للسياسة . وأما الزبير فيخشى حدته وبعض الشح لديه ، انظر الماوردي ، ص ١١-١٢ ، بلاذرى ، ج٥ ص ١٦-١٧ ، **الامامة والسياسة** ، ج١ ، ص ٢٤-٢٥ ، اليعقوبي ج٢ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ابن ابي الحديد ، ج١ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

١٣ - بلاذرى ، ج١ ، ص ٥٤٢ - ٥٤٣ ، ج٥ ، ص ١٥ - ١٨ .

١٤ - الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٢٨ .

فيختلف النـــــاس ٠٠٠ » (١٥) وحـــدد عمـــر مـــدة الشـــورى بثلاثة أيـام وعين صهيبا الرومي ليؤم الناس في الصلاة ، ووكل للانصار مهمة مراقبة الشورى ، وحث المؤتمرين على الالفة وعدم الاختلاف ٠ واجتمع مجلس الشورى وطالت المناقشات ثم عهدوا الى عبد الرحمن بن عوف ليقوم باستطلاع رأي المسلمين ممثلين بوجهائهم وقياداتهم في المدينة ٠ وتشير بعض الروايات الى أن عبد الرحمن بن عوف قد وسع نطاق مشاوراته حتى انه استشار ضعفاء الناس ورعاعهم(١٦) ٠ واستقر رأيه على ن قوى المرشحين المفضلين للناس هما علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رغم أن أكثريتهم كانت تفضل عثمان ٠ وربما كان ذلك ناتجا عن دعاية قام بها الامويون في المدينة ـ وهم كثر ـ لصالح شيخهم عثمان ٠ ومن المحتمل أن قريشا لاتريد أن يتولى الخلافة أحد من بني هاشم حتى لا تبقى الخلافة فيهم ٠ وقد عبر علي بن أبي طالب عن هذا الاتجاه لدى قريش بعد بيعة عثمان فقال : « ان الناس ينظرون الى قريش ، وقريش تنظر الى بيتها فتقول : ان ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدا ، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم » (١٧) ٠

جعل عبدالرحمن بن عوف العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرةالخليفتين من بعده أساس الترشيح (١٨) ٠ وفي اليوم الرابع من انعقاد مجلس الشورى اجتمع المسلمون في المسجد الجامع ، وتقدم عبد الرحمن بن عوف من علي وطلب منه أن يقسم بأنه سيعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين الراشدين من بعده ، ولكن عليـا رفض ذلك وأعلن أنه سيعمل بكتاب الله وسنة نبيه وبمبلغ علمه وجهده وطاقته (١٩) ٠ ولـــم يشأ أن يقيد نفسه بسياسة اتبعها أسلافــه في ظروف مختلفة ٠ وحبذ العمل بكتاب الله وسنة رسوله والاجتهاد فيما يشكل عليه من أمور تكون وليدة الظروف والتطورات التي تمر بها الدولة الاسلامية ٠ ووافق عثمان بن عفان على الشروط والاسس التي وضعها عبد الرحمن بن عوف وأعلن موافقته على العمل بكتاب الله

---

١٥ ـ الطبرى ، ج٤،ص ٢٨٨ ٠

١٦ ـ الطبرى ،ج٤،ص٢٣١ـ٢٣٣ ، **الامامة والسياسة** ، ج١ ، ص ٢٦ ٠

١٧ ـ الطبرى ،ج٤ ، ص ٢٣٣ ٠

١٨ ـ كان عبدالرحمن بن عوف قد أعطى بقية أصحاب الشورى عهدا بان لا يخص ذا رحم ولا يأل المسلمين ، وأخذ عليهمبدوره العهد بأن يرضوا ويبايعوا لمن يختار ، انظر بلاذرى ، ج٥ ، ص ٢٠ ، ٢١ ، طبرى ، ج٤ ،ص٢٣١ ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧ ، الماوردي ، ص ١٢ ٠

١٩ ـ الطبرى ، ج٤، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، بلاذرى ، أنساب ، ج٥ ص٢٢ ، **الامامة والسياسة** ، ج١ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ، ابن ابي الحديد ، ج١،ص٥٣ ٠

وسنة رسوله وأن يسير على سنة الخليفتين من قبله (٢٠) • وتمت بيعة عثمان في ذي الحجة من عام ٢٣هـ • وفي خلافته واجهت الامة الاسلامية أخطر محنة مرت بها بعد حروب الردة ، وهو ما عرف في التاريخ باسم الفتنة • وقد أسهبت المصادر الاسلامية في الحديث عن الفتنة وأسبابها واختلف المؤرخون في تفسيرها • ولا يتسع المجال للحديث عنها في هذه الصفحات لان ذلك يخرج بنا عن نطاق البحث ، ويمكن للقارىء أن يعود الى المصـــادر والمراجع المختلفة التي تتناول هذا الموضوع بالتفصيل والتحليل ، ثم يكون لنفسه رأيا أو يتفق مع آخر ، طبقا لقناعاته واجتهاداته ، ووفقا للمقاييس العلمية والموضوعية التي يضعها لنفسه والأسس المنهجية التي يتبناها في محاولته الوصول الى الحقيقة (٢١) • ويبدو أن الثورة على عثمان لم تكن ثورة دينية بحتة ، كما أنها لم تكن موجهة ضد شخص عثمان بالذات وانما ضد الخليفة كائنا من كان • لقد كانت ثورة القبائل العربية ضـــد قريش لاستئثارها بالسلطة والمال • وهي أيضا ثورة المقاتلة ضد السياسة المالية التي انتهجها عمر بن الخطاب وسار عليها عثمان • وهي بالتالي ثـــورة الامصار ضد سلطة الحجاز والمدينة • وانتهت هذه الثورة بمقتل الخليفة الذي يمثل تلك السلطة •

لقد كان مقتل الخليفة عثمان سابقة خطيرة في تاريخ الاسلام اذ أن فريقا من الامة اعترض على سياسة الخليفة ، مستندا الى الفكرة الاسلامية التي توجب مراقبةالامة علىمنهج الحاكم ومفسرا تلك الفكرة وذلكالمبدأ بما يخدم أغراضه وأهدافه • وتطرف الثوار في أسلوب معارضتهم حتى أنهم اغتالوا الخليفة الذي توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه • ونتج عن هذا الحادث الاليم المفجع حرب أهلية ذهب ضحيتها آلاف المسلمين • وكانت

---

٢٠ ـ بلاذرى ، ج٥،ص٢٢ ،طبرى ، ج٤ ، ص ٢٢٨ ، ابن أبي الحديد ، ج٩ ،ص ٥٢ ، **الامامة والسياسة** ج١ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ •

٢١ ـ من أهم الدراسات الحديثة عن موضوع الفتنة ما يلي :

الدوري ، **مقدمة** ، ص ٥٠ـ٥٧ ، طه حسين ، **الفتنة الكبرى** ،

M. Hinds, "the Murder of the caliph Uthman", **IJMES,** Vol. 3, (1973), pp. 9; idem, "Kufan Political alignment and their background in the mid-seventh Century A.D." **IJMES,** Vol. 2 (1972), pp. 346 Wellhousen, **The Arab Kinodom,** pp.12ff. Gibb, "An interpretation of Islamic History", **Journal of World History,** Vol I (1953), p. 39 - 62, idem, **studies on the Civilization of Islam, London,** 1969, pp. 3-33 C. Brockelamann **History of the Islamic Peoples,** London, 1964. pp. 63-7.; **E. I,(1)** Art. Othman b. Affan.

هذه الحادثة البذرة الاولى التي تفتقت منها الاحزاب والفرق الاسلامية التي نشأت في بادىء الامر واختلفت حول منصب الخلافه ٠ ومنذ ذلك الحين أصبح للسيف وزن في تقرير أمر الخلافة وقيادة الامة الاسلامية ٠ أضف الى ذلك أن حادث اغتيال عثمان كان عاملا رئيسيا في انقسام قريش على نفسها (رغمأن هذا الانقسام كان موجودا ولكنه لم يتضح ولم يطف على السطح الا بعد مقتل الخليفة الثالث) ذلك الانقسام الذي استمر زمن علي بن أبي طالب وطيلة العصرين الاموى والعباسي ، وتمثل في معارضة العلويين للامويين ، ثم بمعارضة العلويين للعباسيين ٠ وأبرز هذا الحادث أيضا التيار القبلي والاقليمي داخل الدولة الاسلامية ٠ وكانت الفتنة بالتالي هي الحادثة الكبرى الاولى التي عبرت فيها القبائل عن وجهة نظرها في سياسة الخليفة واحقيته في البقاء في الحكم ٠ ومنذ ذلك التاريخ أصبح للقبائل دور كبير في اختيار الخليفة وتثبيته في منصبه بعد أن كان هذا الدور مقصورا على أهل المدينة ممثلين بكبار الصحابة من المهاجرين والانصار ٠

بعد مقتل الخليفة عثمان اختير علي بن أبي طالب لتولي منصب الخلافة وقيادة الامة الاسلامية ، وأنيطت به مهمة اعادة الاستقرار والهدوء للولايات المضطربة ٠ وكان اختياره قد تم بضغط من القبائل العراقية والمصرية التي اقتحمت المدينة وبتأييد من أهل العاصمة وخاصة الانصار والهاشميين (٢٢) ٠ وقد أدرك علي بن أبي طالب أن اختياره كان وليد فتنة قادها رجال القبائل من الامصار خارج الحجاز ٠ وتبعا لذلك فقد تردد في بادىء الامر في قبول منصب الخلافة (٢٣) ٠ وقد واجه في بداية حكمه مشكلتين أساسيتين : أحداهما اعادة الاستقرار والامن للدولة الاسلامية التي هددتها الفتنة ، وثانيهما القصاص من قتلة عثمان ، الخليفة رئيس الدولة ، وقد رأى علي بن أبي طالب أن يبدأ بحل المشكلة الاولى وقام باجراءات تنظيمية في الدولة منها عزل الولاة الذين تذمر منهم الناس في الامصار ، واعتبروا وجودهم وسياستهم عاملا من عوامل النقمة على الخليفة والسلطة المركزية في الحجاز ٠ وقد تم لعلي ما أراد الا في بلاد الشام حيث كان معاوية بن أبي سفيان (ومن قبله أخوه يزيد) واليا منذ أيام عمر بن الخطاب ٠واستطاع بسياسته ولباقته أن يجمع أهل الشام من حوله ولم يمتثل لاوامر الخليفة علي بن أبي طالب وعصى أمره ، وأعلن أنه ولي عثمان والمطالب بدمه ٠

وبينما كان علي بن أبي طالب يجهز الجيش للسير الى بلاد الشام واخضاع

---

٢٢ ــ الدوري ، مقدمة ، ص ٥٧، ٥٨ ٠

٢٣ ــ بلاذرى ، ج٢،ص ١٧٢، ١٧٣ ، ابن أعثم ، ج٢،ص٢٤٣ــ٢٤٧، طبري ، ج٤ ، ص٤٢٧ــ٤٢٨، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ٠

معاوية ، الوالي الثائر ، حدث ما لم يكن في الحسبان ، اذ ثار عليه طلحة والزبير وانضمت لهما عائشة أم المؤمنين ، وانسحب الجميع الى البصرة بحجة ملاحقة قتلة الخليفة عثمان ، وتختلف المصادر في أسباب حركة طلحة والزبير ، والارجح أنهما خرجا اعتقادا منهما بأن عليا قد اختير في ظروف غير عادية وبضغط من رجال القبائل الثوار الذين جاءوا من الامصار وسيطروا على العاصمة بعد استشهاد عثمان ، واعتبروا أن مبدأ الشورى لم يطبق بالشكل الصحيح في اختيار علي ولذا اعتقدا انه لا بد من اعادة الامر الى أهل الحل والعقد من المسلمين في المدينة لاختيار خليفة للمسلمين دون اكراه او ضغط من أحد ، وقد عبر طلحة والزبير عن هدفهما بعد أن وصلا البصرة وأعلنا « أنهم جاءوا للطلب بدم الخليفة المظلوم واقامة الحدود واعادة الامر شورى » (٢٤) ،

كان لخروجهم اثر كبير في موقف علي بن أبي طالب الذي اضطر لاعادة تقييم الموقف في ضوء الظروف والتطورات الجديدة ، فهناك بالشام وال رفض الخضوع للسلطة المركزية التي يمثلها الخليفة وأعلن حقه في ملاحقة قتلة عثمان والثأر له معتمدا على تقاليد وأعراف قبلية ، بينما يتجه صوب العراق فريق ثائر يتولى قيادته أشخاص ممن تستمع الامة الى رأيهم وتستجيب لدعوتهم وعلى رسهم طلحة الخير بن عبيدالله والزبير حواري رسول الله صلى عليه وسلم وعائشة أم المؤمنين ، وقد رأى الخليفة ان اشتباك جيشه مع هذه الفئة سابقة خطيرة يلتقي فيها سلاح المسلمين بسلاح اخوانهم في الدين بعد أن كانوا جميعا يدا واحدة ضد أي عدو يريد بهم سوءا ، وبعد تفكير عميق وجد علي بن أبي طالب ـ بصفته رئيس الدولة وخليفة المسلمين المسؤول عن شؤونهم والحامي لدينهم ـ أن من واجبه مواجهة المشكلة بحزم محاولا حل المشكلة بالطرق السلمية وطبقا للمبادىء الاسلامية وبما يتفق ومصلحة الامة الاسلامية في ذلك الظرف العصيب ، فخرج علي على رأس جيش صوب البصرة آملا أن يحول بين الثائرين وبينها ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك حيث دخل الثوار البصرة وقتلوا عددا ممن اعتبروهم شركاء أو محرضين على قتل الخليفة الثالث عثمان واستولوا من ثم على المدينة وارسلوا الى أهل الكوفة يدعونهم للانحياز الى قضيتهم ،

اتجه علي ومن معه ـ بعد أن فشل في اللحاق بالثوار ـ الى الكوفة حيث انضم اليه بعض الكوفيين ثم سار الى البصرة وحاول أن يقنع الثوار بالعدول عن موقفهم وتبادل الفريقان الوفود ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل وتطور الامر الى الاصطدام المسلح وتقابل الفريقان في معركة

---

٢٤ ـ بلاذري ، ج٢ ، ص ١٧٤،١٧٦ ،

« الخريبة » أو « الجمل » وكان النصر فيها حليف علي بن أبي طالب • وقتل طلحة والزبير أثناء المعركة وبعدها وأعيدت عائشة الى الحجاز والتحق الامويون الذين رافقوا الثوار بمعاوية في الشام (٢٥) •

وعندما فرغ علي من أمر البصرة اتجه صوب الشام لاجبار معاوية على الخضوع وحاول علي ـ كما فعل مع ثوار البصرة ـ أن يحل المشكلة سلما ودون اراقة دماء ، وأرسل وفودا الى معاوية محاولا اقناعه بالعدول عن رأيه والرجوع الى الجماعة • ولكن معاوية أصر على موقفه معتمدا على تأييد أهل الشام له (٢٦) • وتقابل الطرفان في صفين في ذي الحجة عام ٣٦ هـ •

واستمر القتال على شكل مناوشات بين الطرفين حتى محرم من عام ٣٧هـ حيث توقف القتال ، وأعاد علي محاولته لاقناع معاوية عله يثوب الى الحق ولكن دون جدوى ، وفي صفر من نفس العام تجدد القتال عنيفا بين الطرفين وقتل عدد هائل من الفريقين ثم رفع أهل الشام المصاحف منادين بحقن الدماء وتحكيم كتاب الله (٢٧) • وقد أدت هذه المكيدة من جانب الشاميين الى نشوب الجدل والنزاع بين أتباع علي بن أبي طالب ، اذ أن فريقا منهم كان يرى وجوب الاستجابة لطلب أهل الشام واللجوء الى تحكيم كتاب الله ، وفريق آخر على رأسه علي بن أبي طالب رأى في رفع المصاحف خدعة من قبل الشاميين • واحتدم الجدل والنقاش في الجانب العراقي ، واضطر علي في النهاية ـ تحت ضغط الاكثرية من جيشه ـ الى قبول فكرة التحكيم (٢٨) • ولكن الاختلاف بين العراقيين لم يقتصر على فكرة التحكيم فحسب بل تعداه الى تعيين الشخصية التي تمثلهم في أمر التحكيم • وبعد نقاش حاد ـ ظهر فيه التنافس القبلي بين اليمنيين والقيسيين ـ اختير أبو موسى الاشعري ليمثلهم في التحكيم رغم ارادة علي بن أبي طالب الذي كان يحبذ اختيار عبد الله بن عباس • أما الشاميون فقد اختاروا عمرو بن العاص • وكتب بين الطرفين كتاب التحكيم الذي ذكر فيه اسم علي بن أبي طالب مجردا من لقبه ، أمير المؤمنين (٢٩) •

بعد قراءة كتاب التحكيم ظهر النزاع من جديد بين العراقيين حول فكرة التحكيم وعارضه بعضهم بشدة مبررين ذلك بأنه لا حكم الا حكم الله وأنه لا

---

٢٥ ـ أنظر عن هذه الحوادث : الطبرى ، ج ، ص

٢٦ ـ بلاذري ، ج٢،ص١٨٢ـ١٨٣، منقري ، ص ٢٩ـ٣٠،٣٢،٨٨ـ٩٢،١٠٨ـ١١٠ •

٢٧ ـ طبرى ، ج٥،ص٤٨ ، منقرى ، ص ٤٨١ ـ ٤٨٧ •

٢٨ ـ بلاذرى ، انساب ، ج١ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ ـ ١٩١ ، ١٩٢ ، طبرى ، ج٥،ص٤٨ ، ٤٩ـ٥٠ منقري ، ص ٤٨٠ـ٤٨٦،٤٨٩ـ٤٩١ •

٢٩ ـ طبرى ، ج٥،ص٥٢ ، منقرى ، ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩ •

يجوز تحكيم الرجال في أمر من أمور الله (٣٠)۰ واستمر النقاش والجدل بين صفوف العراقيين وهم في طريق العودة من صفين الى الكوفة، وقد عبر المؤرخون عن هذا الخلاف بقولهم : « وخرج الناس الى صفين وهم أحباء متـوادون ورجعوا وهم أعداء متباغضون يضطربون بالسياط » (٣١) ۰ وقبل وصولهم الى الكوفة انشق جماعة من جيش علي الرافضين للتحكيم ونزلوا قريـة حروراء قرب الكوفة ۰ ومن هنا أطلق المؤرخون عليهم اسم الحروريـة أو المحكمة (٣٢) ۰ على أن هذا الانشقاق عن جيش علي لم يكن نهائيا ويبدو أن المناقشات قد استمرت بينهم وبين علي وتبادل الفريقان الوفود وجرت مفاوضات بين الطرفين أملا في الوصول الى حل يجمع شملهم على كلمـة واحدة ۰ ودخل قسم من المحكمة الكوفة وكانوا يصلون خلف علي في المسجد وكثيرا ما كانوا يقاطعونه في خطبه مرددين شعارهـم « لاحكم الا لله » ۰ واستمروا يدعون عليا لرفض التحكيم وعدم انفاذ أبي موسى الاشعري ۰ ولما رفض علي ذلك وأصر على عدم النكث بوعده ، يئس المحكمة من اقناعـه وتشاوروا في أمرهم ، وانتخبوا عبد الله بن وهب الراسبي اماما لهم ، وكاتبوا مؤيديهم في البصرة لملاقاتهم في النهروان بالقرب من المكان الذي بنيت فيـه بغداد فيما بعد ۰ وقد وافى البصريون اخوانهم في النهروان وكان عددهم ٥٠٠ رجل بقيادة مسعر بن فدكي التميمي (٣٣) ۰ ولم يكد الخوارج ينزلون النهروان حتى أتت الانباء بفشل التحكيم ۰ وكان ذلك بالفعل صدمة عنيفة لعلي ابن أبي طالب واعوانه الذين رفضوا نتيجة التحكيم وقرروا السير الى الشام لحسم الامر بالسيف مع معاوية وأهل الشام ۰ وحاول علي استماله المحكمة الذين نزلوا النهروان ولكنهم رفضوا (٣٤) ۰ وعندما يئس علي من انضمامهم اليه قرر السير الى الشام ولكن جماعته أصروا على ملاقاة المحكمة في النهروان قبل مواجهة معاوية وأهل الشام ۰ واضطر علي للاذعان فسار اليهم وحاول أن يقنعهم بالعدول عن رأيهم والرجوع الى الجماعة وتجنب القتال والفتنة ۰ ويظهر أن قسما منهم قد عاد وانضم الى علي، وقرر قسم آخر الحياد ، وبقي الاخرون بقيادة عبدالله الله بن وهب الراسبي على رأيهم ، فقاتلهم علي وانتصر عليهم في صفر في عـام ٣٨ هـ (٣٥) ۰

رغم هذه الهزيمة التي أنزلها علي بن أبي طالب بأهل النهروان فانه لم

---

٣٠ — طبرى ، ج٥،ص٥٥،بلاذرى ، ج٢،ص ١٩١ — ١٩٢ ، منقري ، ص ٥١٢ — ٥١٤ .

٣١ — بلاذرى ، ج٢ ص ١٩٢ ، طبرى ، ج٥ ، ص٥٧ ، ٦٣ .

٣٢ — بلاذرى ، ج٢،ص ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ — ١٦٩ ، طبرى ، ج٥ ،ص ٦٣ ،٦٤—٦٦ .

٣٣ — بلاذرى ، ج٢،ص١٩٥،١٩٦ ، ١٩٧ — ١٩٨ ، طبرى ، ج٥ ، ص ٧٢،٧٣،٧٤—٧٨ .

٣٤ — بلاذرى ، ج٢،ص ١٩٦ — ١٩٨ ، الطبرى ، ج٥ ، ص ٧٨ .

٣٥ — بلاذرى ، ج٢ ، ص ١٩٦—١٩٩ ، الطبرى ، ج٥،ص٨٥—٨٦ ، ٨٨ ، وانظر ايضا ص ٩١ .

يقض على المحكمة • واتخذ الباقون من معركة النهروان ذكرى أليمة تحفزهم للثأر لمن قتل من أصحابهم • وتتابعت ثوراتهم ضد علي بن ابي طالب الا أن هذه الثورات كانت صغيرة وعدد أتباعها محدود • واستطاع علي الانتصار عليهم في كل المعارك التي خاضوها ضده • الا انه في النهاية سقط شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي • وكان الاخير قد فقد كثيرا من أقربائه في معركة النهروان (٣٦) •

يبدو من أسماء القادة والاشخاص الذين تزعموا الحركة ضد التحكيم ثم قادوا أتباعهم في ثورات متلاحقة ضد علي بن أبي طالب (ومعاوية من بعده) أن معظمهم ينتمي الى القبائل العربية الشمالية التي أسلمت متأخرة ولم يكن لها تراث حضاري في الماضي وظل أفرادها يمثلون النزعة البدوية التي لا تقبل الخضوع لسلطة مركزية وخاصة أن تلك السلطة كانت تتركز فيقريش• ولا عجب أن تتمثل هذه النظرة القبلية عند اتباع الخوارج الاوائل وخاصة أولئك الذين ينتمون الى قبيلة تميم التي كانت من أكبر القبائل المضرية شأنا وعددا الا انها اسلمت متأخرة وأتت الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر الوفود وارتدت بعد وفاته وادعى أشخاص منها النبوة مثل سجاح (٣٧) • وقد خذل بنو تميم علي بن أبي طالب في معركة الجمل وحاربوا معه في صفين ولكنهم مالبثوا أن كونوا العدد الاكبر من فرقة الخوارج وقد شكى الامام علي من موقفهم فقال : « أليس من العجب أن ينصرني الازد وتخذلني مضر، وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة وخلاف تميم البصرة (٣٨) •

اتخذ الخوارج الاوائل من قبول علي للتحكيم مبررا للقضاء على التقليد المتعارف عليه في انتخاب الخليفة • فقد جرت العادة ـ كما رأينا ـ أن يقوم أهل الحل والعقد من المسلمين في المدينة بانتخاب الخليفة ثم تبايعه الامصار• ولكن زعماء الخوارج رأوا أن يحققوا حلمهم في التخلص من زعامة قريش ، وأعلنوا أن الخلافة يجب أن لا تكون وقفا على جماعة معينة وظهر ذلك في قولهم بعد انفصالهم في حروراء : « الامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣٩) • وعندما ثار الخريت بن راشد عام ٣٨ هـ ، خاطب أحد أصحاب علي وقال : « لم أرض صاحبكم اماما ولم

---

٣٦ ـ انظر المسعودي ، ج٤ ، ص ٤٢٦ ـ ٤٣٦ •

٣٧ ـ يقال أن شبث بن ربعي التميمي أحد زعماء الخوارج كان مؤذنا لسجاح حين أدعت النبوة • انظر ابن قتيبة ، **المعارف** ، ص ٤١٥ •

٣٨ ـ ابن ابي الحديد ، ج١ ، ص ٣٥٢ •

٣٩ ـ بلاذرى ، ج٢،ص١٩٤ ، طبرى ، ج٥ ، ص ٦٣ •

أرض سيرته فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو الى الشورى من الناس . فاذا اجتمع الناس على رجل لجميع الامة رضا كنت مع الناس (٤٠) . لاشك أن مبدأ الشورى قد أكده الاسلام وحض على اتباعه في كتابه الكريم . ورغم ذلك فمن المعتقد أن مناداة الخوارج بهذا المبدأ في تلك المرحلة لم يكن الا مبررا دينيا تبنوه للثورة على الخليفة الشرعي . وبالتالي كان مبررا للثورة على سلطة قريش وزعامة المسلمين الاوائل المتمثلة بالمهاجرين والانصار . والدليل على ذلك انهم لم يتقيدوا بهذا المبدأ عندما نجحوا في تأسيس دول خاصة بهم . (دولة الرستميين الاباضية ودولة بني مدرار الصفرية مثلا) . ولعل المناداة بهذا المبدأ كان سببا رئيسيا في انضمام عدد من الموالي الى الحركة الخارجية منذ بدايتها وقد قاموا بدور بارز في بعض ثورات الخوارج الاول مثل ثورة أبي مريم التي كان جل اتباعها من الموالي (٤١) .

والمتتبع لهذه الثورات الخارجية والشعارات التي رفعها قادتها يجد أن بعضا من الخوارج قد اتسم بالعنف والتطرف منذ بداية حركتهم . من ذلك البراءة من مخالفيهم واعتبارهم كافرين الا اذا تابوا (٤٢) . وتبعا لذلك فقد اعتبر الخوارج كل من عارضهم في ضلال وأنهم وحدهم الذين يمثلون الحق ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وانطلاقا من ذلك اعتبروا خروجهم بمثابة هجرة من دار الباطل والظلم الى دار الحق والجهاد مشبهين ذلـــك بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة متأولين قول الله عز وجل : « وخرج منها خائفا يترقب . قال رب نجني من القوم الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل » . وكثرت الدعوة بين الخوارج للابتعاد عن بقية المسلمين ، والهجرة الى مكان آخـر حيث يقيمون « دولة الحق » ويستأنفون الجهاد ضد الكفار (بقية المسلمين). أنظر مثلا على ذلك قول عبدالله بن وهب الراسبي مخاطبا أتباعه بعد اصرار علي على المضي في وعده في تنفيذ التحكيم : «ان هؤلاء القوم قد خرجوا لامضاء حكم الضلالة ، فاخرجوا بنا رحمكم الله الى بلدة نبعد بها عن مكاننا هـذا فانكم أصبحتم بنعمة ربكم أهل الحق » (٤٣) . وقال ايضا : « أخرجوا بنا

---

٤٠ ــ طبرى ، ج٥ ، ص ١٢٠ .

٤١ ــ بلاذرى ، ج٢ ، ص ٢١٥ ، يذكر روايتين : أحدهما عن المدائني والثانية باسناد جمعي ، ويشير المدائني الى أن أبا مريم كان في اربعمائة من الموالي والعجم ليس فيهم من العرب الا خمسة من بني سعد وأبو مريم سادسهم .

٤٢ ــ منقري ، ص ٥١٤ ، بلاذري ، ج٢ ص ١٩٣ــ١٩٨ ، الطبرى ج٥ ، ص ٧٨ ، المبرد ، ج١ ص٩،ج٣، ص١٦٥، **اخبار الدولة العباسية** ، ص٣٩ ــ ٤٠ .

٤٣ ــ بلاذرى ، ج٢،ص ١٩٦ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص١٢٩،١٣٢ .

معشر اخواننا من هذه القرية الظالم اهلها الى بعض السواد وبعض كـور الجبل منكرين لهذه البدعة المكروهة (٤٤) • وانطلاقا من هذه النظرة لبقيـــة المسلمين فقد أحل قسم منهم قتل مخالفيهم من المسمين باعتبارهم كفرة مرتدين وأمنوا أهل الذمة وحموهم (٤٥)• وبدأوا استعراض المسلمين وقتلهم• وتطورت هذه العادة القبيحة عند الازارقة فيما بعد حتى انهم جوزوا قتـل النساء والاطفال الصغار (٤٦) •

---

٤٤ ـ بلاذرى ، ج٢ ، ص ١٩٦ •

٤٥ ـ بلاذرى ، ج٢ ص ١٩٦ ، ١٩٨،١٩٧ ، طبرى ، ج٥ ص ٨٢ـ٨٣،١١٧ـ١١٨ •

٤٦ ـ عن اراء الازارقة : انظر الدجيلي ، **فرقة الازارقة** ، ص ٧٩ـ٩٠ •

الباب الثاني

الفصل الثاني

« تفسير الاباضية لنشأة الخوارج »
(مستمدا من المصادر الاباضية)

يرى الاباضية أن كلا من أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قد سار في سياسته طبقا لكتاب الله الكريم وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وحكم المسلمين بالعدل والاحسان ٠ ويعتبر أتباع هذه الفرقة أن فترة حكمهما كانت أفضل العهود التي عاشتها الامة الاسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويرون أن عثمان بن عفان كان دون الشيخين في مكانته وسياسته رغم أنه بويع من قبل المسلمين وعمل بالحق خلال السنين الست الاولى من خلافته ٠ وقد بقي المسلمون له مطيعين ومؤازرين ثم أحدث بدعا أنكرها المسلمون عليه ، وخالف فيها ما كان معروفا من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة الشيخين ، أبي بكر وعمر ، من بعده وتشير المصادر الاباضية باسهاب الى ما يعتبره الاباضية مآخذ على عثمان وسياسته ٠ والمتتبع للاتهامات التي توردها هذه المصادر ضد عثمان لا يرى خلافا كبيرا بينها وبين ما يرد من روايات في بعض المصادر السنية والشيعية حول هذا الموضوع ، الا أن المصادر الاباضية تطنب كثيرا فيما تسميه مساوىء عثمان وتفرد فصولا للحديث عن هذا الموضوع (١) ٠

ويرى الاباضية أن الثورة على الخليفة الراشدي الثالث كانت مشروعة وقتله كان واجبا ، ويعتبرون هذا العمل من خير ما فعله المسلمون ٠ ليس هذا فحسب بل انهم يعتقدون أن مقتل عثمان كان مساويا من حيث الاهمية لانتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى (٢) ٠ وتشير المصادر الاباضية الى اشتراك علي بن أبي طالب ومن كان موجودا في المدينة من المهاجرين والانصار

---

١) القلهاتي ،ورقة ٨٥ وما بعدها ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ٥٣ وما بعدها ، الازكوى ، ورقة ١١٢ ، شماخي **سير** ، ص ٣٠ وما بعدها .

٢) القلهاتي ، ورقة ٨٩ ، ٩١ .

في الثورة على الخليفة عثمان (٣)۰ ويعتبر الاباضية أنفسهم أتباعا وأحفادا لاولئك الثوار الرواد الذين تصفهم المصادر الاباضية بجماعة المسلمين ، وهو الاسم الذي تطلقه الاباضية فيما بعد على نفسها وتعتبره وقفا على أتباعها دون غيرهم ، أما بقية المسلمين فيصفونهم بالموحدين (٤) ۰

ولما قتل عثمان اجتمع المسلمون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوا علي بن أبي طالب « على طاعة الله ورسوله ، وأن يتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسير بسيرة الخليفتين المرضيين ، أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، بعد أن ترددوا عليه أياما وهو يأبى عليهم »(٥)۰ وتذكر المصادر الاباضية أن عليا بدأ عهده بخطبة من على منبر مسجد رسول الله وجه فيها نقدا صريحا للخليفة المقتول عثمان وقال : « ألا أن كل قطيعة قطعها عثمان ومال أعطاه من مال الله فهو مردود على المسلمين في بيت مالهم ، فان الحق قديم ولا يبطله شيء ۰ والله لو وجدته قد تزوج عليه النساء ، وتفرق في البلدان لرددته ، فان لكم في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فان الجور عليه أضيق » (٦) ۰

ولم يلبث علي بن ابي طالب طويلا بعد أن بايعه الناس بالخلافة حتى خرج عليه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام بعد أن بايعاه ۰ وترى المصادر الاباضية أنهما أتيا عائشة ، أم المؤمنين ، بمكة وأقنعاها بأن عليا استأثر بالامر دون مشورة من الناس ، « وان عثمان قتل مظلوما بعد أن ناب ، وخدعاها عن رأيها وبصيرتها في عثمان بعدما كانت تخرج المصحف من حجرها وتقول : أشهد بالله لقد كفر عثمان بما في هذا المصحف ۰ فلم يزالا

---

٣) يقول القلهاتي ان علي بن ابي طالب « كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحرض الناس على القتال » .. » ويقول في مكان اخر : « فان زعم أهل الشك والريب أن المسلمين من المهاجرين والانصار والتابعين لم يرضوا بقتل عثمان ، وانما قتله محمد بن ابي بكر في نفر معه ، وعامة المسلمين كارهون لقتله (قيل) لهم فلم لا يؤازرونه وينصرونه وهو بين اظهرهم لم يقتل غيله ، وانما هو حوصر شهرا او دونه ؟ أو كيف يجعلون عليا أميرا على انفسهم ولم يشهد بذلك ولم يرض به ؟ أم كيف يجوز لعلي ان يصحب قتلة عثمان ولا يقيم عليهم حد الله ورسوله ؟ أم كيف جاز له أن يحارب ويمنع من طلب بدمه ؟ بل لقد علم اهل البصائر واولو الالباب ان المسلمين اجتمع رأيهم على قتله بما استوجب عندهم من بغيه واحداثه ووضعه الامور في غير مواضعها .. انظر القلهاتي ورقة ٩٤ ــ ٩٥ ، انظر ايضا شماخي ، **سير** ، ص ٣٨ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٠٣ ۰

٤) القلهاتي ، ورقة ٩٠ ، ٩١ ۰

٥) القلهاتي ، ورقة ٩٤ ۰

٦) القلهاتي ، ورقة ٩٣ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ٩٧ــ٩٨ ۰

بها حتى أخرجاها عن بيتها » . وقبلت بمرافقتهم الى بلاد العراق وسار الجميع الى البصرة ودخلوها وقتلوا عددا من أهلها (٧) .

لما بلغ عليا أمر طلحة والزبير خرج للحاق بهم . فنزل الكوفة وخرج معه فريق من أهلها واتجهوا صوب البصرة واشتبكوا مع طلحة والزبير في معركة الجمل المشهورة وانتصر علي وقتل طلحة والزبير . « واستتيب الناس يومئذ من ولاية عثمان وطلحة والزبير ، ورجعت عائشة تائبة نادمة » . ودخل أهل البصرة في طاعة علي (٨) .

ولما استقر الامر لعلي خرج معاوية بن أبي سفيان في أهل الشام يدعو لمحاربة علي زاعما أنه يطلب بدم عثمان . والتقى الطرفان في صفين واقتتل الفريقان قتالا شديدا وكثر القتل في الفريقين حتى قيل ان عدد القتلى بلغ سبعين ألفا . ولما كثر القتل في أهل الشام وخاف معاوية من أن يستولي القتل في أصحابه استشار عمرو بن العاص الذي أشار عليه برفع المصاحف على أسنة الرماح ، وان يكاتب علي بن أبي طالب سرا ، جاعلا كتاب الله حكما في الخلاف بينهما ، فقبل علي بذلك رغم معارضة بعض أصحابه ومن بينهم الصحابي الجليل عمار بن ياسر الذي استمر يقاتل معاوية وأهل الشام حتى لاقى حتفه . وتسهب المصادر الاباضية بهذه المناسبة في الحديث عن عمار ابن ياسر وتورد أحاديث كثيرة منسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتشير الى أن عمار - الذي أصر على القتال - كان على حق وأن قاتليه وهم أهل الشام كانوا على باطل . ولذا لا تجوز موادعتهم الا أن يتوبوا ويخضعوا لسلطان علي ، الخليفة الشرعي (٩) . وتمضي المصادر الاباضية بعد ذلك فتقول أن عليا رجع الى الكوفة وجرت مراسلات سرية بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان قبل علي فيها أن يمحو لقبه ، أمير المؤمنين ، في مراسلاته ، نزولا عند طلب معاوية . ولما بلغ أصحابه مافعل خاطبوه وقالوا : « ماحملك أن تخلع نفسك من اسم سماك به المسلمون ؟ ألست أمير المؤمنين ومعاوية أمير الكافرين ؟ فتب مما صنعت . فتاب من ذلك » (١٠) . ثم أن معاوية كاتب عليا سرا وطلب منه امضاء العهد الذي أخذه على نفسه في التحكيم فاختار من جنده : أبا موسى الاشعري واختار معاوية عمرو بن العاص ليحكما بينهما فيما اختلفا فيه . ولما علم المسلمون (المحكمة) ذلك

---

٧) القلهاتي ، ورقة ٩٥ ، انظر ايضا شماخي ، **سير** ، ص ٤١-٤٤ ،

٨) القلهاتي ، ورقة ٩٦ ، شماخي ، **سير** ، ص ٤٤-٤٥ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٠٢ .

٩) القلهاتي ، ورقة ٩٨ ، شماخي ، سير ، ص ٤٥ ، هذه الاقوال محاولة من جانب الخوارج للتدليل على ان علي بن ابي طالب قد أخطأ ، طبقا لوجهة نظرهم ، في قبول فكرة التحكيم .

١٠) القلهاتي ، ورقة ٩٨ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٢٥ .

وتحققوا منه الحكومة بعد التوبة فارقوه ونزلوا أرضا من أرض الكوفة يقال لها حروراء · واجتمع فيها يومئذ عشرة الاف « من خيار الصحابة ورؤساء المسلمين وفقهائهم وقرائهم وعلمائهم ··· » ·

واجتمعوا في بيت عبد الله بن وهب الراسبي فعرضوا الامامة على حرقرص ابن زهير فأبى فعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقال : « هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرارا من الموت » فبايعوه وجعلوا الموعد بينهم النهروان (١١) · وتشير المصادر الاباضية الى أن معاوية بن أبي سفيان عندما بلغه خروج أهل النهروان من عسكر علي بن أبي طالب كتب الى علي : « انه قد بلغني أن طائفة من عسكرك خالفوك ، وخرجوا من عسكرك ، وقد تعلم أن الامر بيننا لا يتم اذا كان لنا منازع ، فان كان ذلك منهم عن غير رأيك وأحببت أن أكفيكهم فعلت » · ويذكر المؤرخ الاباضي ، القلهاتي أن عليا أراد أن يولي معاوية القيام بهذه المهمة ، ولكن أصحابه نصحوه بعدم الاقدام على مثل هذا العمل لان ذلك سيكون سابقة خطيرة تبرر لمعاوية التدخل في شؤون العراق وفي زرع الخلاف والنزاع بين العراقيين وخاصة أصحاب علي نفسه (١٣) ·

أثناء ذلك اجتمع الحكمان فخلع الاشعري عليا وثبت عمرو بن العاص صاحبه معاوية · وندم علي بعد سماع النبأ على قبوله فكرة التحكيم · وكتب الى أهل النهروان يطلب منهم العودة لمعسكره والرجوع لحرب معاوية وأهل الشام · وهذا نص رسالة علي لاهل النهروان كما توردده المصادر الاباضية : « بسم الله الرحمن الرحيم · من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الى زيد بن حصن وعبد الله بن وهب ومن معهما من المسلمين : سلام عليكم ، فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو أما بعد ، فان الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما وحكما بغير ما أنزل الله فبرىء الله منهما ورسوله (وانا) منهما بريء · فهلموا نعطكم الرضاء · ونرجع الى الامر الاول الذي طلبتموه مني ونقاتل عدونا وعدوكم حتى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين » · فكتبوا اليه جوابا هذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم · من أمام المسلمين عبد الله ابن وهب الراسبي وزيد بن حصن ومن معهما من المسلمين الى علي بن أبي طالب الخالع لنفسه : سلام على من اتبع الهدى وتجنب متالف الردى · أما بعد ، فأنا نحمد الله الذي لا اله الا هو · بلغنا كتابك تذكر فيه أن الحكمين نبذا كتاب الله ، وحكما بغير ما أنزل الله ، وقد علمنا ، فالحمد لله أن أمرهما

---

١١) القلهاتي ، ورقة ٩٩ ، البرادي ، الجواهر ، ص ١٢٩ ·

١٢) القلهاتي ، ورقة ١٠٠ ·

١٣) القلهاتي ، ورقة ١٠٠ ·

كان مخالفا للحق من أوله ، وأنت بتحكيمك اياهما أعظم جرما منهما • وذكرت أنك ترجع الى الحق وتعطي الرضا وترجع الى الامر الاول ، فلسنا نرد عليك توبتك فان كنت صادقا فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة امام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي ، فقد بايعناه بعد خلعنا اياك لاستحقاقك منا أن نخلعك ولا يسعنا الا ذلك والسلام » (١٤)•

رغم هذه اللهجة القاسية التي عبر فيها المحكمة عن رأيهم في علي بن أبي طالب فان المصادر الاباضية تشير الى أن عليا حاول مرة أخرى الوصول الى تفاهم معهم فأرسل عبد الله بن عباس لمناظرتهم أملا منه في أن يقنعهم بالعدول عن موقفهم • وجرت بين عبد الله بن عباس وبينهم مناقشات طويلة وكانت النتيجة عكس ما توخاه علي بن أبي طالب ، حيث يذكر المؤرخون الاباضيون أن ابن عباس قد اقتنع بوجهة نظر المحكمة وعاد وأخبر عليا بما حدث واعترف له بأنهم خصموه « ونقضوا عليه ما جاء به مما احتج به عليهم » وطلب من ابن عباس أن يعينه على قتالهم ، ولكن الاخير رفض وقال : « لا والله ، لا أقاتل قوما خصموني في الدنيا ، وانهم يوم القيامة لي اخصم ، وعلي أقوى وان لم أكن معهم لم أكن عليهم » (١٥)• ثم اعتزل ابن عباس معسكر علي وفارقه فكتب اليه علي يوبخه ويطلب منه مالا أخذه من بيت مال البصرة • ويذكر الاباضية أن ابن عباس رد عليه وقال : «قد علمت أخذي المال من قبل قولي في أهل النهروان ، ولو كان أخذي المال باطلا كان أهون من أن أشرك في دم مؤمن فكف عن القوم » (١٦) •

بعد فشل المفاوضات بين علي والمحكمة جرت معركة النهروان بين الطرفين وانتصر فيها علي وقتل من المحكمة ٤٠٠٠ رجل • وتشير الروايات الاباضية الى أن بعضهم كان ذا سابقة في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما تذكر أن معظم القتلى كانوا من القراء والفقهاء وأهل الشرف في الدين والرأي • وتسهب المصادر الاباضية في ذكر مناقب بعض هؤلاء الاشخاص مثل حرقوص بن زهير السعدي ، وتورد أحاديث منسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم تشير الى أن قاتليه هم الفئة الباغية (١٧) • وتشير المصادر نفسها أيضا الى أن علي بن أبي طالب قد ندم فيما بعد على حربه لاهل النهروان وكان يقول : « بئس ما صنعنا •• قتلنا خيارنا

---

(١٤) القلهاتي ، ورقة ١٠٠ •

(١٥) عن المناظرة بين المحكمة وابن عباس انظر : القلهاتي ، ورقة ١٠٠ — ١٠٦ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١١٩ — ١٢٢ ، الازكوي ، ورقة ٢٠٦ — ٢١٠ •

(١٦) القلهاتي ، ورقة ١٠٦ •

(١٧) المصدر نفسه ، شماخي ، **سير** ، ص ٥٤ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص١٣٤ •

وفقهاءنا » (١٨) ٠

وتوضح الروايات الاباضية أن أصحاب علي اختلفوا عليه بعد معركة النهروان وفارقه قسم كبير منهم وبقي يلاقي الخذلان تلو الخذلان حتى لاقى حتفه على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي مدحه عمران بن حطان فيما بعد وقال : -

يا ضربة من تقي ما أراد بها الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا (١٩)
اني لاذكر يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

مما مر يمكن أن نلخص آراء الاباضية في التطورات التي حدثت في صدر الاسلام وأدت الى نشوء حزب الخوارج بما يلي : -

١ - يرى الاباضية أن عثمان بن عفان رضي الله عنه حاد عن الطريق القويم في الفترة الاخيرة من خلافته ، ولذا وجبت البراءة منه وبالتالي أحل سفك دمه وقتله ٠

٢ - أن الذين اشتركوا في الثورة على عثمان كانوا على حق ، ويعتبرهم الاباضية من رواد حركتهم الاوائل ، ويزعمون أن المهاجرين والانصار في المدينة قد ساهموا في الثورة وحرضوا الثوار على قتل الخليفة والخلاص منه ٠ وكان على رأس هؤلاء المحرضين علي بن أبي طالب ٠

٣ - يرى الاباضية أن الثوار انتخبوا علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين لقناعتهم بأنه أفضل الموجودين لتولي المنصب في تلك الظروف وخاصة أنه شايعهم في وجوب التخلص من عثمان ٠ وانضمواتحت رايتهوالتزموا بطاعته وحاربوا معه أصحاب الجمل الذين اعتبروا ، من وجهة نظرهم، مخالفين كافرين (كفر نعمة وليس شرك) ٠

٤ - تجمع المصادر الاباضية على أن عائشة أم المؤمنين كانت شريكة لطلحة والزبير في الخلافولكنها ندمت على فعلها وتابت وقبلالمسلمون توبتها ٠

٥ - أن المسلمين تولوا علي بن أبي طالب وساندوه حتى قبوله التحكيم مع معاوية بن ابي سفيان ٠ وبعد ذلك رأوا أنه أخطأ فيما عمل وحكم الرجال في أمر من أمور الله ، وخلع نفسه من منصبه الشرعي الذي بايعه عليه المسلمون ، ولذا وجبت البراءة منه ومحاربته وخاصة بعد رفضه

---

(١٨) التلهاتي ، ورقة ١٠٦ ، شماخي ، **سير** ، ص ٥٤ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٣٤ ٠

(١٩) التلهاتي ورقة ١٠٧ ، الدرجيني ، ورقة ٩٧ ٠

اعلان التوبة والانضمام للمحكمة الذين انتخبوا عبد الله بن وهب الراسبي اماما لهم ٠

٦ ـ أن المحكمة الاوائل قد خصموا عبد الله بن عباس ، رسول علي اليهم ، في مناظرتهم معه ٠ وأن ابن عباس اعترف بذلك وصارح به عليا ، واعتزل معسكره وفارقه ٠ وهذا يفسر لنا اتخاذ ابن عباس قدوة ومثلا لهم ، حتى أن معظم الاحاديث المروية في الكتب الاباضية انما تأتي عن طريق ابن عباس ٠ كما أن الاباضية يعتبرون جابر بن زيد الازدي، مؤسس مذهبهم الفقهي ، تلميذا لعبد الله بن عباس ٠ والواقع أن هذا الامر ينسحب على الصفرية الذين يبجلون ابن عباس ٠ واعتبروا رجالهم البارزين في الفتيا والحديث تلاميذ لابن عباس٠ومن أبرز الامثلة عكرمه مولى ابن عباس الذي أدى نشاطه الى نشر المذهب الصفري في شمال افريقية ، وأثمرت جهوده بتأسيس دولة صفرية هناك هي دولة بني مدرار في سجلماسة ٠

٧ ـ يرى الاباضية أن علي بن أبي طالب قد ندم لمحاربته أهل النهروان واعترف أنهم ليسوا مشركين ولا منافقين بل كانوا من خيار المسلمين في الدين والرأي وبهذا يكون خصمهم شاهدا على صدق نواياهم وصلاح عقيدتهم ٠

٨ ـ يفهم من المصادر الاباضية أن الخروج الحقيقي للمحكمة قد بدأ بالمسير الى النهروان وليس قبل ذلك ٠ وأن المحكمة الاوائل لم يفارقوا عليا وهو في طريق العودة من صفين الى الكوفة بل بعد ان تأكدوا من اصراره على انفاذ الحكومة بعد رجوعه الى الكوفة ٠ ففارقوه ونزلوا حروراء حيث انتخبوا اماما لهم ثم تواعدوا على اللقاء في النهروان حيث بقيت الاتصالات والمفاوضات مستمرة بين الطرفين حتى انتهت بالفشل ويئس كل طرف من اقناع الفريق الاخر وأدت التطورات التي فصلناها سابقا الى معركة النهروان ٠ وهذا يتفق الى حد كبير مع بعض الروايات الواردة في المصادر غير الاباضية التي تشير الى أن العلاقة بين علي والمحكمة لم تنقطع الا بعد وصول المحكمة النهروان واصرارهم على أن يتوب علي ويخضع لسلطة امامهم عبد الله بن وهب الراسبي (٤٠) ٠

---

(٢٠) يمكن للباحث ان يجد ملخصا لمعظم الاراء الواردة في هذا الفصل في رسالة عبدالله بن اباض الى الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ٠ انظر البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٥٦ — ١٦٧ ، الازكوى ، الباب السابع والعشرون ، ورقة ٢٠٠ وما بعدها ،

البـــاب الثـــالث

ظهور الخوارج المعتدلين - القعـدة

كانت معركة النهروان المعركة الاولى والاخيرة التي اجتمع فيها الخوارج تحتقيادة واحدة ضد عدو واحد • وبعد ذلك تفرق شملهم وقامت جماعات منهم بثورات متعددة ضد السلطة القائمـــــة في الكوفة والبصرة ، الا ان نشاطهم العسكري في الكوفة لم يستمر طويلا ، ولم يأت عام ٥٩ هـ الا وكان قد قضي عليهم وباءت حركاتهم هناك بالفشل • وتعود أسباب ذلك الى أن الكوفة كانت تميل الى التشيع لآل البيت ولم يجد الخوارج مساعدة تذكر من سكان الكوفة • يضاف الى ذلك أن ثوراتهم كانت متفرقة وكان عـــدد أتباعها محدودا ، ولم يجتمعوا تحت قيادة واحدة ، وافتقروا الى التنظيـم والتخطيط مما أدى الى انهيارهم والقضاء عليهم على أيدي ولاة الكوفة •

وقد قام خوارج البصرة بين عامي ٤١ - ٦٤ هـ بعدة ثورات مشابهة ولم يحالف النجاح أيا منها لافتقارها للوحدة والتنظيم ولتطرف أتباعها مما أثار أهل البصرة ضدهم • وكان للسياسة الشديدة القاسية التي اتبعهـا الولاة ضدهم ، وخاصة زياد بن أبيه وابنه عبيدالله ، دور فعال وأساسي في احباط جهودهم وعدم اتاحة الفرصة لنجاح حركاتهم •

لقد اتخذ زياد بن أبيه (٤٥ - ٥٣ هـ) أشد الاجراءات ضدهم ، وكان يفرض على أهل البصرة أن يقتلعوا الخوارج من بين اظهرهم • وقد اتبع اجراءات حازمة لتحقيق أهدافه وذلك بتهديده للسكان الذين يقومون بايواء الخوارج او يتهاونون في محاربتهم • ويروى عن زياد أنه كان يخطب في أهل البصرة ويقول : « يا أهل البصرة ، والله لتكفني هؤلاء (الخوارج) أو لأبدأنكم • والله لئن افلت منهم رجل لا تأخذون من عطائكم درهما » • كما هدد القبائـــل العربية في البصرة باجلائها وقطع عطائها ان لم تساهم في قتال الخوارج وكان ينذر القبائل ويتوعدها ويقول : « ان أي خارجة خرجت من قبيلة فلم تقاتلها حرمتها العطاء واجليتها »[(١)]• واتبع زياد اسلوبا قاسيا مرعبا تجاه الخوارج من النساء ، فاذا ظفر بامرأة منهن كان يقتلها ويعريها ويصلبها • وقد أدى هذا الاسلوب الى وضع حد لخروج النساء • حتى صرن اذا دعين للاشتراك في ثورة أو تمرد ضد السلطة يجبن جميعا « لولا التعريـــــة

---

(١) الطبري ، ج٥،ص ٢٣٨ •

لسارعنا » (٢) • وقد أشارت بعض المصادر الى ما فعله زياد ببعض النساء الخارجيات مثل ازالة وأم سريع (٣) •

بينما كان الخوارج المتطرفون يقومون بثوراتهم وحركاتهم ضد الامويين وولاتهم ويتعرضون من جراء ذلك للقتل والتشريد ويواجهون السخط والاستنكار من قبل السكان ، كانت هناك جماعة انشقت بعد النهروان واتخذت مدينة البصرة مقرا لها ، وآثرت السلم وعدم اللجوء للسيف لفرض آرائها • وقد تزعم هذه الجماعة ابو بلال مرداس بن أدية التميمي ، وكونت هذه الجماعة البذرة التي انتجت ما عرف في التاريخ الاسلامي بالفرقة الاباضية •

شهد ابو بلال ، زعيم هذه الجماعة ، معركة صفين مع علي بن أبي طالب وأنكر التحكيم ، واشترك في معركة النهروان مع المحكمة ضد علي بن ابي طالب • ويبدو أنه لم يكن مرتاحا لما حدث من خلاف وفتنة بين المسلمين وصعق لما حل بأقاربه وأقرانه من قتل وتشريد على أيدي اخوانهم في الدين ورأى أن القتال بين اتباع العقيدة الاسلامية السمحة بهذه الطريقة الشرسة أمر لا يصح ، فانسحب مع نفر من أصحابه وأقام مع أبناء عمه من قبيلة تميم الذين كانوا يشكلون جزءا هاما من سكان البصرة آنذاك (٤) • وكان ينتمي الى هذه القبيلة أبرز الشخصيات السياسية والفكرية والدينية في البصرة ، ويتزعمها الاحنف بن قيس السعدي التميمي (ت ٨٧هـ – ٦٨٦م) المشهور بحكمته وسداد رأيه (٥)• وقد كان الاحنف من أنصار علي بن أبي طالب وحارب معه في النهروان ولكنه تخلى عنه بعد ذلك ، ربما أسفا منه لما حل بأقاربه من بني تميم من موت وهلاك في معركة النهروان • وعلى الرغممن ذلك فان الاحنف لم يعط ولاءه لمعاوية بل على العكس من ذلك وقف ضد ابن الحضرمي الذي قام بحركته في البصرة موالاة لمعاوية • ومن المحتمل أن الاحنف كان متعاطفا مع الخوارج المعتدلين ، القعدة ، أصحاب أبي بلال مرداس بن أدية التميمي رغم موقفه العدائي من متطرفي الخوارج • ويذكر بعض المؤرخين الاباضيين (٦) أن الاحنف كان أحد اسلافهم ، ولكن سلوك الاحنف فيما بعد ينفي هذه التبعية للخوارج • وربما كان الاباضيون مدفوعين في ثنائهم عليه ومدحهم له بما لاقاه أسلافهم ، أتباع أبي بلال ، من حماية عندما لجأوا الى البصرة بعد وقعة النهروان •

---

٢) المبرد ، ج ٣ ، ص ٢٤٦

٣) الدرجيني ، ورقة ٩٣

٤) الدرجيني ، ورقة ، ٩٢ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٦٧

٥) عن الاحنف بن قيس أنظر أيضا : **Ch. Pellat, "al - Ahnaf b. Kais", E. I (2).**

٦) الدرجيني ، ورقة ٩٧ ، شماخي ، تتيز ، ص ٨١

وفي ظل هذه الحماية التي لقيها أبو بلال مرداس واتباعه عند بني تميم وزعيمهم الاحنف بن قيس ، أخذ مرداس ينشر آراءه وأفكاره مؤثرا طريق الاقناع والمناقشة على الحرب ، وأنكر قتل المخالفين واستعراض الناس على طريقة متطرفي الخوارج . ودعا اتباعه بأن لا يجردوا سلاحا ولا يقاتلوا أحدا الا اذا تعرضوا للعدوان وأجبروا على القتال (٧) . وبلغ من حسن سيرته أن عددا من الفرق والجماعات الاسلامية فيما بعد ـ كالشيعة والمعتزلة ـ ادعت نسبته اليها واعتبرته واحدا من ابرز اتباعها (٨)وقد نشط مرداس في البصرة لنشر دعوتهوافكاره وكانيعقد المجالسوالمناظرات لاقناعالناسبآرائه فانضم اليه عدد كبير من الناس جلهم من بني تميم . ثم أخذ عدد أنصاره يزداد ويتعاظم حتى أنهم ابتنوا لهم مسجدا خاصا في البصرة(٩). ويبدو أن دعوته قد لاقت آذانا صاغية واستجابة كبيرة جعلت عبيد الله بن زياد ، والي العراق يقول : « لكلام هؤلاء (مرداس واتباعه) أسرع الى القلوب من النار الى اليراع »(١٠) . ويعود نجاح مرداس لاسباب منها حمايةقبيلته ، تميم ، له ولمن تبعه . كما كان لسيرته الحسنة وصدق اجتهاده وحلاوةمنطقه أثر كبير في انضمام الناس اليه . أضف الى ذلك أن سياسة زياد بن أبيه تجاه الخوارج المعتدلين أو القعدة ، اتباع مرداس ، كانت لينة ومتسامحة ، فقد كان لا يجرد سيفه ضد أحدمنهم الا اذا هم بالخروج . ليس هذا فحسب بل انه كان يخطب ودهم ، ويداريهم حتى يتفرغ لقتال الخوارج المتطرفين الذين كانوا يغيرون على القرى ويقتلون الناس ويسلبونهم ويضايقونهم في عيشهم . وقد روي عن زياد أنه كان يعطي الخوارج القعدة في البصرة ويغدق عليهم الهبات ويدعو بعضهم للسمر في مجلسه . وكان يولي أناسا منهم بعض أعماله . وقد نجحت سياسته تجاههم فلم يثوروا عليه ولم يحاولوا ايذاءه في دعايتهم ولعل المثل التالي يبين صحة مسلك زياد نحوهم ويوضح العلاقة بين الطرفين . فقد بلغ زيادا أن رجلا يدعى أبو الخير كان يرى رأيهم (مرداس واتباعه) فدعاه وولاه جند يسابور وأعمالها ، ورزقه اربعة آلاف درهم في الشهر وجعل عمالته مئة ألف درهم في السنة . فكان أبو الخير بعد ذلك يقول : « ما رأيت شيئا خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين الجماعة »(١١)

وقد أنكر الخوارج المتطرفون قعود أقرانهم (أتباع مرداس) عن الثورة

---

٧) الدرجيني ، ورقة ٩٣ ، طبرى ، ج٥ ، ص ٢٢٨، المبرد ، ج٣، ص ٢٥٠

٨) الدرجيني ، ورقة ٩٢ ــ ٩٣ ، المبرد ، ج ٣ ، ص ٢١٤ــ٢١٥ .

٩) بلاذرى ، انساب ، ج ٥ ، ص ٩٤

١٠) الدرجيني ، ورقة ٩٣ .

١١) المبرد ، ج٣،ص٢٦٠ــ٢٦١

فلقبوهم ـ احتقارا ـ بالقعدة ، أي الذين قعدوا ـ طبقا لوجهة نظرهم ـ عن الجهاد في سبيل الله ومحاربة الولاة الظالمين ٠ أما أهل السنة في البصرة فكانوا يسمونهم الحرورية ، نسبة الى حروراء ، تجنبا لما يؤذيهم من ألقاب وعلامة رضا عن تصرفاتهم التي لا تؤذي الآخرين ٠ وأحيانا كانوا يطلقون عليهم اسم المحكمة كما كان يسمي هؤلاء أنفسهم ، وكانوا يسمون أنفسهم ايضا الشراة (١٢) ٠

لما ولي عبيد الله بن زياد العراق سنة ٥٥هـ ، اتبع سياسة مغايرة لسياسة والده تجاه الخوارج المعتدلين ـ القعدة ٠ ولم يدخر جهدا في استعمال القسوة والعنف ضد جميع الخوارج المتطرفين والمعتدلين ٠ ويذكر المبرد أن عبيد الله « كان لا يلبث الخوارج يحبسهم تارة ، ويقتلهم تارة ، وأكثر ذلك يقتلهم، ولا يتغافل عن أحد منهم » (١٣) ٠ وقد رفض عبيد الله الشفاعة بشأن أي منهم ، واذا كلم في أحدهم رفض الاستجابة ، مبررا ذلك بتصميمه على تحاشي الشر قبل وقوعه وكان يردد العبارة التالية : « اقمع النفاق قبل أن ينجم » ، وتمشيا مع هذه السياسة فقد لج عبيد الله في مطاردتهم وحبسهم (١٤) ٠ واضطر الخوارج المعتدلون (القعدة) الى تبني التنظيم السري ، وكانوا يعقدون اجتماعاتهم سرا للدعوة لمذهبهم والنظر فيما يعنيهم ويساعد على تحقيق أهدافهم ٠ ولكن عبيد الله لم يغض الطرف عنهم وأخضعهم لمراقبة شديدة ، وكان يبث العيون والجواسيس لتعقبهم وكثيرا ما كانت الشرطة تداهم بعضهم وتلقي القبض عليهم في سراديبهم السرية التي أقاموها لتكون مراكز لدعوتهم وتعليم مذهبهم (١٥) ٠ وكانت هذه الاجراءات الشديدة تقض مضاجعهم وتلقي الرعب في قلوبهم ، ولذلك فقد كانوا يأتون مجالسهم متشبهين بالنساء لدفع الريبة عنهم وهم في طريقهم الى مكان اجتماعهم وكانوا احيانا ينتحلون صفة التجار والباعة المتجولين حتى يصلوا مقصدهم (١٦) ٠ ولم يكتف ابن زياد بمطاردتهم والتنكيل بهم بل لجأ الى أسلوب آخر يرمي الى زرع الفرقة والخلاف وزعزعة الثقة بينهم ، آملا في القضاء عليهم من الداخل نتيجة الانقسام والنزاع ٠ فقد كان يحبس الجماعة منهم ثم يأمرهم بقتل بعضهم بعضا ، ومن قتل رجلا عفا عنه وأخرجه من السجن ٠ وقد حدث بالفعل أن قتل بعضهم زملاءهم في السجن

---

١٢) الدرجيني ، ورقة ٩٢ـ٩٣، شماخي ، سير ، ص٦٦ـ٦٧ ٠

١٣) المبرد ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ ٠

١٤) الدرجيني ، ورقة ٩٣ ، الطبري ، ج ٥ ، ص ٣١٣ ، المبرد ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ـ٢٤٩ ٠

١٥) الدرجيني ، ورقة ١٠٥

١٦) المصدر نفسه ٠

فأطلق سراحهم . ولم يلبثوا أن ندموا على فعلهم وحاولوا التكفير عن خطيئتهم بدفع الدية لذوي القتلى ولكنهم رفضوا ، ثم عرضوا رقابهم للذبح ولكن دون جدوى . وتبرأ منهم أصحابهم ولم يجدوا طريقة يكفرون بها عن فعلهم القبيح الا بالثورة ضد ابن زياد متمثلين بالآية الكريمة : « ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » (١٧) . فخرجوا بقيادة شخص يدعى طواف بن علاق فقتلوا جميعا في عيد الفطر من عام ٥٨هـ . (١٨) وبنفس الاسلوب حاول عبيد الله بن زياد أن يوقع الفتنة بين العرب والموالي من الخوارج المعتدلين وخاصة أن دعوة ابي بلال قد استهوت عددا من الموالي الذين كانوا يقطنون البصرة فتبعوه واعتنقوا مبادئه . وقد سجن ابن زياد عددا من الخوارج المعتدلين ، وكانوا عربا وموالي، فأمر الموالي بضرب أعناق العرب فأبوا وقالوا : « لا نقتل أهل ولايتنا وأهل نعمتنا »(١٩) . ثم أمر العرب بضرب أعناق الموالي ففعلوا ، فأخلى ابن زياد سبيلهم . وكان بينهم رجلان يدعى أحدهما قريب والاخر زحاف . وتشير المصادر الاباضية (٢٠) الى أنهما كانا أخوين بينما تذكر المصادر السنية أنهما ابني خالة (٢١) . وقد ندم الرجلان على عملهما وتبرأ منهما أصحابهم من القعدة واعتبروهما من المخالفين ، ولم يسمحوا لهما بحضور مجالسهم رغم أنهما كانا من خيار القعدة وأفاضلهم في البصرة ومن المبجلين عندهم قبل ارتكابهم لهذا العمل الشائن . وقد حاول قريب وزحاف استعطاف شيوخ القعدة في البصرة وأبديا استعدادهما لتقبل قرارهم فيهما سواء بدفع الدية أو مواجهة الموت تكفيرا عن عملهما . ولم يقبل شيوخ البصرة عذرهما ولا عرضهما . فلما أعياهما الامر قررا الثورة ضد ابن زياد. فخرجا من البصرة وتبعهما سبعون رجلا وأخذوا يستعرضون الناس ويقتلونهم على طريقة متطرفي الخوارج فزاد غضب القعدة منهم ولعنوهم وتبرأ منهم أبو بلال ، شيخ القعدة ، علنا وكان يذكرهما ويقول : « قريب لا قربه الله من الخير ، وزحاف لا عفا الله عنه ، ركباها عشواء مظلمة » ، يريد اعتراضهما الناس . وفي رواية أخرى أنه كان يقول : « قريب لا قربه الله ، وأيم الله لان أقع من السماء أحب الي من أن اصنع ما صنع يعني الاستعراض » (٢٣) . وكان القعدة في البصرة ينكرون الاستعراض ويحرمون

---

١٧) سورة النمل ، آية ١١١ .

١٨) بلاذرى ، انساب ، ج٤،ق١،ص ١٥٤ ، ابن الاثير ، ج٣،ص٣٢٧ ، الدرجيني ، ورقة ٩٩ .

١٩) الدرجيني ، ورقة ٩٩ .

٢٠) المصدر نفسه ، ، ورقة ٩٩

٢١) الطبرى ، ج٥ ، ص ٢٣٨ ، المبرد ، ج ٣ ، ص ٣٤٤ ، ابن الاثير ج٣ ، ص٤٦٣ .

٢٢) المبرد ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .

٢٣) الطبرى ، ج٥ ، ص ٢٣٨ ، انظر أيضا بلاذرى ، ج ٤ ، ق ١ ص ١٥١ .

أموال المسلمين خلافا لما كان يفعله متطرفو الخوارج ٠ وقد قتل قريب وزحاف في اشتباك مع القوات الاموية (٢٤) ٠ وتشير المصادر الاباضية الى أن حركة قريب وزحاف قد حدثت في النصف الثاني من القرن الاول الهجرى ٠ ولما كانا قد ثارا في عهد ابن زياد وقبل ثورة أبي بلال مرداس ، وكان الاخير قد ثار عام ٦١هـ كما سنرى فالراجح انهما ثارا قبل هذا التاريخ وربما كانت ثورتهم في عام ٦٠ هـ أي قبل سنة واحدة من حركة أبي بلال ٠ أما رواية عمر بن شبة(٢٥) التي تذكر أنهما ثارا في عهد زياد بن أبيه وفي عام ٥٠ هـ فواضح عدم صحتها٠

بعد حركة قريب وزحاف اشتد ابن زياد في ملاحقة القعدة في البصرة وحبس شيخهم أبا بلال ولكنه أطلق سراحه فيما بعد (٢٦) ٠ ولا تشير المصادر المتوافرة الى سبب عفوه عن أبي بلال ٠ وربما كان ابن زياد مدفوعا في ذلك بخوفه من اثارة تميم، قبيلة أبيبلال ، التيكان لها آنذاك وزن كبيرفي البصرة من الناحيتين العددية والفكرية ٠ ومن المحتمل أيضا أن ابن زياد كان يأمل في أن يستعمل أبو بلال مرداس نفوذه لدى أتباعه ليخففوا من نشاطهم ودعايتهم ضد الامويين وولاتهم ٠ وعلى أي حال فان هذا الموقف المتسامح تجاه أبي بلال لم يشمل أتباعه وبقي ابن زياد يلاحقهم ويشتد في طلبهم ٠

واتبع ضد النساء منهم اسلوب التعرية والصلب ٠ وقد كان والده من قبل قد فعل مثل ذلك ولكنه اقتصر على من ثار منهن ، أما عبيد الله فقد تتبع الجميع بما في ذلكالمعتدلات من الخوارج ٠ وتذكر بعض المصادر أنه أتى بالثجاء (البلجاء ؟) ، وكانت على رأي أبي بلال ، ومن مجتهدات القعدة فقطع رجليها ويديها ورمى بها في السوق كما قتل من بقي في سجنه من أصحاب أبي بلال (٢٧)٠ وكان لهذا الاضطهاد أثره الكبير في نفس مرداس فقرر أن يترك البصرة الى مكان اخر ، آملا في أن يأمن شر ابن زياد وينشر آراءه ومذهبه بحرية أكثر وفي مناطق لم تصل اليها دعوته ٠ فسار ومعه نحو أربعين رجلا من أتباعه حتى نزلوا آسك (٢٨) ٠ وقد أعلن مرداس بانه وأصحابه لن يخيفوا أحدا أو يجردوا سيفا ولا يقاتلوا الا من بدأهم بالقتال٠ وأثناء خروجه استولى على مال لابن زياد فلم يأخذ الا عطاءه وعطاء أصحابه٠ فخاطبه أحد اتباعه قائلا : «فعلام ندع الباقي ؟ فقال : انهميقسمون هذاالفيء

---

٢٤) الدرجيني ، ورقة ٩٩ ، الطبرى ، ج٥،ص ٢٢٧—٢٢٨ ، المبرد ، ج ٣ ، ص ٢٤٥—٢٤٦ .

٢٥) الطبرى ، ج٥،ص ٢٣٧ .

٢٦) الدرجيني ، ورقة ٩٣ ، الطبرى ، ج٥،ص ٣١٣ ، المبرد ، ج ٣ ، ص٢٤٨،٢٤٩ .

٢٧) الدرجيني ، ورقة ٩٣،٩٤ ، انظر ايضا المبرد ، ج ٣،ص ٢٤٧ — ٢٤٨ ، ابن الاثير ، ج ٣ ،ص٥١٨—٥١٩

٢٨) بلاذري ، **انساب** ، ج٤ ، ق ١ ، ص ١٥٩ ، المبرد ، ج٣،ص ٢٥١ وما بعدها ، الدرجيني ،ورقة٩٢ ابن الاثير ، ج٣ ، ص ٥١٩ —٥٢٠ .

كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم »(٢٩)٠٠ وعلى الرغم من ذلك فان ابن زياد خشي نشاطه وانتشار دعوته فندب اليه أسلم بن زرعة في ألفي مقاتل وتقابل الطرفان في آسك ولكن لم يجر بينهما قتال ، ورجع أسلم وجماعته مؤثرين السلامة والعافية ٠ ورغم شجاعة الخوارج المعروفة في شتى معاركهم التي خاضوها الا انه من الصعب أن يصدق المرء ما تذكره بعض الروايات من أن أسلم وجنده الالفين قد هزمهم أربعون رجلا أو اقل عددا ،أوأنهمخافوامواجهة هذا العدد الضئيل ٠ ومن المحتمل أن أسلم قد اقتنع ـ بعد النقاش الذي دار بينه وبين مرداس وأصحابه ـ بوجهة نظر مرداس ولكن دون أن يغير ولاءه لابن زياد والامويين ٠ بعد عودة أسلم وجه ابن زياد لمرداس وأتباعه عباد بن علقمة المازني المعروف بعباد بن أخضر (أخضر زوج أمه) على رأس قوة مكونة من أربعة الاف رجل ٠ وانتصر على مرداس وصحبه وأبادهم جميعا ٠ وكان ذلك عام (٦١ هـ (٣٠) ٠

كان لمقتل مرداس على أيدي القوات الاموية صدى عميق في نفوس أتباعه، وأثار نقمة شديدة ضد ابن زياد ٠ كما انبرى شعراء الخوارج ، بمن في ذلك المتطرفون منهم ، يمدحونه ويعدون مآثره ويصفون عمله بالقدرة الحسنة التي على المرء أن يتمثل بها ليصل الى رضا الله ورسولـــه ٠ وأصبح مرداس بسلوكه وعمله واجتهاده « واستشهاده » المثل الاعلى لاتباعه ولمن شايعهم فيما بعد ٠ ولكن مرداسا لم يكن شخصا عاديا بين اتباعه ليتركوا دمه يذهب هدرا بل كان امامهم وزعيمهم ، لذلك صمموا على الاخذ بثأره واستطاع نفر من أتباعه اغتيال عباد بن علقمة المازني ، قائد الجيش الذي ابـــاد مرداس وأصحابه (٣١) ٠ ومنذ ذلك الوقت أصبح الاغتيال السري وسيلة هامة لدى القعدة ، والاباضية فيما بعد ، للتخلص من كل شخص يحاول ايذاءهم(٣٢) ٠ وكان ذلك سببا في ازدياد نقمة ابن زياد ضد القعدة في البصرة فزج قسما منهم في السجون وقتل عددا اخر من بينهم عروة بن أدية التميمي ، أخي

---

٢٩) الدرجيني ، ورقة ٩٤ ، ابن الاثير ، جـ ٣ ، ص ٥١٩ ، ياقوت ، **بلدان** ، ج ١ ،ص٦٢.

٣٠) انظر عن ثورة مرداس : الدرجيني ، ورقة ٩٢ ، الطبرى ، ج٥ ، ص٣١٢،٤٧١ ، ابن الاثير ، ج٣، ص٥١٩ ــ ٥٢٠ ، ج٤،ص٩٤ــ٩٥ ، المبرد ، ج٣ ، ص ٢٥١ــ٢٥٥ ، ياقوت ، **بلدان** ، ج١،ص ٦٢ ، بلاذرى ، **أنساب** ، ج ٤ ، ق ١ ص ١٥٩ ٠

يجدر بنا ان نشير الى ان عدد اتباع مرداس الاربعين قد اتخذ فيما بعد من قبل الشراة رقما واجبـــا لمن أحب الشراء والخروج ضد السلطة القائمة ولا يحق لأي منهم الخروج دون أن يبلغ اصحابه اربعـــين على الاقـــل ٠

٣١) الدرجيني ، ورقة ٩٣ ، الطبرى ، ج٥ ، ص ٤٧٢ ، ابن الاثير ، ج٤،ص٥ ، المبرد ، ج٣ ،ص٢٥٧.

٣٢) انظر الفصل ٠٠

مرداس (٣٣) • وعاش القعدة في البصرة فترة قلق وهلع شديدين ، واضطروا للتستر والاختفاء خوفا من بطش الوالي ، ولجأوا ـ كما ذكرنا ـ الى طريقة الاغتيالات السرية للقضاء على أي شخص يتسبب في قتل أحد منهم أو يسيء اليهـــم (٣٤) •

وعندما ثار ابن الزبير في الحجاز معلنا معارضته للحكم الاموي والمبدأ الوراثة في الخلافة الاسلامية ، ترك بعض الخوارج المعتدلين (القعــــدة) البصرة وذهبوا الى الحجاز حيث انضموا لابن الزبير وأبدوا شجاعة وحماسة فائقة في مقاتلة الجيش الشامي اثناء حصاره لابن الزبير في مكة • وبعد موت يزيد ابن معاوية ورحيل الجيش الشامي ظهر الخلاف بين الخوارج وابن الزبيـــر فهجروه وعادوا الى البصرة حيث تلقفهم ابن زياد وأودعهم السجن • وقد بقوا في السجن مع غيرهم ممن كان ابن زياد قد زج بهم في السجن حتى ضعف سلطان ابن زياد فيالبصرة ـ اثر التطورات التي حدثت في الدولة الاموية بعد وفاة يزيد بن معاوية ـ فخرج من كان في سجنه (٣٥) • ولم تلبث البصرة ان أعلنت ولاءها لابن الزبير • ويبدو أن الخوارج القعدة في هذه الاثناء قد أخذوا يتناقشون فيما بينهم حول الخطوة التالية التي يجب أن يتبعوها والموقف الذي يرون اتخاذه ازاء ابن الزبير وازاء الاحداث التي تمر بها الدولة الاسلامية آنذاك • وقد رأى جماعة منهم وعلى رأسهم نافع بن الازرق أنه لا يجوز المقام بين أظهر المشركين (مخالفيهم) • ويبدو أن نقاشا حادا جرى بينه وبين من آثر القعود وانتهى الى أن كفر نافع وأتباعه القعدة واعتبروهـــم مشركين مخالفين كبقية المسلمين وبالتالي فان أصحابه أحلوا دماءهـم وأموالهم (٣٦) • وبهذا بدأ الانقسام النهائي بين الخوارج المتطرفيـــن والمعتدلين أو القعدة ، ولم يجتمعوا بعد ذلك قط على هدف واحد مشترك • ولعل هذاالانقسام الذي حدث حوالي عام ٦٤هـ هو الذي حدا ببعض المؤلفين الى الاعتقاد بأن الخوارج قد انقسموا الى أربع فرق ، وهي الازارقة والنجدية والصفرية والاباضية • والحقيقة أن ماحدث فعلا هو انقسام نهائي بيـــن المتطرفين من الخوارج وبين القعدة الذين آثروا القعود وحبذوا الدعوةلمذهبهم بالطرق السلمية • أما القعدة فلم ينقسموا الى اباضية وصفرية الا في وقـت لا حق كماسنرى في الفصول القادمة من هذا البحث •

---

٣٣) الدرجيني ، ورقة ٩٢ ، الطبرى ، ج٥ ، ص ٣١٢ ــ ٣١٣ ، المبرد ، ج ٣ ، ص٢٥٨ــ٢٦٠ .

٣٤) الدرجيني ، ورقة ٩٢،٩٨ ، الدجيلي ، **فرقة الازارقة** ، ص ٤١ ــ ٤٤ .

٣٥) بلاذرى ، **أنساب** ، ج ٤،ص١١٦ــ١١٧ ، ج ١١،ص٧٩، الطبرى ، ج ٥ ص ٥٦٧ ، تختلف الروايات حول كيفية خروج المحبوسين من السجن ولكنها كلها تجمع على أنهم خرجوا بعد ضعف نفوذ عبيد الله بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية واضطراب الاحوال في الدولة الاموية بشكل عام وفي البصرة بشكل خاص .

٣٦) انظر عن آراء الازارقة : **الاشعري** ، **مقالات** ، ص ٨٦ وما بعدها ، الشهر ستاني ، ملل ، ج١ ، ص ١٦٣ــ١٦٤ ، الدجيلي ، ص ٩٧ ــ ١١٠ •

ويبدو أن زعيم القعدة من الخوارج بعد موت مرداس وأثناء الانقسام الآنف الذكر كان الشاعر المعروف عمران بن حطان ، اذ ان المصادر الاباضية تذكر صراحة بأنه كان رئيس القعدة بعد وفاة مرداس (٣٧)٠ ويذكر البغدادي أن كلا من مرداس وعمران كان رئيسا للقعدة من الصفرية (٣٨) ٠ وتشير بعض المصادر الاخرى (٣٩) الى أن عمران كان رئيسا للقعدة الصفرية ولكنها لا تذكر متىكان ذلك ، بينما تكتفي مصادر أخرى بالاشارة الى أنه كان من دعاة الشراة والمقدمين في مذهبهم (٤٠) ٠ والواقع أن هذه الروايات كلها صحيحة رغم ما يبدو فيها من تناقض للقارىء في أول الامر ٠ فالاباضية والصفرية كانوا فرقة واحدة قبل انقسامهم ، وكانوا يشكلون معا جماعة القعدة من الخوارج ٠ ولما انقسموا في فترة لاحقة صار أتباع كل فرقة يبجلون رؤساءهم ومقدميهم قبل الفرقة والانقسام ، وتولى أتباع الفرقتين عبد الله ابن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير السعدي ومرداس بن أدية التميمي وعمران بن حطان ٠ وتبعا لذلك فقد ادعت كل فرقة نسبة عمران اليها ٠ وكان عمران آخر رئيس لهم قبل انقسامهم ٠ ومما يدل على أن عمران كان رئيسا للفرقتين قبل الانقسام أن المصادر الاباضية تصفه بأنه كان رئيس القعدة في البصرة بعد مرداس وأنه كان من أئمة الاباضية (٤١) ٠ ولو كان عمران رئيسا للصفرية فقط لما ادعت المصادر الاباضية مثل ذلك وخاصة أنها حريصة بأن لا تذكر أيا من مخالفيهم من الخوارج بالتبجيل والاحترام ٠ ويعود السبب في وصف المصادر غير الاباضية لعمران بأنه كان رئيسا للقعدة من الصفرية الى جهل هذه المصادر بتطور حركة الخوارج القعدة في تلك الفترة والى أن الصفرية بعد انفصالهم عن الاباضية اعتبروا عمران مؤسس مذهبهم الفقهي بينما اعتبر الاباضية جابر بن زيد مؤسسا لمذهبهم (٤٢) ٠

وعلى أية حال فان الفترة التي اعقبت موت مرداس والتي تزعم عمران فيها جماعة القعدة اتسمت بالهدوء والسكينة ٠ واتجه القعدة نحو الدراسة والتعمق في الدين وما يتصل به من علوم ٠ وجدير بالذكر أن عمران نفسه كان محدثا وعالما وفقيها ٠ وسار على منوال أبي بلال في نشر دعوته وانكار الاستعراض وتحريم أموال بقية المسلمين ودمائهم ٠

---

٣٧) الدرجيني ، ورقة ٩٧ ، شماخي ، سير ، ص ٧٧ ٠

٣٨) البغدادي ، ص ٧١

٣٩) الجاحظ ، **البيان** ، ج ١ ، ص ٤٧ ، المبرد ، ج ٣ ، ص ٢٦٢

٤٠) أبو الفرج ، **الاغاني** ، ج ١٦ ، ص ١٥٢ — ١٥٣ ٠

٤١) الدرجيني ، ورقة ٩٧ ، شماخي ، سير ، ص ٧٧ ٠

٤٢) J. Schacht, **The Origins of Muhammadan Jurisprudence**, P. 260

ويبدو أن القعدة قد عاشوا فترة سلام وهدوء أثناء حكم ابن الزبير للبصرة ، ولا تذكر المصادر الاباضية والسنية والشيعيةأي احتكاك مسلح بين الطرفين ٠ ومن المعتقد أن العلاقات بينهما كانت طيبة حتى أن مصعب بن الزبير كان يحترم زعماءهم ويمشي في جنازة من يموت منهم (٤٣) ٠ ولا تشير المصادر المتوا فرة الى أسباب وجود هذه العلاقة الحسنة بين الطرفين رغم اختلافهما في كثير من المباديء والاهداف ٠ ومن المحتمل أن القعدةقدادركوا عدم قدرتهم على القيام بأي نشاط علني يؤلب عليهم الولاة ، وآثروا اللجوء الى الهدوء والاكتفاء بالدعاية لمذهبهم سرا وبطريقة لا تسبب غضب عمال ابن الزبير ، وخاصة أن القعدة كانوا يفضلون حكم ابن الزبير على الحكم الاموي ، على الرغم من معارضته لمبادئهم وخاصة ما يتعلق منها بنظرتهم لعثمان وعلي وبعض الصحابة الآخرين ومن بينهم أبيه الزبير بن العوام الذي تبرأ منه الخوارج المتطرفون والمعتدلون ٠ ومن جهة أخرى فان الزبيريين ارادوا تجنب استثارة القعدة وخاصة أنهم كانوا يواجهون أعداء كثيرين مثل الازارقة والشيعة والامويين ٠ وقد ضمن ولاة ابن الزبير بموقفهم المتسامح من القعدة عدم قيام القعدة بالمعارضة العلنية لحكم ابن الزبير٠ وبكلمة فقد كانت العلاقات السلمية بين القعدة والزبيريين لمصلحة الطرفين وقد أدرك كل منهما ذلك ولم يحاول استفزاز الطرف الآخر ٠

وبعد أفول شمس ابن الزبير واعادة العراق لحظيرة الحكم الاموي ، نشط القعدة من جديد وأبدوا معارضتهم العلنية (دون اللجوء الى العنف والسلاح) للحكم الاموي ٠ وقد تمثلت هذه المعارضة في الدعاية الجادة النشطة ضد حكمهم ٠ وعندما تولى الحجاج العراق عام ٧٥هـ اشتدت دعوتهم حتى أن الحجاج قد اشتكى لعبد الملك بن مروان من نشاط عمران بن حطان ، زعيم القعدة آنذاك ٠ واستأذنه بحرية التصرف تجاه عمران وأصحابه بحجة أن عمران قد أفسد عليه أهل العراق (٤٤) ٠ ولما كان عمران شاعرا موهوبا وخطيبا بليغا فقد وظف هذه المواهب في خدمة مذهبه ، فلا عجب اذن أن يبدي الحجاج قلقه منه وخوفه من انتشار أفكاره وافساد الناس عليه وتأليبهم ضد سياسته ومنهجه في الحكم ٠ لذلك قام بحبس عمران ولكنه لم يلبث أن أطلقه ، ربما بايعاز من عبد الملك بن مروان في محاولة لكسب ود القعدة والتفرغ لمحاربة الخوارج المتطرفين كالازارقة والنجدية (٤٥) ٠

---

٤٣) شماخي ، سير ، ص ٨١ ٠

٤٤) ابو الفرج اغاني ، ج ١٦ ، ص ١٥٣ ٠

٤٥) عن حبس عمران ، انظر : الدرجيني ، ورقة ٩٧ ، شماخي ، سير ، ص ٧٧ ، المبرد ، ج٣ ،ص ١٦٧–١٧٢ ٠

كانت هذه الخطوة من جانب الوالي الاموي منطلقا لتحول خطير في تاريخ حركة الخوارج القعدة . فقد أدى اطلاق سراح عمران من السجن وموقفه من الحجاج بعد ذلك الى جدل عنيف ونقاش حاد بين جماعة القعدة ، اذ تذكـر المصادر الاباضية أن أصحاب عمران قد اجتمعوا اليه بعد خروجه من الحبس فقالوا : « انما أطلقك الله لما رأى لنا في رجوعك الينا ، فهلـم الى محاربـة الحجاج . فقال هيهات ! غل يدا مطلقهـا ، واسترق رقبـة مغتقهـا ، والله لا حاربته أبدا .. » (٤٦) . وقد أدى هذا الموقف الى انقسام في الرأي عميق بين أصحاب عمران من القعدة واختلفوا حول الخطوة التالية الواجب اتخاذها ازاء التطورات التي حدثت نتيجة لسياسة الحجاج ازاءهم ولموقف عمران من الوالي . وانتهى الجدل والنقاش بينهم الى انقسام القعدة الى فرقتين الصفرية وكانت ترى الخروج والثورة ولكنها لا تكفر من قعد كمـا فعل الازارقة من قبل ، والاباضية وهي التي آثرت الاستمرار في القعود حتى تحين الفرصة المناسبة للانقضاض على الحكم القائم وتأسيس الامامـة طبقـا لمبادئهم .

أما عمران نفسه فيبدو أنه استاء من النتيجة التي انتهى اليها الجدل بين جماعته وقرر ترك البصرة ، وأخذ يتنقل بين أحيـاء العرب في العراق والشام وعمان منتحلا أسماء مختلفة ومنتسبا في كل مرة نسبا جديدا يقربه من القوم الذين استضافوه . واستقر أخيرا في عمان حيث وجد أهلها يعظمون أبا بلال مرداس ودعوته فأظهر أمره بينهم وبقي هناك حتى مات (٤٧) .

---

٤٦) الدرجيني ، ورقة ٩٧ .

٤٧) الدرجيني ، ورقة ٩٧ ، شماخي ، سير ، ص ٧٧ ، المبرد ، ج٣ ، ص ١٧١—١٧٢

الباب الرابـــع

الفصل السادس

عبد الله بن اباض وتطور الحركة الاباضية

على الرغم من اضطراب المعلومات الواردة في المصادر حـــول تسمية الاباضية وتاريخ نشأتها وكيفية ذلك ، الا ان معظم المصادر غير الاباضية تشير الى أن هذه الفرقة سميت بهذا الاسم نسبة الى عبد اللـــه بن أباض الذي ينتمي الى قلبية تميم (١) ٠

أما الملطي فينسب الاباضية الى شخص اسمه اباض بن عمر ٠ ويذكر أن أتباعه قد خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا وسبوا الذرية ٠ ويضيف الى أن بقاياهم كانت موجودة في تلك المنطقـــة حتى منتصف القرن الرابـــع الهجري (٢) ٠ الا أن هذه المعلومات التي أوردها الملطي لا يمكن الركون اليها لانها تخالف جميع الروايات الواردة في المصادر الاخرى المعروفة لدينـا ٠ كما أن المؤلف يورد أخبارا وأعمالا منسوبة الى الاباضية لا تقرها أيضـا المصادر المتوافرة التي تتكلم عن نشأة الاباضية ومبادئها وسلوك اتباعها تجاه الاخرين ٠ فقد عارض الاباضية منذ البداية استعراض الناس وسبـي الذرية التي زعم الملطي أنهم قاموا بها ٠ أما السمعاني (٣) فيرى أن الاباضية تنسب الى شخص يدعى الحارث الاباضي ويسمي فرقته بالحارثية ٠ وكذلك المقدسي فانه ينسبهم الى رجل يدعى الحارث بن أباض(٤)٠ويرد اسم الحارث هذا وفرقته عند بعض مؤلفي المقالات مثل الاشعري وابن حزم (٥) ٠ ولكننا لا نجد ذكرا لهـــذا الرجل ولا لفرقتـــه في المصـــادر الاباضيـــة ممـــا يدل على خطل هذا القول ٠ فلو صح أن الحـــارث الاباضـــي كان أحـد رجال

---

١) ابن قتيبة ، **المعارف** ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٢٢ ، المبرد ، ج٣ص ٢٧٥ ، البغدادي ، **الفرق بين الفرق** بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٨٢ ، الرازي ، ابو حاتم أحمد بن حمـــدان ، **الزينة في الكلمات الاسلامية** ، تحقيق عبدالله السامرائي ، ١٩٧٢ ، ص ٥٤ ، الحنفي ، ابو محمد عثمان بن عبدالله ، **الفرق المفترقة بين اهل الزيغ والزندقة** ، انقرة ، ١٩٦١ ، ص ١٤ ، انظر أيضا ابن حزم ، **جمهـــرة انساب العرب** ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠٧ ، ابن عبدربه ، العقد ، ج٣، ص ٣٤٦ ـــ ٣٤٧ . ابو المظفـــــــــر الاسفرايني ، التبصير ، ١٩٥٥ ، ص ٥٦ ، مؤلف مجهول ، **كتاب الاديان** ، مخطوط ، ورقة ٩٨ .

٢) الملطي ، **التنبيه** ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٥٢ ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٥٥ .

٣) السمعاني ، **أنساب** ، حيدر أباد ، ١٩٦٢ ، ص ٨٧

٤) المقدسي ، **البدء والتاريخ** ، باريس ، ١٩١٦ ، ص ١٣٨ ٠

٥) الاشعري ، ص ١٨٩ ، ابن حزم ، ج٤ ، ص ١٨٨ــ١٨٩ ٠

الاباضية البارزين وأئمتهم المشهورين لوجدنا له ترجمة في كتب طبقات الاباضية وسيرها ولكننا لم نعثر على مجرد اشارة عابرة لهذه الشخصية في تلك المؤلفات ٠ وقد أوضح الشيخ علي يحيى معمر ، المؤرخ الاباضي المعاصر ، أن مثل هذه الشخصية لا وجود لها على الاطلاق في تاريخ الحركة الاباضية كما أن الآراء المنسوبة اليه والى فرقته بعيدة كل البعد عن آراء الاباضية ومبادئها (٦) ٠

ومهما تعددت الروايات وتناقضت فان معظم المصادر بما فيها الاباضية تشير الى أن اسم الفرقة الاباضية مشتق من اسم عبد الله بن اباض (٧) ٠ أما عبد الله بن اباض نفسه فلا نعرف عنه الا معلومات يسيرة لا تكفي لتوضيح دوره في نشأة الحركة الاباضية وتطورها ٠ ولا تذكر المصادر المتوافرة على اختلافها وتنوعها ، شيئا عن حياة ابن اباض الاولى ولا عن مكان ولادته وتاريخها كما أنها تغفل تماما ذكر أية معلومات عن كيفية انضمامه للحركة ٠ ولا يرد اسمه في المصادر قبل اشتراكه في محاربة الجيش الشامي بجانب ابن الزبير عام ٦٣هـ ٠ ويرى كل من المفكر الاباضي المعاصر ، محمد ابن يوسف اطفيش ، والمستشرق الايطالي روبيناتشي Rubinacci

ان عبد الله بن اباض قد ارتحل الى البصرة من نجد ، ولكن العالمين لا يذكران متى حدثت هذه الرحلة وما هي أسبابها وهل ارتحل الى البصرة منفردا أم مع مجموعة من قبيلته التي استوطنت البصرة بعد الفتح الاسلامي (٨) ٠ ويشير اطفيش الى أن عبد الله بن اباض كان صحابيا الفترة قصيرة من الوقت (٩) ٠ وما دمنا لا نعرف بالضبط تاريخ ولادته ومكانها ، كما نجهل تاريخ وفاته أيضا فمن الصعب أن نقطع بصحة هذه المعلومات ما لم تظهر لنا مادة جديدة تلقي ضوءا على هذا الموضوع ٠ ومن جهة أخرى فان المصادر الاباضية (١٠) تجعله من رجال الطبقة الثانية من التابعين ، أي الذين ماتوا قبل عام ١٠٠هـ ٠ ويذكر بعض المؤرخين الاباضية أن ابن اباض قد « نشأ في زمن معاوية بن أبي سفيان وعاش الى زمن عبد الملك بن مروان » (١١) ٠ بينما يذكر ابن اباض نفسه في رسالته الى عبد الملك بن مروان أنه أدرك

---

٦) علي يحيى معمر ، **الاباضية بين الفرق الاسلامية** ، ص ٢٢–٢٣ ، ص ٤٧ ٠

٧) انظر ملاحظة رقم ١ وأيضا الدرجيني ، ورقة ٩٢ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٧ ، الرقيشي ، **مصباح الظلام**، ورقة ١٩ ، الازكوي ، ورقة ٢٤٤ ، القلهاتي ، ورقة ١٩٧ ٠

٨) محمد بن يوسف اطفيش ، **رسالة شافية في بعض التواريخ** ، الجزائر ، طبعة حجرية ، ١٢٩٩ هـ ، ص٤٩
Rubinacci, "The Ibadis", Loc. cit.

٩) محمد بن يوسف اطفيش ، **رسالة شافية** ، ص ٤٩ ،

١٠) الدرجيني ، ورقة ٩٢ ، شماخي **سير** ، ص ٧٧ ، الازكوى ، ورقة ٢٤٤ ٠

١١) الازكوى ، ورقة ٢٤٤ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٢١ (عن الرقيشي)

معاوية وأنكر عليه أشياء كثيرة (١٢) • مما يدل على أنه لم يكن حدثا ابان خلافة معاوية (٤١هـ / (٦٦١ - ٦٠ هـ / ٦٨٠م) وأنه كان في وضع فكري وثقافي مكنه من نقد سياسة معاوية • ومن هنا فان كلمة النشؤ التي اشار اليها بعض المؤرخين انما تعني النشؤ الفكري وليس الحياتي • ولكننا لا نملك دليلا على أن ابن اباض قد اشترك في الحرب الاهلية الاسلامية التي انتهت باعتلاء معاوية عرش الخلافة الاسلامية • وأول اشارة صريحة موثوقة عن اشتراك ابن اباض في الحياة العامة كانت اشتراكه في الدفاع عن الكعبة المشرفة الى جانب ابن الزبير ضد الجيش الاموي بقيادة الحصين بن نمير السكوني الذي خلف القائد الاموي مسلم بن عقبة عام ٦٣ هـ / ٦٨٢م• وكان قد ذهب الى مكة مع بعض قادة المحكمة مثل نجدة بن عامر الحنفي ونافع ابن الازرق وغيرهم مدفوعين برغبتهم وحماسهم في الدفاع عن البيت الحرام على الرغم من اختلافهم ، في المبادىء ، مع ابن الزبير (١٣) • وبذلك يقول البلاذري : « وكانوا (المحكمة) غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ولكنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام » (١٤) • وعندما انسحب الجيش الشامي عقب وفاة يزيد بن معاوية حاول ابن اباض ومن معه من المحكمة اقناع ابن الزبير بوجهة نظرهم ، ووعدوه بالنصرة والمساعدة أن وافقهم وتبرأ من عثمان وعلي وطلحة ووالده الزبير بن العوام •

ومن المحتمل أن هؤلاء القادة من المحكمة قد آثروا أن يجدوا لهم زعيما من قريش التي لا تزال - رغم احتجاج بعض القبائل في الامصار على احتكارها للزعامة - تتمتع بمكانة خاصة لدى بعض المسلمين • كما أن الناس قد تعودوا أن يروا خليفتهم من رجال هذه القبيلة التي كانت لها مكانتها الخاصة بين القبائل قبل الاسلام وتشرفت ببعثة الرسول الكريم منها • ومن المرجح أيضا أن المحكمة ارادوا أن يخضعوا الزعامة القرشية لارادة القبائل ومصالحها ولكن رفض ابن الزبير لآرائهم بدد أحلامهم وجعلهم يفقدون الامل وبالتالي يصرفون النظر كليا عن الزعامة القرشية •

على اثر الخلاف بين ابن الزبير والمحكمة الذين اشتركوا معه في قتال الشاميين ترك المحكمة مكة المكرمة وعاد بعضهم ، ومن بينهم عبد الله بن اباض ، الى البصرة في عام ٦٤هـ • بينما اتجهت طائفة أخرى منهم الى

---

١٢) انظر نص الرسالة في البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٥٦—١٦٧ ، الازكوى ، ورقة ٢٠٠—٢٠٧ ، الحارثى ص ١٢٢ وما بعدها (عن كتاب السير العمانية القديمة)

١٣) الطبرى ، ج٥ ، ص ٥٦٣ ، ٥٦٦ •

١٤) البلاذرى ، **انساب** ، ج٤ق ٢ ص ١٠٢ •

اليمامة وبايعوا فيما بعد نجدة بن عامر الحنفي اماما لهم ، وسموا تبعا لذلك بالنجدات ، ونادوا بآراء متطرفة مخالفة لما كان معروفا من اعتدال آراء القعدة في البصرة (١٥) ٠

بعد عودة المحكمة من الحجاز الى البصرة دار بينهم نقاش حاد حول الخطوة التالية الواجب اتخاذها ٠ وكانت المسألة الهامة التي جرى الجدل والنقاش حولها هي الموقف من التطورات التي مرت بها الدولة الاسلامية آنذاك ، وهل الخروج واجب أم أن البقاء بين أظهر المسلمين والتعايش معهم هو المحبذ في تلك الفترة ٠ وقد استقر رأي زعمائهم على الخروج ومن بينهم نافع بن الازرق وعبد الله بن اباض وغيرهم ٠ ولما جن الليل سمع عبدالله بن اباض « دوي القراء ورنين المؤذنين وحنين المسبحين ٠ فقال لاصحابه : أعن هؤلاء أخرج معهم ؟ فقرر القعود ورجع وكتم أمره » (١٦) ٠ وأيا كان الصحيح فمن الثابت أن ابن اباض لم يقتنع بالخروج وأنه فارق ابن الازرق وأتباعه وبدأ فصل جديد في تطور حركة الخوارج تميز بالفرقة والنزاع وتكفير بعضهم بعضا ٠ وانقسموا كما ذكرنا في صفحات سابقة الى قسمين أحدهما غال متطرف والآخر مسالم معتدل ٠ وقد مثل الجانب الاول نافع بن الازرق بينما مثل الفريق الآخر من آثر القعود ومن أبرزهم عبد الله بن اباض ٠ وقد أدى هذا الانقسام في الموقف السياسي الى تباين فكري وعقائدي واضح ٠ فقد نادى الذين آثروا الخروج بآراء متطرفة وتبنوا مواقف غالية جدا تجاه بقية المسلمين بمن فيهم أقرانهم من الخوارج القعدة ٠ وقد أحل ابن الازرق دماء المسلمين وأموالهم وأوجب الاستعراض ووصف بقية المسلمين بالمشركين ونادى بعدم التعامل معهم أو جواز مناكحتهم وموارثتهم ٠ وحاول بعد خروجه اقناع من حبذ القعود باللحاق به وكتب اليهم كتابا جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ٠ أما بعد ، فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ٠ والله انكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ٠ ففيم المقام بين أظهر الكفار ؟ ترون الظلم ليلا ونهارا ، وقد ندبكم الله الى الجهاد ، فقال : « وقاتلوا المشركين كافة » ، ولم يجعل في التخلف عذرا في حال ، فقال : « انفروا خفافا وثقالا » ٠ وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ٠٠٠ ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدين في سبيل الله » ٠ فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا ٠٠ » (١٧)٠ ولما قرأ ابن اباض رسالته رد عليه بقوله :

---

١٥) الطبرى ، ج٥،ص ٥٦٦ ٠

١٦) البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٥٥ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٢٣ ٠

١٧) المبرد ، ج٣،ص ٢٩٠ ، الطبرى ،ج٥،ص ٥٦٨ ، الدجيلي ، ص ٧٦ وما بعدها ٠

« قاتله الله ، أي رأي رأى ، صدق نافع ! لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وكانت سيرته كسيرة النبي في المشركين ولكنه قد كذب فيما يقوله ، ان القوم براء من الشرك ، ولكنهم كفار بالنعم والاحكام ولا يحل لنا الا دماؤهم ، وما سوى ذلك فهو حرام علينا » (١٨) ،

ويبدو أن القعدة قد اختاروا ابن اباض ليكون المجادل باسمهم ضد الازارقة وغيرها من الفرق المتطرفة من الخوارج ، ولكننا لا نسمع عن ابن اباض منذ رده على نافع بن الازرق حتى وقت متأخر ، وبالضبط في أيام خلافة عبد الملك ابن مروان ، وربما كان ذلك في بداية الربع الاخير من القرن الاول الهجري ، أي بعد قدوم الحجاج الى العراق واليا عليها ، ويبدو أن القعدة في هذه الفترة ، بين عامي ٦٤ هـ و ٧٥هـ ، قد اختاروا عمران بن حطان الشاعر الموهوب والخطيب البليغ والعالم بالدين ليقوم بدحض آراء مخالفيهم ومن هنا فقد وصفته المصادر الاباضية بأنه رئيس القعدة في البصرة (١٩) ،

وعلى أي حال فان بعض المصادر تدعي بأنه في هذه الفترة التي تزعم فيها ابن اباض حركة المعارضة ضد متطرفي الخوارج تكونت الفرقة الاباضية ونسبت تكوينها الى ابن اباض نفسه ، واعتبرته رئيس الفرقة ومؤسسها (٢٠) ،

أما المصادر الاباضية فتنسب الى عبد الله بن اباض دورا ثانويا بالمقارنة مع جابر بن زيد الازدي الذي تعتبره امام الاباضية (جماعة المسلمين) ومؤسس فقهم ومذهبهم ، وتذكر أن ابن اباض كان يصدر في كل افعاله واقواله عن جابر بن زيد (٢١) ، ولكنها في الوقت نفسه تذكر أنه كان امام أهل التحقيق ورئيس من بالبصرة وغيرها من الامصار (٢٢) ، وتضيف هذه المصادر وتقول انه الشخص الذي ناظر الخوارج (المتطرفين) والقدرية والمعتزلة والمرجئة والشيعة (٢٣) ، ورغم أن بعض هذه الجماعات لم تكن قد اكتمل تكوينها بعد ، وأن المصادر لم تذكر طبيعة النقاش والجدل بين

---

١٨) المبرد ، ج٣،ص٢٩٠،الطبرى ،ج٥،ص٥٦٨ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٢٢ ،

١٩) انظر فوق ، ص ٧٢ ،

٢٠) ابن حزم ، **جمهرة** ، ص ٢٠٧ ، الذهبي ، **لسان الميزان** ، ج٣،ص٢٤٨ ، البغدادي ، ص ٨٢ ،

٢١) شماخي ، **سير** ، ص ١٧٧ ، محمد بن يوسف اطفيش ، **رسالة شافية** ، ص ٤٣ (عن ابن وصاف (

٢٢) الدرجيني ، ورقة ٩٢ شماخي ، ص ١٧٧ ، البرادي **الجواهر** ص ١٥٥ ، (يصفه بانه رأس القعدة وامام القوم) ،

٢٣) الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٣٨ ، الازكوى ، ورقة ١٩٩ ، الدرجيني ، ورقة ٩٢ ، الحارثي ، ص ١٢٣ ،

ابن اباض وبين هذه الفرق الا ان في القول دلالة على أن ابن اباض كان المناظر حقا والمدافع قولا عن آراء القعدة من الخوارج • ولكن الصعب في الامر هو التوفيق بين كون ابن اباض أمام أهل التحقيق ورئيس القعدة ورئيس من بالبصرة وغيرها من الاقطار من جهة وبين كونه لا يصدر في أفعاله الا بأوامر جابر بن زيد الذي تعتبره المصادر الاباضية المؤسس الحقيقي لدعوتهم •

ومن المحتمل أن جابرا كان الامام الروحي وفقيه الاباضية ومفتيهم وكان بالفعل هو الشخص الذي بلور الفكر الأباضي بحيث أصبح متميزا عن غيره من المذاهب الاسلامية ، وكان ابن اباض المسؤول عن الدعوة والدعاة في شتى الأقطار ولذلك سمته المصادر رئيس القعدة في البصرة وغيرها من الأمصار • وتاريخ الدعوة الاباضية يشير الى اشتراك بعض الأشخاص البارزين والمجتهدين في المسؤولية الى جانب الامام الاكبر لهم • وقد حدث مثل ذلك زمن أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي الذي أناط المهام المالية والعسكرية والاشراف على سير الدعوة خارج البصرة الى أبي مودود حاجب الطائي • ولما كان أبو عبيدة آنذاك معروفا لدى الناس بأنه شيخ الاباضية وزعيمها في البصرة فان المصادر لم تخلط بينه وبين حاجب الطائي كما فعلت مع جابر وابن اباض ، وذلك لأن جابرا كان قد اخفى معتقده واستعمل التقية الدينية فلم يخطر على بال أحد أنه زعيم القعدة ومؤسس مذهبها ، وخاصة أنه لم يكن معروفا لدى البصريين الا بكونه أحد التابعين المحدثين الثقات وأهم فقيه في البصرة بعد الحسن البصري • ولذا فان المصادر السنية أسهبت في الحديث عنه اعتقادا منها بأنه لا ينتمي الى أي فرقة من الفرق الاسلامية التي ظهرت للوجود في القرن الاول الهجري • والواقع أن جابرا كان ذا علاقة وثيقة بحركة الخوارج القعدة منذ وقت مبكر وأصبح أحد مفكريها البارزين منذ بداية النصف الثاني للقرن الاول الهجري وقبل مقتل أبي بلال مرداس عام ٦١ هـ • وقد اكتسب ثقة أقرانه لعلمه ودينه فكانوا لا يصدرون في شيء الا بعد مشورته • ولكن ذلك قد خفي على مخالفيهم ولم يعرفوا له هذا الدور • ولذا نسبوا الفرقة الى ابن اباض ، وهو الشخص الذي قدموه ليناظر أعداءهم ويتكلم باسمهم علنا • وكان بذلك هو المعروف لدى عامة الناس فغلب اسمه على من اتفق معه في الرأي • كما أن مراسلاته مع الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان قد أقنعت كثيرا من معاصريه بأنه هو امام الاباضية ومؤسسها • ومن حق القارىء أن يسأل لماذا لم يقم الامام الحقيقي، جابر بن زيد ، بالمراسله مع الخليفة بدلا من ابن اباض ؟ والجواب يكمن في تصميم أتباع الفرقة بأن تبقى الحركة سرية بقدر الامكان وأن يبقى اسم مؤسسها ومنظم دعوتها مستورا حتى لا يبطش به الأعداء والولاة • وبذلك يقول الرقيشي : « •• فقد بلغنا أن أبا بلال مرداس بن حدير وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون الا بأمر امامهم في دينهم جابر بن زيد العماني

رحمه الله ومشورته ، ويحبون ستره عن الحرب ، لئلا تموت دعوتهم ،وليكون ردءا لهم » (٢٤)٠ ويقول قاسم بن سعيد الشماخي : « كان (ابن اباض) المجاهد علنا ، المناضل علنا ، في سبيل تحقيق الحقائق ، وتصحيح قضايا العقول ، فيما أحدثه أهل المقالات والبدع من الزور والافتراء في شريعة ربنا ، وكان شديدا في الله تعالى ، وله مناظرات مع أهل التنطس والتفلسف ٠ كان الحجة الدامغة التي يخنس أمامها كل ثرثار ، وله كلام مع عبد الملك بن مروان يهضم نفس كل حائر جبار ، تغلب على المسلمين ، أصحابه ، الذين يقولون بقوله الاباضية ، وتسمى المذهب باسمه على هذا المعنى ، وانما كان الامام القائد، والوسيلة الراشد ، أس المذهب وحاميه ، مرجع الفضل في تدوينه وتشييد مبانيه ؛ انما كان جابر بن زيد رضي الله عنه ٠ » (٢٥) أما المؤرخ الاباضي المعاصر محمد علي دبوز ، فيرى أن الامويين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم ؛ نسبة الى عبد الله بن اباض لأن الاخير كان من علمائهم وشجعانهم والمناظر باسمهم ٠ كما أن الامويين لا يريدون نسبة هذه الفرقة الى جابر حتى « لا يجذبوا اليهم الأنظار ، ولا يبدون في هالة جابر المشرقة ، فتميل اليهم النفوس ، فنسبوهم الى عبد الله بن اباض ، وهو أقل منزلة من جابر في العلم وان كان لا يقل عنه في التقوى والورع والصلاح » (٢٦) ٠ والدليل على صحة هذه الأقوال التي يوردها مؤرخو الاباضية ، أن اتباع الفرقة لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم في تلك المرحلة ٠ وكانوا يصفون أنفسهم باسم « المسلمين أو جماعة المسلمين أو أهل الدعوة » ٠ وأحيانا كانوا يقبلون لفظ الخوارج ولكنهم كانوا يميزون أنفسهم عن المتطرفين منهم باطلاق لقب خوارج الجور على المتطرفين ٠ واذا تفحص الباحث المصادر الاباضية الأولى فانه لا يجد فيها هذا الاسم ، أي الاباضية ، بل غالبا ما يجد لفظ جماعة المسلمين أو أهل الدعوة للتدليل على اتباع الفرقة ٠ واذا رجعنا الى هذه المؤلفات التي كتبها أئمة الاباضية مثل **مدونة** أبي غانم الخراساني ، **وكتاب الزكاة** لأبي عبيدة والآثار الأخرى الباقية المنسوبة الى جابر بن زيد فاننا لا نعثر فيها على كلمة اباضية ٠ ولكن يبدو أنهم مع مرور الزمن واصرار مخالفيهم على تسميتهم بهذا الاسم قد قبلوا به وخاصة أنهم لم يجدوا فيه ما يؤذيهم أو يسيء الى سمعتهم ٠ وقد ظهر لأول مرة في المؤلفات الاباضية المغربية في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ٠

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن الآن هو : لماذا قدم الاباضية ابن اباض ليجادل باسمهم علنا ويناظر مناوئيهم ويكشف عن بعض مبادئهم في الوقت الذي

---

٢٤) الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٢٠ ٠

٢٥) علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، الحلقة الاولى ،ج١،ص ١٥٠ — ١٥١ (عن الشماخي)

٢٦) محمد علي دبوز ، **تاريخ المغرب الكبير** ، ج٢،ص٢٩٨—٢٩٩ ٠

كانت فيه الحركة تمر فيما عرف بطور الكتمان أو السرية التامة ؛ يبدو أن الاباضية في تلك المرحلة رأوا أنه لا بد لهممن الافصاح عن آرائهم ومعتقداتهم وخاصة ما يتعلق منها بوجهة نظرهم نحو متطرفي الخوارج ونحو بقية المسلمين حتى لا يتعرضوا للسخط من بقية المسلمين الذين اعتبروا الخوارج المتطرفين ، مثل الأزارقة ، مارقين تجب محاربتهم والقضاء عليهم · ولذا كان لا بد للقعدة الاباضية ممن يفصح عن رأيهم حتى لا توجه اليهم تلك الاتهامات التي وسم بها متطرفو الخوارج · وكان ابن اباض هو المؤهل للقيام بهذه المهمة الدعائية لأنه ، بالاضافة الى قدرته في المناظرة والمجادلة، ينتمي الى قبيلة تميم ، احدى أهم قبائل البصرة آنذاك ومن الصعب على الولاة أن يتعرضوا له بأذى خوفا من اغضاب قبيلته · ومن هنا فانه وصف عثمان بن عفان وخلفاء بني أمية بالظلم والفساد ومخالفة المبادىء الاسلامية في مراسلاته مع عبد الملك بن مروان · ولم يخاطب عبد الملك نفسه بلقب أمير المؤمنين أو خليفة المسلمين بل خاطبه باسمه مجردا من أي لقب·ورغم ذلك فان عبد الملك لم يتخذ ضده أية اجراءات · وهذا دليل على أن ابن اباض الذي ينتمي الى قبيلة تميم كان آنذاك يتمتع بحماية قبيلته مما جعل اضطهاده أمرا صعبا وخاصة أنه لم يحمل السيف ولم يجرد السلاح ضد الحكام الامويين · وعلى أي حال فان الرسالة التي بعث بها الى عبد الملك تعد وثيقة هامة للكشف عن الخطوط العريضة للاراء والمبادىء الاباضية في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الحركة كما أنها تلقي ضوءا على نظرة المحكمة للتطورات التي حدثت في صدر الاسلام ابتداء من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى فترة حكم عبد الملك بن مروان · ونظرا لأهميتها فقد ألحقناها في نهاية الكتاب ·

ويبدو أن عبد الله بن اباض قد اكتسب ـ نتيجة لهذه المناظرات ـ سمعة واسعة حتى أن فرقا غير اباضية ادعت نسبته اليها مثل الفرقة العمرية·(٢٧) كما أن الحارثية ، اتباع حارث بن مزيد الاباضي قد ادعوا نسبته اليهم وزعموا « أنه لم يكن لهم امام بعد المحكمة الاولى الا عبد الله بن اباض وبعده حارث بن مزيد الاباضي » (٢٨) ·

أما عن نشاط ابن اباض بعد مراسلاته مع عبد الملك بن مروان فلا تذكر المصادر معلومات موثوقة يمكن الاطمئنان اليها · ويزعم كل من الشهرستاني والقزويني أن عبد الله بن اباض قد اشترك في ثورة طالب الحق التي بدأت في حضرموت واليمن في عام ١٢٩ هـ ضد مروان بن محمد ، آخر الخلفاء

---

٢٧) محمد بن يوسف اطفيش ، **رسالة شافية** ، ص ٥١ ·

٢٨) البغدادي ، **الفرق** ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٨٤ ، يذكر البغدادي بهذه المناسبة ان الفرقة الحارثية قد وافقت المعتزلة في القدر وقد تبرأ منهم سائر الاباضية ·

الامويين (٢٩) الا أن هذه المعلومات لا تؤكدها المصادر الأخرى الأقدم زمنا ٠ كما أن المصادر الاباضية لا تذكر ذلك مطلقا ، ولو اشترك ابن اباص في هذه الثورة لورد اسمه بين الأشخاص البارزين في الثورة ولأكدت المصادر الاباضية دوره ٠ أضف الى ذلك أن المصادر غير الاباضية التي تسهب في الحديث عن ثورة طالب الحق مثل **أنساب** البلاذري **وتاريخ** خليفة ابن خياط **وتاريخ** الطبري **وأغاني** الاصفهاني لا تشير الى اشتراك ابن اباض في تلك الثورة ٠ وقد مر معنا أن بعض المؤرخين الاباضيين يذكرون أنه قد عاش حتى زمن عبد الملك ابن مروان رغم أنها لا تذكر متى توفي ٠ (٣٠) واذا صحت هذه المعلومات وأن ابن اباض قد توفي خلال فترة حكم عبد الملك فان ذلك يعتبر نفيا قاطعا لاشتراكه في تلك الثورة ٠ زد على ذلك أن كتب الطبقات الأباضية تجعله من رجال الطبقة الثانية أي الذين عاشوا خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري وماتوا قبل عام ١٠٠ هـ ٠ ولما كانت ثورة طالب الحق قد بدأت عام ١٢٩ هـ فمن غير الممكن اذن أن يكون ابن اباض قد اشترك فيها أو حتى عاصرها ٠ بالاضافة الى ما ذكرنا فان كلا من القلهاتي والأزكوي يورد قائمة لرجال الاباضية الأوائل ويذكر فيها أن عبد الله بن اباض ، كان من تلاميذ عبد الله بن وهب الراسبي وجابر بن زيد الأزدي ٠ وكان أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي تلميذا لعبد الله بن اباض بينما كان عبد الله بن يحيى طالب الحق وقائده المختار بن عوف الازدي (أبو حمزة الشاري) تلاميذ لأبي عبيدة وليس هناك أية اشارة لاشتراك عبد الله بن اباض وعبد الله بن يحيى طالب الحق في نشاط واحد في زمن واحد (٣١) ٠ أضف الى ذلك فان أيا من المصادر الاباضية لا يذكر اطلاقا أي نشاط أو حتى اشارة عابرة لابن اباض ابان زعامة أبي عبيدة الذي خلف جابر بن زيد في امامة الاباضية في البصرة نحو عام ٩٥هـ كما سنرى، وفي عهده جرت ثورة طالب الحق في حضرموت واليمن ٠ ولعل السبب في اشارة الشهر ستاني والقزويني الى اشتراك عبدالله ابن اباض في ثورة طالب الحق هو تشابه الاسمين الأولين لكلا الرجلين فحدث الالتباس تبعا لذلك ٠

أما الرواية التي يوردها ابن حوقل والتي تشير الى أن ابن اباض وعبد الله ابن وهب الراسبي قد ارتحلا الى جبل نفوسة وماتا هناك فواضح عدم صحتها (٣٢) ٠ اذ ان من المؤكد والمعروف أن عبد الله بن وهب الراسبي قد لاقى حتفه في معركة النهروان عام ٣٧هـ ٠

---

٢٩) الشهرستاني ، **ملل** ، ج ١ ، ص ٢١٢ ـ٢١٣ ، قزويني ، **اثار البلاد** ، ج١ ،ص٣٧ ٠

٣٠) انظر فوق ، ص ٧٦ ٠

٣١) القلهاتي ، ورقة ١٧٨ ، الازكوى ، ورقة ٢٤٤ ،

٣٢) ابن حوقل ، ص ٤٣ ٠ لقد اخطأ المستشرق البولندي ليفتسكي في فهم النص الذي اورده ابن حوقل خلال الحديث عن جبل المذيخرة في اليمن وتبعا لذلك فقد زعم أن عبدالله بن اباض قد توفي هناك ٠ انظر :
T. Lewichki, "Ibadiyya", E.I.(2)

مما مر يتبين لنا ندرة المعلومات واضطرابها حول هذه الشخصية التي نسبت اليها الفرقة الاباضية التي أسست دولا كان لها دور هام ومجيد في التاريخ الاسلامي ، والتي لا يزال أتباعها موجودين الى وقتنا الحاضر في سلطنة عمان وبعض أنحاء بلاد المغرب العربي ٠

على الرغم من ذلك فان الباحث يستطيع ، بعد استقصاء المصادر الاباضية وغيرها ، أن يلخص المعلومات الموثوقة حول هذه الشخصية بالنقاط التالية :

١ ـ أن عبد الله بن اباض ينتمي الى قبيلة تميم التي كانت في صدر الاسلام من أهم قبائل البصرة وأكثرها عددا ٠

٢ ـ أن ابن اباض قد تتلمذ على بعض زعماء المحكمة مثل عبد الله بن وهب الراسبي أول امام للمحكمة وقائدهم في النهروان ٠

٣ ـ أن المصادر لا تشير على الاطلاق الى أنه اشترك في حروب المحكمة ضد علي بن أبي طالب ٠

٤ ـ ان أول اشارة صريحة وواضحة حول ظهور ابن اباض على المسرح السياسي كان اشتراكه مع بعض المحكمة في الدفاع عن الكعبة مع ابن الزبير ضد الجيش الشامي زمن يزيد بن معاوية ٠

٥ ـ أن القعدة من الخوارج بعد رجوعهم الى البصرة من الحجاز قد اختاروا ابن اباض ليكون المتكلم باسمهم والمجادل علنا ضد مناوئيهم وبخاصة ضد متطرفي الخوارج ، وعلى رأسهم نافع بن الازرق وأتباعه ٠

٦ ـ ظهر ابن اباض على المسرح السياسي مرة أخرى بعد انقسام القعدة الى ما سمي بالصفرية والاباضية في أوائل الرابع الاخير من القرن الأول الهجري واختارته الفرقة الثانية التي كان اتباعها يسمون أنفسهم آنذاك أهل الدعوة أو جماعة المسلمين ، ليكون المناظر باسمهم ضد مناوئيهم من الخوارج وغيرهم من الفرق ٠ كما فعل مثل ذلك مع السلطة الأموية الحاكمة ممثلة بالخليفة عبد الملك بن مروان حيث احتفظت لنا المصادر برسائله ، أو ما تسميه المصادر الاباضية نصائحه ، الى عبد الملك بن مرواون ٠

٧ ـ بعد ذلك اختفى ابن اباض فجأة ولا تذكر المصادر المتوافرة معلومات موثوقة عن مكان وفاته ٠

٨ ـ ان المصادر الاباضية تجمع على أن ابن اباض لم يكن امامهم الحقيقي

ومؤسس دعوتهم وان كان من علمائهم ورجالهم البارزين في التقوى والصلاح ٠

ولهذا السبب فانها أغفلت الحديث عن كثير من جوانب حياة ابن اباض ونشاطه ٠ ويعتبر الاباضية ، القدامى منهم والمحدثون ، جابر بن زيد امامهم الأكبر ومؤسس دعوتهم ٠ ولم يكن ابن اباض الا واحدا من أتباع فرقته ولم يصدر في شيء من أفعاله وأقواله الا بأمر ذلك الامام وارشاده ٠ ومن هنا فان الاباضية لم يسموا أنفسهم بهذا الاسم ولم يرد في مصادرهم الا في وقت متأخر كما أسلفنا القول في الصفحات السابقة ٠

٩ ـ بعد اختفاء ابن اباض أقلع الاباضية عن المناقشة العلنية والجدل الكلامي مع مناوئيهم ومخالفيهم ولجأوا الى السرية المطلقة في تنظيم دعوتهم وكان لجابر دور تنظيمي كبير في هذه المرحلة التي تعرف في التاريخ الاباضي بطور الكتمان ٠

الباب الخامس

جابر بن زيد الأزدي

مر معنا أن المؤرخين الاباضيين ، القدامى منهم والمحدثين ، يؤكدون على أن جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقي لدعوتهم والمنظم الأول لحركتهم . وسوف نحاول في هذا الفصل التعرف على هذه الشخصية ، ودورها في بلورة الفكر الاباضي وفي تنظيم الدعوة في مرحلة الكتمان .

هو أبو الشعثاء (١) جابر بن زيد الازدي الجوفي البصري من قبيلة اليحمد الأزدية في عمان . وقد عرف بالجوفي نسبة الى درب الجوف في البصرة حيث استقر مع اسرته فيما بعد (٢) .

ولد جابر في مدينة الفرق بالقرب من مدينة نزوى في عمان . (٣) وتسمى المنطقة التي تقع فيها الفرق باسم جوف الحميلة (٤) ولعل هذا الاسم هو الذي اشتق منه اسم درب الجوف في البصرة حيث استقر الأزد بعد نزوحهم الى المدينة فسموا المكان باسم المنطقة التي جاءوا منها .

أما السنة التي ولد فيها جابر فلا تعرف على وجه التحديد ، وتعطي المصادر تواريخ مختلفة الا أنها كلها محصورة بين عامي ١٨ و ٢٢ هـ . (٥) ولا تذكر المصادر المتوافرة أيضا تاريخا لقدومه الى البصرة . ويبدو أنه جاء في وقت مبكر من حياته طلبا للعلم حيث كانت البصرة آنذاك أهم مركز فكري في العالم

---

١) الشعثاء ابنته ، وقبرها موجود ومعروف الى الان ببلدة الفرق من أعمال نزوى في عمان . أنظر الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ٩٤ .

٢) البخاري ، **التاريخ الكبير** ، ج١،ق٢، ص٢٠٤ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، ج٢،ص ٣٨ ، ياقوت ، **بلدان** ، ج٢،ص ٢٤٤ .

٣) الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ٩٤ ، تذكر بعض المصادر أنه ولد في مكان يدعى الحرقة ولعل ذلك تحريفا لكلمة الفرق ، انظر ابن حبن ، **مشاهير علماء الامصار** ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٨٩ .

٤) ياقوت ، **بلدان** ، ج٢،ص١٥٨ .

٥) البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٥٥ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ٩٣ ، محمد بن يوسف اطفيش ، **شرح القصيدة** ، ص ١٣٢ .

الاسلامي · واستقر بين أقاربه من الأزد الذي سكنوا أحد أحياء البصرة (٦)·

وفي البصرة أخذ جابر يتزود بالعلم والمعرفة وخاصة ما يتعلق منها بعلوم القرآن والحديث وما يتصل بهما · وقد تتلمذ جابر على أيدي كثيرمن الصحابة والتابعين وأخذ عنهم الحديث والتفسير وعلوم اللغة والأدب · ويروى عن جابر أنه كان يقول : « أدركت سبعين بدريا فحويت ما عندهم الا البحر » (٧) أي عبد الله بن عباس على أن الاخير لم يكن من أهل بدر · وفي القول دلالة على أن جابرا قد أخذ عن مجموعة من الصحابة الذين رافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلوا عنه علمه وسنته الشريفة · ومن أهم العلماء الذين أخذ عنهم جابر : عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وغيرهم · الا أنه كان اكثر ملازمة لعبد الله بن عباس من غيره وكان من أنجب تلاميذه · وكان عبد الله بن عباس يقول عنه : « لو أن أهـــل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله » (٨) · وفي رواية أخرى أنه كان يحيل سائليه الى تلميذه جابر ويقول : « اسألوا جابر بن زيد ، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه» (٩) · وعندماكانيسألهأناسمن أهل البصرة كان يبادرهم بقوله : « كيف تسألوني وفيكم جابر بن زيد (أو أبو الشعثاء) » (١٠) · وقد وصفه عبد الله بن عمر بن الخطاب بأنه من فقهاء أهل البصرة البارزين (١١) · بينما قال عنه قتادة بن دعامة السدوسي انــه « عالم العرب وأعلم أهل الارض » (١٢) ·

---

٦) يذكر نور الدين السالمي أن جماعة كبيرة من الازد قد اشتركت في فتح فارس مع جيش عثمان بن ابي العاصي · ويقال ان شخصا يدعى جابر بن حديد اليحمدي ، من اسرة جابر بن زيد ، هو الذي قتل قائد الجيش الفارسي ، شاهراك · وبعد ذلك استقر الجيش في توج ثم ارتحل الى البصرة ابان ولاية عبدالله بن عامر في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، انظر السالمي ، **تحفة** ، ج١،ص ٦٨ــ٦٩ ·

٧) الدرجيني ، ورقة ، ٨٨ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ٩٤ ، علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، الحلقة الاولى ، ج١،ص١٤٤ ، محمد علي دبوز ، **تاريخ المغرب الكبير** ، ج٣،ص١٤٠ ·

٨) البخاري ، **التاريخ الكبير** ، ج١،ق٢،ص٢٠٤، ابو نعيم ، **حلية الاولياء** ، ج٣،ص٨٥، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، ج٢،ص٣٨، الذهبي ، **تذكرة الحفاظ** ، ج١،ص٦٨،٧٢، الدرجيني ، ورقة ٨٨ ، شماخي ، **سير** ، ص٧٠ انظر أيضا ابن سعد ، ج٧،ق١،ص ١٣٠ــ١٣١ ·

٩) الدرجيني ، ورقة ٨٧ــ٨٨، شماخي ، **سير** ، ص٧٣ ·

١٠) ابو نعيم ، ج٣ص ٨٦ ، ابن حجر ، **تهذيب** ، ج٢،ص ٣٨ ، الذهبي ، **تذكرة الحفاظ** ، ج١،ص٧٢ ·

١١) البخاري ، **التاريخ الكبير** ، ج١،ق٢ ص ٢٠٤ ، ابو نعيم ، ج٣،ص٨٥ ، الذهبي ، **تذكرة الحفاظ** ،ج١، ص ٦٨ ·

١٢) الدرجيني ورقة ٨٧ ، ابو نعيم ، ج٣،ص٨٦،ابن حجر ، **تهذيب** ، ج٢،ص٣٨، الذهبي ، **تذكــــرة الحفاظ** ، ج ١ ، ص ٦٨ ، ابن كثير ، **بداية** ، ج ٩ ، ص٩٤ ·

ولم يكتف جابر بن زيد بعلم من التقى بهم في البصرة بل كان يرتحل الى أماكن أخرى طلبا لمزيد من العلم . ولا يترك فرصة يتزود فيها بالعلم الا واغتنمها ، وكان يتردد على الحجاز ويلتقي بعائشة ، أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، ويأخذ عنها العلم ، ويسألها عن سنة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ويناقشها في كثير من المسائل مما يتعلق بحياة الرسول الخاصة أملا منه في أن يجعل من تلك السيرة قدوة لأصحابه ولمن طلب فتواه مدللا على رأيه بأمثلة من سيرة النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم . (١٣)

مما مر يتبين لنا بوضوح أن جابر بن زيد قد اكتسب علما واسعا بعد اقامته في البصرة وأنه أصبح من أبرز التابعين الأوائل في علم الحديث والتفسير والعلوم الدينية بشكل عام . وقد أهلته معرفته العميقة لأن يصبح أبرز مفت في البصرة بعد الحسن البصري . وعندما كان الأخير يخرج للجهاد في الثغور أو يغيب عن البصرة كان يكل مهمة الفتوى الى جابر بن زيد الذي كان صديقا له . ومما يدل على طول باعه في ميدان الفتوى والاجتهاد أن عمرو بن دينار ، وهو أحد العلماء اللامعين في البصرة آنذاك وأحد التابعين من رواة الحديث ، كان يذكر جابر بن زيد ويقول : « ما رأيت أحدا أعلم بالفتيا من جابر بن زيد » (١٤) ، أما اياس بن معاوية ، قاضي البصرة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فكان يقول : « أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان » (١٥) . أما الحسن البصري فيثني على جابر وعلمه الغزير ويصفه « بالفقيه العالم » (١٦) .

ولم يكتف جابر بالرواية الشفوية عن أساتذته ومعاصريه ، بل كان يسجل الأحاديث التي سمعها من شيوخه كما سمح لتلاميذه بتدوين الاحاديث التي رووها عنه . (١٧) وقد ألف كتابا سماه **الديوان** ضمنه الأحاديث التي رواها

---

١٣) الدرجيني ، ورقة ٨٨ ، شماخي ، سير ، ص ٧٣ . يقول المؤرخ الاباضي ابو سفيان محبوب بن الرحيل : دخل جابر بن زيد على عائشة رضي الله عنها ، فاقبل يسألها عن مسائل لم يسألها أحد عنها حتى سألها عن جماع النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان يفعل ، وان جبينه ليتصبب عرقا وهي تقول : سل يابني .. » ليس لدينا ما يثبت صحة هذه الرواية ولكن فيها دلالة واضحة على ان جابرا قد اخذ بعض علمه عن أم المؤمنين وعن أنه كان يحاول دوما ان يعرف دقائق الامور عن حياة الرسول الخاصة جاعلا منها قدوة ومثلا للمسلمين في العصور اللاحقة .

١٤) البخاري ، **التاريخ الكبير** ، ج١ق٢،ص٢٠٤ ، أبو نعيم ، ج ٣ ، ص ٨٦ ، ابن كثير ، **بداية** ، ج٩،ص٩٤

١٥) ابو نعيم ، ج٣،ص ٨٦ ، الذهبي **تذكرة الحفاظ** ، ج١،ص٦٨،٧٢ .

١٦) الدرجيني ، ورقة ٨٨ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٣ .

١٧) ابن سعد ، ج٧،ق١،ص ٣١ ، الذهبي ، **ميزان الاعتدال** ، ج٣،ص٩٣، الخطيب البغدادي ، **تقييد العلم** ، دمشق ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٩ .

وأودع في صفحاته أراءه وفتاويه في كثير من أمور العقيدة ٠ ويقال ان ديوانه كان من الضخامة بحيث يعجز عن حمله البعير ، ويقع في عشرة أجزاء كبيرة ٠ وكانت نسخة منه موجودة في احدى مكتبات بغداد الكبرى في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ٠ (١٨) ويذكر المؤلف الاباضي ، الوسياني ، أن نسخة من الديوان قد بقيت ، بعد موت جابر ، في حوزة خليفته أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ثم توارثها أئمة الاباضية في البصرة ٠ وفي عهده استنسخت المخطوطة في مكة (١٩) ٠ ولكن المؤلف لم يذكر اسم الناسخ ولا الهدف من نسخها ٠ وربما قام بهذا العمل جماعة من اباضية شمال افريقية وخاصة أن هناك معلومات تشير الى وجود نسخة من الديوان في شمال افريقية في وقت مبكر ٠ ويروى أن احد علماء الاباضية من جبل نفوسه في ليبيا ويدعى النفاث فرج بن نصر ـ وهو مؤسس الفرقة النفاثية الاباضية ـ استطاع أن يحصل على نسخة كاملة من ديوان جابر بن زيد وأتى بها الى جبل نفوسه ٠ ولما كان نفاث عدوا للامام الرستمي في تاهرت ولعامله في جبل نفوسه فقد دمر المخطوطة حتى لا يستطيع مناوئوه الحصول عليها أو حتى استنساخها (٢٠)٠ وجدير بالذكر أن حاجي خليفة قد أشار في كتابه **كشف الظنون** الى ديوان جابر ابن زيد ولكنه لم يعط أية تفصيلات عنه ، ولم يشر الى المصدر الذي استقى منه معلوماته حول هذا السفر الضخم ٠ (٢١) واذا صحت هذه المعلومات حول ديوان جابر فان الباحث يستطيع أن يقرر بأن الاباضية كانت أول المدارس الاسلامية التي عنيت بتدوين الحديث ، ولعل بعض المؤلفات ـ والتي لا تزال مخطوطة ـ المروية عن جابر بن زيد أو المنسوبة اليه انما هي قطع من هذا الكتاب الكبير ٠ (٢٢)

ويبدو أن جابر بن زيد قد اتبع اسلوبا خاصا فيحياته بعد قدومه الىالبصرة مما ساعده على اكتساب المعارف والاحاطة بالعلوم السائدة في عصرة وخاصة العلوم الدينية ، فقد عاش حياة زهد وتقشفوانصرف عن لهوالدنيا وترفها ، وكان يقول : « سألت ربي عن ثلاث فأعطانيهن ، سألت عن زوجة مؤمنة ، وراحلة صالحة ورزقا كفافا يوما بيوم ٠ » (٢٣) ٠ وكان يخاطب أصحابه ويقول: « ليس منكم رجل أغنى مني ، ليس عندي درهم وليس علي دين » ٠ (٢٤)

---

١٨) ابو زكريا ، **سير** ، مخطوطة دار الكتب ، ص٣٠ ، السالمي ، **اللمعة المرضية** ، ١٣٢٦هـ ، ص ١٨٤ ٠

١٩) الوسياني ، **سير** ، ورقة ٦١ ٠

٢٠) ابو زكريا ، **سير** ، ورقة ١٦ . علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، الحلقة الاولى ،ج١ص١٤٩

٢١) حاجي خليفة ، **كشف الظنون** ، ج ١ ، ص ٧٨١ ٠

٢٢) انظر : A. Ennami, art.cit., pp. 67ff

٢٣) شماخي ، **سير** ، ص ٧٧

٢٤) الدرجيني ، ورقة ٩٠

ويذكر ابن سيرين أن أبا الشعثاء جابر كان مسلما عند الدينار والدرهم » ،أي أنه كان ورعا تقيا لا يهتم بجمع المادة واكتنازها ٠ (٢٥) والواقع أن المصادر السنية والاباضية تسهب في الحديث عن زهد جابر وانصرافـــه الى الدرس والتحصيل حتى أصبح ، بعلمه ، مرجعا لكل سائل في أمور الفتيا والفقـــه الاسلامي ٠ وكان بعض الناس ممن يسكنون خارج البصرة يكتبون اليـــــه مستفسرين عن مسائل ومشاكل فقهية فيجيبهم عليها ٠ (٢٦) وتبعا لذلك فقد وصفه أتباعه بأنه « بحر العلم وسراج الدين » (٢٧) ٠

مما تقدم ، يظهر لنا بوضوح أن جابرا قد اكتسب علما غزيرا بعد هجرته الى البصرة ٠ وأصبح من الفقهاء البارزين الذين أسدوا خدمات جليلة للعقيدة والفكر الاسلاميين ٠ ولا شك أنه وظف علمه ومواهبه في خدمة مبادئه التـــي آمن بها واقتنع بصحتها ٠ ولكي نفهم دوره في نشأة الفرقة الاباضيةوتطورها لا بد لنا من التعرف على بدء علاقته بحركة الخوارج القعـــــــدة ثم جهوده المتواصلة في سبيل انجاح الدعوة الاباضية بعد أن اصبح رئيسها وزعيمها ٠

لسنا نعرف على وجه التحديد متى بدأت علاقة جابر بن زيد بالخـــوارج القعدة على الرغم من أن المعلومات التي توردها المصادر الاباضية تشير الى قدم هذه العلاقة والى أن جابرا قد انضم الى الحركة في وقت مبكر ٠

أما ما يورده بعض مؤرخي الاباضية المحدثين (٢٨) من أن جابر بن زيد كان زعيم الحركة بعد وفاة عبد الله بن وهب الراسبي مباشرة فيصعب تصديقه، لأن جابرا آنذاك كان لا يزال شابا صغيرا يتراوح عمره بين السادسة عشرة والعشرين سنة فقط ٠ ومن غير المحتمل أن يكون في هذا السن قد اكتسب العلم اللازم والخبرة الضرورية ليقدمه أصحابه زعيما ومرشدا لهم ٠ أضف الى ذلك أننا لا نملك أي دليل على أن جابر بن زيد كان ذا علاقة مباشرة مع عبد الله ابن وهب الراسبي أو أنه اشترك في معركة النهروان التي قتل فيها الراسبي٠ ولا تشير المصادر الى أي نشاط لجابر بن زيد في تلك المرحلة من عمر الحركـة الخارجية ٠ ومن المحتمل أن يكون اتصال جابر بن زيد بالخوارج قد بدأ بعد النهروان وبعد لجوء مرداس بن أدية التميمي وأصحابه للبصرة في أواخر العقد الرابع من القرن الاول الهجري ٠ ويستنتج من المعلومات الواردة في المصادر

---

٢٥) ابن سعد ، ج٧،ص١٢١ ، ابو نعيم ، ج٣،ص٨٨ ٠

٢٦) ابو نعيم ، ج ٣،ص٨٦،ذهبي ، **تذكرة الحفاظ** ، ج١،ص ٦٢ ، الحارثي **العقود الفضية** ، ص٩٧ ،

٢٧) شماخي ، سير ، ص ٧٠

٢٨) الباروني ، ص ٢٨ ، محمد علي دبوز ، ج٢،ص٣٩٢ ٠

الاباضية المتوافرة أن جابر بن زيد قد انضم الى القعدة ابان ولاية عبيد الله ابن زياد للعراق (٥٦/٥٧هـ - ٦٤ هـ) وكان جابر يصلي الجمعـــــة في المسجد الجامع في البصرة خلف ابن زياد ، ربما امعانا منه في الحفاظ على سريةمعتقده وابعادا للتهمة عنه · وعندما كان أصحابه من القعدة يعاتبونه على ذلك كان يجيبهم بقوله : « انها صلاة جامعة وسنة متبعة » (٢٩) · وتشير المصادر الاباضية الى أن جابر بن زيد كان يتردد على مكة ويلتقي فيها بعبد الله بن عباس ليأخذ عنه العلم والحديث · وكان يصحبه صديق له حميم يدعى أبــو فقاس الأسود بن قيس وكان يرى رأي الاباضية · ويبدو أن الرجلين كانا يرتحلان سنويا الى مكة ، ربما في موسم الحج ، وكانا يلتقيان بابن عباس · وفي احدى السنين قدم جابر منفردا الى مكة فلقي ابن عباس الذي استغرب غياب أبي فقاس ، صاحب جابر ، وسأل جابرا عنه فأخبره بأنه في سجن ابن زياد ·فقال ابن عباس : وانه لمتهم ؟ قال جابر : نعم · فأضاف ابن عباس اللهم بلى ! » وخاطب جابرا وقال : أو ما أنت متهم ؟ قال جابر : اللهــــم بلى ! » (٣٠)

وفي رواية أخرى يقول أبو سفيان محبوببن الرحيل،المؤرخ والامام الاباضي المعروف ، أن شيخا من الاباضية يدعى أبو سفيان قنبر قد اخذه عبيد الله بن زياد وجلده ليدل على أحد من المسلمين (الاباضية) فلم يفعل ، قال جابر بن زيد : وكنت قريبا منه ، وما كنت انتظر الا أن يقول هذا هو فعصمهالله»·(٣١)

بالاضافة الى ما سبق فان الروايات الاباضية تشير الى علاقات متينـــة وودية بين جابر بن زيد وأبي بلال مرداس بن أدية التميمي ، شيخ القعدة في البصرة بعد معركة النهروان · وكان الرجلان يخرجان الى مكة سويا ويلتقيان بابن عباس وعائشة أم المؤمنين · ويذكر أبو سفيان محبوب بن الرحيل ، أن جابر بن زيد وأبا بلال مرداس دخلا مرة على عائشة رضي الله عنهـــا فعاتباها على ما كان منها يوم الجمل · قال : فاستغفرت الله تعالى وتابت مما كانت قد دخلت فيه » (٣٢) · ومهما كانت صحة هذه الرواية فانها ، بدون شك ، تدل بوضوح على أن العلاقة بين جابر ومرداس بن أدية كانت وثيقة · ويبدو أن العلاقات بين الرجلين كانت تزداد وتتوثق بسرعة · وأخذ مرداس يدرك مدى علم جابر وذكائه فكان يتردد عليه آناء الليل وأطراف النهـــار ليغرف من معرفتــه الواسعة وعلمه الغزيــر · وذكر مؤلــف كتاب بيان الشرع عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي أنه قال : « لقد كان أبو بـــلال رحمه الله يبكي في جوف الليل حتى ما يطيق أن يقوم · ولقد كان من تشوقه

٢٩) الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ٩٧ ·

٣٠) شماخي ، **سير** ، ص ٩٦ (عن أبي سفيان محبوب بن الرحيل)

٣١) المصدر نفسه ، ص ٩٣ ·

٣٢) الدرجيني ، ورقة ٨٨ ·

الى اخوانه أنه يخرج من عند ابي الشعثاء جابر بن زيد بعد العتمة ، ثم يأتيه قبل الصبح فيصلي معه فيقول له جابر : يا أخي اشققت على نفسك . فيقول: والله ولقد طال ما هبت نفسي بلقاك شوقا اليك حتى أتيتك » (٣٣) .

مما مر يتبين لنا أن جابر بن زيد كان قد انضم الى حركة الخوارج القعدة منذ أيام عبيد الله بن زياد ولكن الباحث لا يستطيع أن يقرر سنة بعينها لتاريخ ذلك الانضمام . ويبدو من الروايات أن نجم جابر أخذ يتألق في سماء تلك الحركة قبل عام ٦١ هـ وهو العام الذي قتل فيه أبو بلال مرداس بن أدية التميمي ، حتى أن بعض الروايات تجزم على أن أبا بلال لم يقم بعمله الا بعد مشورة من جابر بن زيد وقبول منه . (٣٤) واذا صحت هذه الروايات فان القعدة قد اتفقوا على أن يتولى جابر بن زيد أمرهم وتنظيم دعوتهم منذ المراحل الأولى لتطور الدعوة في البصرة ايمانا منهم بذكائه واعتمادا منهم على اطلاعه الواسع وتحصيله العميق في العلوم الدينية وخاصة ما يتعلق بالتفسير وعلم الحديث . ولعل ذلك كان السبب في اعتراف أبي بلال له بالزعامة قبل وفاته حتى انه لم يصدر في عمله الا بأمر جابر ومشورته .

وعلى الرغم من تبوء جابر بن زيد لزعامة القعدة منذ ذلك الوقت المبكر فانه لم يشترك في الاحداث السياسية التي جرت في تلك الفترة من التاريخ الاسلامي . ولم يبد لعامة سكان البصرة أن جابرا كان اماما وزعيما للقعدة أو حتى أنه كان على علاقة معهم . وذلك لانه اخفى معتقده وساعده أصحابه على ذلك ، لأنهم كانوا يحبون ستره من الحرب والهلاك حتى لا تموت دعوتهم في مهدها . (٣٥) وبناء على ذلك فقد كان القعدة ثم الاباضية يقدمون أحد أعلامهم لينطق باسمهم ويناظر أعداءهم . وكان يختار عادة من ذوي العلم والمنطق والحجة وممن لهم عصبية حتى لا يبطش به الولاة . وكان ابن اباض أحد هؤلاء المقدمين ولذلك ظن معاصروه أنه زعيم الاباضية وامامها .

وعلى أية حال فان ابن اباض يعد آخر الاشخاص الذين قدمهم الاباضية ليناظر باسمهم ، وبعد اختفائه من البصرة آثر الاباضية الخلود الى الهدوء كليا وانصرفوا الى التنظيم السري الدقيق بزعامة جابر بن زيد واقلعوا عن المناظرات العلنية مع مخالفيهم ، حتى لا ينكشف أمرهم وتتم تصفيتهم قبل بلوغ أهدافهم التي ترمي الى تأسيس امامة الظهور وتعيين خليفة المسلمين

---

٣٣) الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٠٧ ، (عن كتاب **بيان الشرع** عن ابي عبيده المتوفي في القرن الثاني الهجري) .

٣٤) الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، **ورقة ١٩** ، محمد بن يوسف اطفيش ، **رسالة شافية** ، ص ٣٤ .

٣٥) الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٢٠ .

من بين أتباعهم · وسنفصل الحديث عن نشاط الاباضية في المرحلة السرية في الصفحات القادمة · ولكن قبل الكلام عن هذا الموضوع لا بد من مناقشة الروايات التي توردها المصادر السنية والتي تنفي علاقة جابر بن زيد بأهل الدعوة (الاباضية) ، معتمدة على اقوال منسوبة اليه والى بعض أصحابه ·

ان الروايات التي وصلتنا في المصادر السنية التي تنكر علاقة جابر بن زيد بالاباضية تعود في اسنادها الى راويتين هما عزرة وثابت البناني (٣٦)· وكانا معاصرين لجابر بن زيد وعاشا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري · وتتلخص رواية عزرة في أن الاخير قد زار جابر بن زيد وقال : « : ·· ان الاباضية يزعمون أنك منهم · قال أبرأ الى الله منهم » (٣٧) · أما رواية ثابت البناني فتتكلم عن نقاش دار بين جابر ، وهو على فراش الموت ، وبين الحسن البصري · يقول ثابت : «دخلت على جابر بن زيد ، وقد ثقل · قال : فقلت له · ما تشتهي ؟ قال : نظرة من الحسن · قال : فأتيت الحسن وهو في منزل أبي خليفة · فذكرت ذلك له · فقال: اخرج بنا اليه · قال : قلت اني أخاف عليك · قال : ان الله سيصرف عني أبصارهم · قال فانطلقنا حتى دخلنا عليه قال : فقال له الحسن : يا أبا الشعثاء ! قل لا اله الا الله · قال : فقال يوم يأتي بعض آيات ربك · قال فتلا هذه الآية (٣٨) · قال : فقال له الحسن : ان الاباضية تتولاك · قال فقال : أبرأ الى الله منهم · قال : ثم خرجنا من عنده · » (٣٩) · بالاضافة الى ذلك فان أبا نعيم يورد رواية لهند بنت المهلب تنكر فيها أن جابرا قد دعاها الى الاباضية وتقول : « كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعا الي والى أمي ، فما أعلم شيئا كان يقربني الى الله الا أمرني به ، ولا شيئا يباعدني عن الله عز وجل الا نهاني عنه ، وما دعاني الى الاباضية قط ، ولا أمرني بها ، وان كان ليأمرني أن أضع الخمار ، ووضعت يدها على الجبهة » · (٤٠) ويمكن عدم الاطمئنان الى هذه المعلومات للاسباب التالية :

١ ـ ان الحسن البصري الذي كان صديقا لجابر بن زيد لا بد وأنه كان يعرف آراء جابر ومعتقده قبل زيارته له وهو على فراش الموت · وليس ذلك الوقت المناسب لأن يطرح البصري على جابر مثل هذه التساؤلات ·

---

٣٦) ابن سعد ، ج٧،ق١،ص١٣١ــ١٣٢ ، ابو نعيم ، ج ٣ ،ص٨٩ ، ابن حجر ، **تهذيب** ، ج٢،ص٣٨ ·

٣٧) ابن سعد ، ج٧،ق١،ص١٣٢ ، انظر أيضا ابن حجر ، **تهذيب** ، ج٢،ص٣٨ ·

٣٨) نص الاية : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا » · سورة ٦ آية ١٥٨ ·

٣٩) ابن سعد ، ج٧،ق١،ص١٣٢ ·

٤٠) ابو نعيم ، ج٣،ص٨٩ ·

٢ ـ أن ثابت البناني ، صاحب الرواية ، يورد أيضا روايتين اضافيتين عن قصة زيارة الحسن البصري لجابر وهو مريض ولا يذكر في تلك الروايتين أي شيء عن الاباضية ولم يشر اطلاقا الى أن الحسن البصري قد سأل جابرا عن علاقته بالاباضية وأهل النهروان ٠ (٤١)

٣ ـ أن المصادر الاباضية تورد أيضا رواية ثابت البناني والتي تشبه في محتواها ما ورد في المصادر السنية مع اختلاف طفيف ٠ ولكنها لا تشير الى سؤال الحسن البصري لجابر ٠ ومن المفيد أن نورد الرواية كما وصلتنا في المصادر الاباضية حتى تتضح الصورة للقاريء ٠ قال ابو سفيان : « لما حضرت جابر بن زيد وفاته ، أتاه ثابت البناني فقال : يا أبا الشعثاء هل تشتهي شيئا ؟ قال : اني لأشتهي أن ألقى الحسن (البصري) قبل أن أموت ! قال : فخرج ثابت البناني ، فدخل على الحسن فأعلمه بقول جابر بن زيد ٠ قال : وكان الحسن اذ ذاك مستخفيا (من الحجاج) قال : فقال كيف لي بذلك ؟ قال: أركب بغلي على السرج وأنا أرتدف خلفك وأعطيك طيلساني ٠ وأرجو ألا يعرض لنا ٠ قال : ففعل ودخل على أبي الشعثاء وهو مضطجع ، فانكب عليه الحسن وهو يقول : يا أبا الشعثاء قل لا اله الا الله ٠ فيرفع جابر عينيهفيقول : أعوذ بالله من غدو أو رواح الى النار ٠ قال فيقول له الحسن : يا أبا الشعثاء قل لا اله الا الله قال فيقول أعوذ بالله من غدو أو رواح الى النار ٠ ثم قال له : يا أبا سعيد (يعني الحسن) يوم يأتي بعض آيات ربك ٠٠ الآية ٠ قال فقال له الحسن : هذا والله الفقيه العالم ٠ (٤٢)

٤ ـ بالاضافة الى ذلك فان المصادر الاباضية تجمع على أن جابر بن زيد هو مؤسس المذهب الاباضي وأمام الاباضية بدون منازع ٠ (٤٣) وقد سجنه الحجاج بن يوسف الثقفي ثم نفاه الى عمان لعلاقته بالاباضية (٤٤) ٠

٥ ـ يذكر كل من الاشعري وابن أبي الحديد أن الاباضية يعتبرون جابر بن زيد أحد أسلافهم ولم يحاول أي منهما دحض هذا القول ٠ (٤٥) وهذا دليل من

---

٤١) ابن سعد ، ج٧،ق١،ص ١٢٢ــ١٢٣ ٠

٤٢) درجيني ، ورقة ٨٨ــ٨٩ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٢ــ٧٣ ، الحارثي **العقود الفضية** ص ٩٩ــ١٠٠ ٠

٤٣) ان المعلومات حول هذا الموضوع متوافرة في جميع المصادر والمراجع الاباضية سواء كانت كتب تاريخ وسير وطبقات أو كتب فقه وعقائد ولا مجال لحصرها هنا ويمكن للقارىء على سبيل المثال أن ينظر الدرجيني ، ورقة ٨٨ ، شماخي **سير** ، ص ٧٠ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ٩٤ ، علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، الحلقة الاولى ، ص ١٤٢ ، محمد علي دبوز ، **تاريخ المغرب الكبير** ج ٢ ، ص١٣٨ ، وما بعدها ٠

٤٤) الدرجيني ، ورقة ٨٩ ، شماخي ، سير ، ص ٧٧ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ص ، ٩٩ ٠

٤٥) الاشعري ، ص ١٥١ ، ابن أبي الحديد ، **شرح نهج البلاغة** ، ج٥،ص٧٦ ٠

هذين المؤلفين ، غير الاباضيين ، على أن جابرا كان ذا علاقة بالاباضيـــة ولو ملكا الدليل والبرهان على خطل هذا الرأي لقاما بتفنيده ٠

٦ ـ حتى لو صحت الرواية الواردة في بعض المصادر السنية وأن جابرا أنكر علاقته بالدعوة الاباضية ، فيجب أن لا يؤخذ ذلك على علاته ٠ فربما فعل جابر ذلك على سبيل التقية الدينية التي استعملها جابر في مناسبات عديدة كما استعملها غيره من أئمة الاباضية ٠ وتعتبر مشروعة في المذهب الاباضي في طور الكتمان ٠

٧ ـ أما الرواية التي تذكر بأن هند بنت المهلب ، المعروفة بولائها للمذهب الاباضي ، قد اكدت بأن جابرا لم يدعها لاعتناق المذهب الاباضي فلا تعتبر دليلا على عدم وجود علاقة بين جابر والاباضية ٠ لان اتباع الفرقة آنذاك لا يسمون أنفسهم بهذا الاسم ، كما وضحنا ذلك في صفحات سابقة ، بل يسمون أنفسهم جماعة المسلمين أو أهل الدعوة ٠ ولهذا فان هند بنت المهلب كانت صادقة في قولها بأن جابرا كان يعلمها مباديء الاسلام وشرائعه ، اي اعتقادات المسلمين ، ولم يدعها للاباضية ٠ أضف الى ذلك فان هند بنت المهلب كانت معاصرة لجابر بن زيد ولخلفه أبي عبيدة أي أنها كانت تعيش والحركـــة الاباضية لا تزال في طور السرية والكتمان ٠ ومن غير المعقول أن تقوم بفضح أسرار الدعوة وكشف اسماء أصحابها عندما تسأل عن ذلك ٠ ومن الطبيعي أن تنكر علاقتها وعلاقة أستاذها جابر مع الاباضية اذا استجوبت من قبل مخالفيها حول هذا الموضوع ٠ وجدير بالذكر أن أهل الدعوة كانوا قد اوجبوا اغتيال كل من يقوم بكشف أسرار دعوتهم أو الاساءة اليهم ٠ فهل يمكن اذن لامرأة مخلصة ومتفانية في سبيل الدعوة أن تقوم بمهمة الاساءة لأصحابها ؟ وهل يعتبر بالتالي ، انكارها لعدم دعوة جابر اليها للانضمام للحركة أساسا يمكن الاعتماد عليه للتدليل على براءة جابر من الاباضية ومن أهل النهروان كما ورد في رواية البناني السالفة الذكر ؟ ٠

٨ ـ بعد هذا العرض والتحليل يبدو أن قضية انكار جابر لعلاقته بالاباضية كما توردها بعض الروايات في المصادر السنية انما اخترعت من قبل بعض رواة السنة الذين كانوا يرون في جابر شيخا جليلا ومحدثا ثقة ، وبالتالي فيجب عدم الصاق « تهمة » الاباضية به حتى لا يعتبر مجروحا ، وخاصة أن نقدة الحديث قد رفضوا روايات « أصحاب البدع » واعتبروا أتباع الخوارج والشيعة من هؤلاء ٠ ومن المحتمل أيضا أن نقدة الحديث من السنة لم يعرفوا معتقـد جابر الحقيقي لاستعماله التقية الدينية ولذلك شكوا في نسبته الى الاباضية٠

يتضح مما سبق أن جابرا كان وثيق الصلة بالحركة منذ وقت مبكر وأصبح زعيمها وامامها ٠ وكان له دور كبير في تنظيم الحركة وتطورها وقد ارتكزت

سياسته ابان زعامته للفرقة الاباضية على قواعد اساسية يمكن اجمالها ـ بعد تحليل الروايات ـ بما يلي :

١ ـ أن جابرا لم يشأ الانسحاب من المجتمع الاسلامي الذي يعيش فيه مع بقية أتباع حركته ٠ ولذا فانهم لم يعزلوا أنفسهم عن الناس ولم يدعوا للخروج والهجرة كما فعل الأزارقة وغيرهم من متطرفي الخوارج ٠ وكان جابر ينشر آراءه ويبث أفكاره بين الناس من خلال أحاديثه الدينيةوفتاويهوأجوبته على المستفسرين عن بعض الأمور الدينية من داخل البصرة وخارجها ٠وكان يتفحص تلاميذه فمن وجد فيه استعدادا قويا لآرائه وحماسا لمبادئه دعاه الى مذهبه ٠ ولكن ذلك كان يحدث بسرية تامة مستعملا في سبيل الوصول الى هدفه التقية الدينية ٠ وامعانا في كتمان أمر دعوته فقد كان يأمر أتباعه بقتل كل من يكشف أسرار الجماعة أو يبوح باسمائهم ٠ فان حدث أن تركاحد اتباع الفرقة مذهبه وتخلى عن مبادئه دون أن يطعن في أصحابه القدامى او يفشي أسرارهم فكان الاباضية يتبرأون منه ولكن دونأنيتعرضوا له بأذىمعتبرينه واحدا من المخالفين الموحدين الذين لا تحل دماؤهم الا اذا بدأوهم بالعدوان ٠ ولكن اذا خرج من مذهب المسلمين (الاباضية) أحد وعاب عليهم وطعن في معتقدهم وأفشى أسرارهم فقد وجب قتله وأحل دمه ٠ وقصة خردلة التي ترويها المصادر الاباضية من أوضح الامثلة على ذلك ٠ فقد جاء شاب أباضي الى جابر بن زيد وسأله عن أفضل الجهاد فقال : قتل خردلة ٠ وكان الشاب لا يعرفه فأراه اياه رجل من المسلمين (الاباضية) في المسجد ووضع يدهعليهحتى لا يخطئه فضربه بين كتفيه بخنجر مسموم فمات ٠ وقبض على الشاب الاباضي وأتي به الى الوالي فقال له : « قد علمت أنك لم تفعل هذا مننفسك! وانما أمرت ، فدلني على من أمرك ومناه ، فقال : دع عنك هذا ، فقتله » (٤٦) وكان خردلة هذا من جماعة المسلمين (الاباضية) ثم خرج عليهم وجعل يطعن فيهم ويدل على عوراتهم ويفضح أسرارهم فاستحل جابر دمهوأمربقتله٠(٤٧) وقد اعتبرت سياسة جابر في هذا الشأن قدوة لمن جاء بعده من الائمة ، واعتبروا الاغتيال لمن يسيء اليهم أحد دعامات نشاطهم « وأحلوا الدماء بالظلم والابتداء به » (٤٨) ٠

٢ ـ تجنب جابر أي احتكاك معاد مع السلطة ٠ ولم يؤثر عنه أنه تعرض لأذى قبل تولي الحجاج للسلطة في العراق على الرغم من أن بعض أصحابه قد

---

٤٦) شماخي ، **سير** ، ص ٧٥ ـ ٧٦ ، جيطالي ، **شرح قواعد الاسلام** ، ورقة ٢٦ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ٠

٤٧) جيطالي ، **شرح قواعد الاسلام** ، ورقة ٢٦ ، أنظر أيضا الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٠٢

٤٨) جيطالي ، **شرح قواعد الاسلام** ، ورقة ٢٦ ٠

لقي عنتا كبيرا على أيدي الولاة منذ أيام ابن زياد (٤٩)٠ وتشير المصادر الاباضية الى أن العلاقة بين جابر بن زيد والحجاج كانت في البداية ودية ٠ وكان جابر يزور الحجاج ويتردد عليه حتى بعد أن نقل الحجاج مقره الى مدينة واسط ٠ وكان ليزيد بن أبي مسلم ، كاتب الحجاج ، دور ملموس في هذه العلاقة لأنه كان صديقا حميما لجابر (٥٠) ٠ وليس لدينا ما يفسر مثل هذه العلاقة بين الرجلين (جابر ويزيد) ٠ ومن المحتمل أن يزيد بن أبي مسلم كان واسع الافق يحب العلماء ويعطف عليهم حتى وان اختلف معهم في الرأي ٠ وكان في علاقته مع جابر مدفوعا بهذه النظرة تجاه العلماء ٠ وشفاعته للشعبي دليل اخر على تقديره للعلماء وحرصه على عدم تعرضهم للاذى والاضطهاد ٠ أما ما يذكره المستشرق ليفتسكي من أن يزيد بن أبي مسلم كان خارجيا فليس لدينا دليل يبرره ٠ ومن غير المحتمل أن يكون يزيد كذلك وهو من أخلص أعوان الحجاج ٠ أضف الى ذلك أن يزيد بن أبي مسلم نفسه قد قتل على أيدي الخوارج بينما كان واليا على شمال افريقية في عهد يزيد بن عبد الملك ٠ (٥١) وعلى أية حال فان علاقة جابر بالحجاج بقيت لفترة من الوقت جيدة ٠ وفرض الحجاج له عطاء مقداره ٦٠٠ أو ٧٠٠ درهم (٥٢) ٠

وقد أراد الحجاج أن يوليه القضاء فرفض متذرعا بعدم مقدرته على حمل أعباء هذا المنصب وقال: «اني أضعف من ذلك ، قال (الحجاج) وما بلغ ضعفك ؟ قال : يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما ٠ قال ان هذا لهو الضعف » (٥٣) ٠ وفي هذه الرواية دلالة على أن جابرا كان يريد اخفاء مقدرته وابداء ضعفه للوالي حتى يبعد الشبهات عنه ، وحتى لا يخطر ببال الوالي أن رجلا بلغ هذه الدرجة من الضعف يمكنه أن يقوم بتأسيس حركة سرية مناوئة للحكم ٠

٣ ـ لما كان جابر بن زيد ينتمي الى قبيلة الأزد ، فقد وجه قسما كبيرا من جهوده نحو اقناع بعض أفراد هذه القبيلة للانضمام الى حركته ٠ وقد نجح الى حد بعيد في هذا الشأن وتبعه عدد كبير من الأزد وعلى رأسهم بعض أفراد الاسرة المهلبية ـ زعيمة أزد العراق ـ وأصبح بعضهم من دعاة الفرقة وحماتها البارزين ٠ ولم يقتصر ذلك على الرجال بل تعداه أيضا الى النساء ٠ وتورد المصادر الاباضية عددا من النساء المهلبيات اللاتي انضممن الى جماعة

---

٤٩) شماخي ، سير ، ص ٩٣،٩٦ ٠

٥٠) الدرجيني ، ورقة ٩١ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٤ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ص ١٠٠ـ١٠١ ٠

٥١) ابن خلدون ، ج٤،ص٤٠٢،ج٦، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ٠

٥٢) الدرجيني ، ورقة ٩٠ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٠

٥٣) الدرجيني ، ورقة ٩١ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٤ ٠

المسلمين (الاباضية) وبذلن جهودا في سبيل نصرتها ، واعطين بسخاء من أموالهن لبيت مال الدعوة ولمساعدة المحتاجين من أتباعها (٥٤) · ليس هذا فحسب بل ان المصادر تشير الى اعداد كبيرة من عمان ، موطن الأزد الاصلي، وحضرموت واليمن انضمت الى الاباضية · ولم تعد الحركة مقصورة في معظم أفرادها على العنصر القبلي التميمي كما حدث بعد معركة النهروان · ولا عجب أن نجد أول امامة اسسها الاباضية كانت في حضرموت واليمن وعمان · ونتيجة للجهود التي بذلها جابر بين أقاربه من الازد بوجه خاص وعرب الجنوب عامة فقد أصبحت الحركة تضم عناصر من قبائل عربية مختلفة كما انضم اليها كثير من الموالي · ولم يمت جابر بن زيد الا وقد غدت الدعوة الاباضية عبارة عن حركة اسلامية شاملة اجتذبت عناصر مختلفة من قبائل وأجناس مختلفة · وأخذت القناعات المذهبية لدى كثير من أتباع الدعوة تحل محل الولاءات القبلية والعرقية · ومن هنا فان خليفة جابر في زعامةالحركة كان من الموالي وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم · ولكنه سكن بعد انضمامه للدعوة وبعد انتصار الأزد لها في حي الازد في البصرة (٥٥) ·

ولم تقتصر دعوة جابر على من كان موجودا في البصرة بل تعدتها الى الامصار الاسلامية الأخرى حيث كان يبعث بالدعاة لمختلف المناطق ، وكان عمله هذا ارهاصا لما تم في عهد خلفه أبي عبيدة من تدريبللدعاة الذين عرفوا باسم **حملة العلم الى الامصار** · وكان جابر على صلة وثيقة مع أتباع دعوته في الولايات المختلفة ومن بينهم أناس من الأزد والمهالبة · وتشير المصادر الى مراسلات متبادلة بينه وبين عبد الملك بن المهلب في خراسان · وكان جابر يطلب منه أن يكتب له في أمر الدعوة ، ويسأله أن يرسل خطاباتهفيسرية تامة مع أشخاص موثوقين · والواقع أن جابرا كان يكرر الطلب في وجوب السرية في جميع مراسلاته مع اعوانه واتباعه ، ويطلب أحيانا تمزيق رسائله اليهم وحرقها حتى لا تصل الى أيدي أعدائهم فتؤدي بالتالي الى كشف تنظيمهم واجهاض حركتهم (٥٦) · وقد استطاع جابر بهذه السياسة أن يتجنب تنكيل الولاة به وبأصحابه لفترة طويلة واستطاع أيضا أن يكسب عددا من الأتباع ممن تولوا فيما بعد مركز المسؤولية (بالطبع دون علم السلطات بمعتقدهم) وكانوا يستعينون بآراء امامهم جابر في تسيير الادارة والأعمال في المناطق الخاضعة لنفوذهم · ومن بين هؤلاء الاشخاص :النعمانبنمسلمة الذي أرسل الى جابر يسأل عن كيفية جمع الجزية في منطقته · ولا تذكر المصادر المتوافرة

---

٥٤)) الدرجيني ، ورقة ٨٨ — ٩١ ، ١٠٠ — ١٠٤ ، ١٠٥ وما بعدها ·

٥٥) حول هذه المعلومات انظر : الدرجيني ، ورقة ١٠٠ وما بعدها ، ١٠٥ وما بعدها ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٧ ، ٨٣ ، الحارثي ، ص ١٣٩ — ١٤٨ ·

٥٦) جابر بن زيد ، **جوابات** ، ص١٥،٢١،٣٧،٤٠ ·

أين كان النعمان واليا (أو عاملا) ولكن ورودكلمةدهقانفيالرسائلالمتبادلةبينه وبين الامام جابر تدل على أنه كان واليا في المناطق الشرقية وربما في بعض كور خرسان(٥٧)٠ ومنالشخصيات الاخرى التي كانت على صلة وثيقة بجابر ابن زيد ، يزيد بن يسار الذي كان يقطن عمان ويدين بالمذهب الاباضي ، وقد عين عاملا في احدى مناطق عمان فأرسل الى جابر يستشيره في ذلكويطلب نصائحه وارشاداته (٥٨) ٠ وهناك أشخاص اخرون خارج البصرة كانوا على علاقات حميمة مع جابر يدينون بمذهبه ويصدرون عن أمره ، وكانوا عيونا له وممثلين في المناطق التي يسكنونها (٥٩)٠ ونظرا للدقة في التنظيم والحذر الشديد فلم يستطع الولاة القبض على هؤلاء الدعاة والأشخاص ٠ وكان وجود بعضهم في مركز المسؤولية دليلا واضحا على عدم معرفة الولاة بمعتقداتهم ، وكان أيضا دليلا على أن جابرا لم يمانع في أن يستلم بعض أتباعه عددا من المراكز والمهام الرسمية في جهاز الدولة ـ التي يعمل ضدها في النهاية ـ حيث كان يرى أن هؤلاء يسهمون في توفير مناخ مناسب لنشر دعوته في تلكالامصار والولايات ويشكلون دعامة لها ٠ ويبدو أن هذه العلاقات الواسعة والاتصالات الدائمة مع أتباع الحركة في البصرة وخارجها قد وصلت الى اسماع الحجاج ، فأخذ يرتاب من جابر بن زيد وجعله تحت مراقبة دائمة ، ولكن علاقات جابر مع كاتب الحجاج ، وعدم وجود قناعة واضحة لدى الحجاج بنشاط جابر أدى الى عدم اتخاذ اجراءات شديدة ضد الامام جابر في البداية ٠ ولكن التطورات السياسية التي حدثت في بلاد المشرق في العقد الثامن من القرن الاول الهجري قد أدت الى تغيير جذري في موقف الحجاج من جابر بن يزيد وأتباعه ٠ فقد ثار أزد عمان بزعامة سعيد وسليمان ، أولاد عبادبن الجلندى ، وأرسلالحجاج حملات عدة لقمع الثورة وباءت جميعها بالفشل ٠ وفي تلك الاثناء قامت ثورة ابن الاشعث عام (٨١ هـ / ٧٠٠ م فأجل الحجاج معالجة الموقف في عمان ليتفرغ لقتال ابن الاشعث (٦٠) ٠ وبعد القضاء على ثورة ابن الاشعث وجه الحجاج جيشا كبيرا الى عمان بقيادة القاسم المزني ولكن الأزد بقيادة الأخوين ،سعيد وسليمان ، تمكنوا من دحر هذه الحملة وقتل قائدها (٦١) وعندما وصلتأنباء فشل الحملة الى الحجاج غضب كثيرا ، وقرر الانتقام من الأزد ليس في عمان فحسب بل في العراق أيضا ٠ فوضع زعماءالازد فيالعراق ، ومن بينهم جابر بن زيد تحت مراقبة شديدة ٠ وحذرهم من آي اتصال مع اخوانهم في عمان

---

٥٧) المصدر نفسه ص ٣١ ٠

٥٨) المصدر نفسه ص ٢١ ٠ See also, Ennami,art. Cit. p 67

٥٩) جابر بن زيد ، جوابات ، ص ٢٢،٢٣ ٠

٦٠) عن ثورة ابن الاشعث انظر : A.A. Dixon, The Umayyad Caliphate, pp. 151ff.

٦١) الازكوي ، ورقة ٢٢٧ .

وكتب الى عبد الملك بن مروان في الشام يخبره بتضييقه على أزد العراق وأنه أقعد وجوه الأزد الذين كانوا في البصرة عن النصرة لسليمان بن عباد (٦٢) ٠ثم بعث جيشا بقيادة مجاعة المزني ، أخي القاسم ، على رأس أربعين ألفا من النزاريين لاخماد ثورة الأزد ٠ وقد سلك نصف هذا الجيش طريق البحر بينما سلك النصف الاخر طريق البر ٠ وقد تمكن سليمان بن الجلندى من هزيمة الجيش البري الذي يبدو أنه وصل مبكرا ولم ينتظر وصول القوة البحرية لتشترك الفرقتان في مهاجمة الثوار في آن واحد وطبقا لخطة عسكرية واحدة ٠ وأثناء ذلك وصل الجيش البحري وعلى رأسه مجاعة نفسه ، وتمكن من هزيمة سعيد بن الجلندى الذي بقي في جزء صغير من الأزد يراقب السواحل بينما كان معظم الجيش العماني الازدي يرافق أخاه سليمان الذي هزم الجيش البري الذي أرسله الحجاج ٠ اضطر سعيد بن الجلندى للانسحاب الى الداخل والالتجاء الى الجبال ، ولما علم أخوه سليمان سار اليه محاولا فك الحصار عنه ومحاربة مجاعة ومن معه من الجند ٠ وقبل أن يشتبك مع مجاعة أحرق السفن التي جاءت بهم من العراق ٠ ثم سار الى مجاعة وتمكن من هزيمته وارتد مجاعة هاربا والتجأ الى جلفار ، وكتب الى الحجاج يستمده فأرسل له خمسة آلاف جندي من أهل الشام بقيادة عبد الرحمن بن سليمان ٠ وتمكن مجاعة بمساعدة القوة الشامية من هزيمة الاخوين سعيد وسليمان ومن معهما من الأزد ٠ونكل بالأزد وأوقع فيهم الذل والهوان ، مما كان له ابعد الاثر في موقف أزد العراق ، حلفاء الاباضية الذين يتزعمهم جابر الازدي ، تجاه الحجاج والسلطة الاموية٠ فغضبوا لما حل بأبناء قبيلتهم في عمان واعتبروا الحجاج مسؤولا عما حدث فسخطوا عليه وتمنوا زوال حكمه (٦٣) ٠ وفي نفس الوقت الذي كانت تجري فيه هذه الحوادث التي أدت الى توتر العلاقات بين الازد والحجاج قام الاخير باشعال النار في الهشيم فتنكر لآل المهلب ، زعماء أزد العراق وخراسان،وطلق الحجاج زوجته التي كانت أختا ليزيد بن المهلب والي خراسان آنذاك (٦٤) ٠ وأخذ يكيد له ويحرض عبد الملك بن مروان ضده ونجح في اقناعه بعزل يزيد من ولاية خراسان وبالسماح له في معاقبته وتعذيبه ٠ فزج الحجاج بيزيد وبعض أفراد أسرته في السجن وأساء اليهم مما زاد في اغضاب أزد العراق والبصرة ٠ وكان لموقف الحجاج هذا أثره على الدعوة الاباضية التي يتزعمها الامام جابر بن زيد الأزدي البصري ٠ فقد استغل جابر فرصة الكراهية بين الأزد والحجاج لاقناع كثير من الازدبالانضمام الىجماعة المسلمين (الاباضية)، وتبعه قسم كبير منهم وعلى رأسهم أفراد من آل المهلب ، رجالا

---

٦٢) الازكوى ، ورقة ٣٧ ٠

٦٣) بلاذري ، **انساب** ، ج٣، ص ٣١٨ — ٣٢٠ ، طبرى ، س ، ١٠٣٦ — ١٠٣٨ ٠ المسعودي ، **تنبيه** ، ص ٣١٤ ، سليل بن رازق ، ٤—٥ ٠ **الازكوى** ، ورقة ٣٢٧—٣٢٨ ٠

٦٤) الدرجيني ، ورقة ٩١ ٠

ونساء ، منهم عاتكة بنت المهلب ، أخت يزيد ، التي كانت من أشد الناس حماسا للمذهب ولم تبخل بمالها لمساعدة المحتاجين من اهل دعوتها (٦٥)٠ وكان لهذه التطورات أثرها الكبير في موقف الحجاج من جابر وأتباعه ٠ وقد حبس جابرا مع بعض أصحابه البارزين مثل ضمام بن السائب وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وصحار العبدي وغيرهم (٦٦) ٠ ولم يلبث الحجاج أن أطلق سراح جابر ونفاه مع رجل من مشايخ الدعوة يدعى هبيرة وهو جدأبي سفيان محبوب بن الرحيل المؤرخ الاباضي واخر الائمة الاباضيين في البصرة (٦٧) ٠ ومن المحتمل أن الافراج عن جابر كان بشفاعة من صديقه الحميم ، يزيد بن أبي مسلم ، كاتب الحجاج ٠ ولا شك أن نفي جابرالى عمان كان ذا نتيجتين : الأولى أنه حرم أتباع الحركة في البصرة من امامهموزعيمهم فخلدوا الى الدعة والهدوء ٠ بينما بقي زعماؤهم ومشايخهم في سجن الحجاج حتى مات الاخير عام ٩٥ هـ (٦٨) ٠والثانية أن الفرصة كانت مواتية لان يقوم جابر بالدعوة الى مذهبه في موطنه الاصلي ، عمان ، أي بين أهله وعشيرته الأقربين الذين يعرف عاداتهم وتقاليدهم وكيفية التعامل معهم ، مستغلا في ذلك كرههم للحجاج وحقدهم عليه لما حل بهم خلال ثورة أولاد الجلندى التي أخمدها الحجاج ٠ ولا يراودنا شك في أن وجود جابر مع بعض رفاقه في عمان قد أفاد الدعوة الاباضية وساعد على سرعة انتشارها في ذلك القطر ٠ وكانت جهوده مقدمة لنشاط حملة العلم الذين بعث بهم ، فيما بعد ، خليفته أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (٦٩) ٠ ولا تشير الروايات الى تاريخمحدد لنفي جابر الى عمان كما أنها لا تذكر المدة التي قضاها في منفاه ، ولكنها تجمع على أنه عاد الى البصرة ومات فيها ٠ وتختلف المصادر حول تاريخ وفاته ، اذ يذكر بعض الرواة أنه توفي في نفس الاسبوع الذي توفي فيه أنس ابن مالك ٠ وقد توفي الاخير في عام ٩٣ هـ / ٧١١ م (٧٠) ٠ ويرى البعض الآخر

---

٦٥) شماخي ، سير ، ص ٧٥–٩٥ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٠٤ .

٦٦) الدرجيني ، ورقة ٩١، ١٠١، ١٠٤، شماخي ، سير ، ص ٧٦، ٨١، ٨٧ .

٦٧) شماخي ، سير ، ص ٧٦ ، الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٢٢ ، البسيوى ، **مختصر البسيوى** ، زنجبار ، ١٣٠٤هـ ، ص ٦–٧ .

٦٨) الدرجيني ، ورقة ١٠١ ، ١٠٤ ، شماخي ، سير ، ص ٧٦ ، ٨١ ، ٨٧ ، الحارثي ، **العقود الفضية**، ص ١٤٥ .

٦٩) من اشهر حملة العلم الذين كان لهم فضل كبير في نشر المذهب الاباضي في عمان : محمد بن المعلا الكندي ، منصور الرياحي ، بشير بن المنذر النزواني ، المنير بن النير والربيع بن حبيب الفراهيدي ، وقد تولى الاخير امامة الاباضية بعد موت أبي عبيدة . انظر من هؤلاء . العوتبي ، ورقة ١٠٧، ١٩٣ ، الرقيشي **مصباح الظلام** ، ورقة ٣٠–٣١ ، اطفيش ، الامكان ، ص ١٠٩ .

٧٠) الربيع بن حبيب ، مسند ، ج٢، ص١٠٣ ، ابن حبن ، **مشاهير علماء الامصار** ، ص ٨٩ ، بخارى ، التاريخ ، ج٢ ، ق١ ، ص ، ابن حجر ، **تهذيب** ، ج٢، ص ٣٨–٣٩ — ذهبي ، **تذكرة** ، ج١ص٦٣ .

أنه توفي عام ١٠٣ هـ / ٧٢١ م (٧١) ٠ أما الهيثم بن عدي فيضع تاريخ وفاته عام ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م (٧٢) ٠ بينما يضعه الشماخي عام ٩٦ هـ / ٧١٤ م (٧٣) ٠ ويبدو أن الرأي الاول هو الاصح لانه جاء على ألسنة رواة الحديث الذين يهتمون الى حد كبير بحياة كل محدث وتاريخ وفاته ٠ وكان جابر أحد هؤلاء المحدثين ٠ أضف الى ذلك فان المصادر تشير ـ كما مر معنا ـ الى أن جابرا استدعى الحسن البصري اليه وهو على فراش الموت وكان الحسن آنذاك مستخفيا من الحجاج الذي مات عام ٩٥ هـ ٠ ومعنى هذا أن جابرا توفي قبل هذا التاريخ ٠ والارجح أن تاريخ وفاته كان عام ٩٣ هـ / ٧١١ م كما أشرنا قبل قليل ٠ وخلفه في زعامة الدعوة أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ٠

---

٧١) ابن سعد ، ج٧ ، ص ١٣٣ ، **ابن قتيبة** ، **معارف** ، ص ٢٠٠ ٠

٧٢) ابن حجر ، **تهذيب** ، ج١ ، ص٣٨ ، (عن الهيثم بن عدى) ٠

٧٣) شماخي ، **سير** ، ص ٧٧ ٠

الباب السادس

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي

هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم (١) • ويذكر الجاحظ أنه كان مولى لعروة بن أدية التميمي ، أخي مرداس بن أدية (٢) • عاش في البصرة وأخذ العلم عن جابر بن زيد وصحار العبدي وجعفر بن السماك وضمام بن السائب العبدي العماني ، وهم أشهر علماء الاباضية في مرحلة الكتمان (٣)• ويرى بعض مؤرخي الاباضية أن أبا عبيدة قد أدرك بعض الصحابة الذين أخذ عنهم أستاذه جابر بن زيد ، وتلقى عنهم العلم وروى عنهم الاحاديث• ومن هؤلاء أنس بن مالك ، أبو هريرة ، عبد الله بن عباس ، أبو سعيد الخدري ، جابر بن عبد الله ، وعائشة أم المؤمنين (٤) •

كان أبو عبيدة عالما فذا من علماء الاباضية الاوائل وفقهائهم البارزين ، كما كان يتمتع بقدرات سياسية بارعة وأفق واسع مما ساعده على تنظيم الدعوة الاباضية في مرحلتها السرية بشكل دقيق وذكي • ولاغرو بالتالي أن يعزو المؤرخون الاباضيون اليه الفضل الاكبر في نمو حركتهم وانتشارها في أقطار اسلامية كثيرة خارج البصرة ، مثل حضرموت واليمن وعمان والحجاز ومصر وبلاد المغرب ، وذلك بواسطة الدعاة المدربين الذين كان يرسلهم لتلك الولايات لنشر المذهب الاباضي فيها • وكون هؤلاء ما عرف في تاريخ الحركة الاباضية باسم حملة العلم ، اي الذين حملوا العلم (طبقا للمذهب الاباضي) من منابعه الأصلية في البصرة ونقلوه الى الامصار (٥) •

تبوأ أبو عبيدة زعامة أهل الدعوة بعد موت الحجاج عام ٩٥ هـ وخروجه من السجن ، واتفق ذلك مع بداية حكم الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ هـ /

---

١ ــ ابو الفرج ، **اغاني** ،ج٢٠ ، ص ٩٧، شماخي ، **سير** ، ص ٨٣، الحارثي ، **العقود الفضية** ،ص ١٣٩ .

٢ ــ الجاحظ ، **بيان** ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ .

٣ ــ الدرجيني ، ورقة ٩١ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٩،٨١،٨٣، السالمي ، **حاشية الجامع الصحيح** ، ج١ ص٦ ، الحارثي ص ١٣٩ــ١٤٠ .

٤ ــ السالمي ، **حاشية الجامع الصحيح** ، ج١ ، ص٦ ، الحارثي ، ص ١٣٩ (لايذكر اسماء الصحابة ولكنه يقول : « ان أبا عبيدة أدرك من ادركه جابر بن زيد من الصحابة » .

٥ ــ الدرجيني ، ورقة ٤ــ٨ ، شماخي ، **سير** ، ص ٨٣ وما بعدها ، الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٣٠، العوتبي ، ورقة ١٠٧ ، اطفيش ، **الامكان** ، ص ١٠٩ .

٧١٥ م ـ ٩٩هـ /٧١٧م) ٠ وكان الخليفة على علاقة وثيقة مع المهالبة ، زعماء الأزد ، الذين انضموا الى الحركة الاباضية باعداد وفيرة ، ابان امامة جابر ابن زيد الازدي ٠ ومن المحتمل أن الاباضية لم يلاقوا عنتا خلال فترة سليمان ابن عبد الملك الذي عين زعيم الازد ، يزيد بن المهلب ، واليا على العراق وخراسان ٠ ولا تذكر المصادر الاباضية المتوافرة أية علاقات عدائية بين الخلافة وأتباع الاباضية خلال هذه الفترة ٠ ولعل السبب في ذلك يعود الى حماية يزيد بن المهلب لهم نتيجة للعلاقات التي تربط الأزد وآل المهلب بهذه الحركة، وخاصة اذا تذكرنا أن كثيرا من زعماء المهالبة ومن بينهم عاتكة أخت يزيد وأخيه عبد الملك كانوا من بين أتباع تلك الدعوة (٦) ٠

وعندما توفي سليمان بن عبد الملك وارتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة ٩٩هـ / ٧١٧م ـ (١٠١ هـ /٧٢٠م) ، سجن الاخير يزيد بن المهلب لاتهامه اياه بعدم تسليم خمس الغنائم التي حصل عليها أثناء حملته في جرجان وطبرستان زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٧) ٠ وقد بقي يزيد في السجن طيلة حكم عمر بن عبد العزيز كما قام والي العراق بسجن اخوته وبعض اقاربه في البصرة (٨) ٠ ولكن هذه الحادثة لم تؤد الى توتر في العلاقات بين أتباع الدعوة الاباضية والخليفة عمر بن عبد العزيز ٠ والحقيقة أن هذا الخليفة حاول أن يحل مشاكله مع احزاب المعارضة ومن بينهم الخوارج بالطرق السلمية مفضلا الحوار والمناقشة على النزاع والحروب (٩) ٠ ويبدو أن أبا عبيدة ومشايخ الاباضية في البصرة كانوا يأملون خيرا من عمر بن عبد العزيز ، وحاولوا التوصل الى تفاهم معه حول قاعدة مشتركة بين الطرفين ، فأرسلوا اليه وفدا على رأسه جعفر بن السماك ، أحد أبرز مشايخ الاباضية في البصرة آنذاك ، محاولين استمالته الى جانبهم واقناعه بصحة معتقدهم ٠ وعلى الرغم من عدم وصولهم الى نتيجة حاسمة معه في هذا الشأن الا أن الوفد رجع راضيا عن سياسته وسلوكه ٠ وتدعي بعض المصادر الاباضية أن الوفد استطاع أن يستميل ابن الخليفة ، عبد الملك ، واعتنق المذهب الاباضي (١٠) ٠ ولاعطاء القاريء صورة واضحة عن طبيعة العلاقات بين الفريقين فاننا ننقل النقاش الذي دار بينهما كما أوردته المصادر الاباضية نقلا عن أبي سفيان محبوب

---

٦ ـ انظر فوق ، ص ٩٨ ٠

٧ ـ ابن اعثم ،ج٢،ص١٦٦ ب ـ١٦٧ أ ، مسعودي ، **تنبيه** ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ ٠

٨ ـ ابن أعثم ، ج٢،ص١٧١ أ ، طبرى ، س ٢ ، ص ١٣٨٢ ، مؤلف مجهول ، **غرر السير** ، ورقة ٧٨ ٠ من المحتمل ان بعض اقارب يزيد الذين سجنهم والى البصرة كانوا يعتنقون المذهب الاباضي ٠ ولكن المصادر المتوفرة لا تشير الى ذلك لجهلها باعتناقهم لهذه الدعوة السرية ٠

٩ ـ بلاذرى ، **انساب** ، ج٢،ص١٦٦ـ١٦٨ ٠

١٠ ـ الدرجيني ، ورقة ٩٩ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٩ـ٨٠ ٠

ابن الرحيل ، المؤرخ الاباضي الذي كان معاصرا للحوادث . يقول أبو سفيان : « وفد جعفر والحباب بن كليب وسالم الهلالي في جماعة من اخوانهم الى عمر ابن عبد العزيز حين ولي الخلافة فدخلوا عليه فكلموه . فقال لهم : هل تنكرون من أمر الأحكام شيئا ؟ فكلما كلموه فزع لهم الى الأحكام . فعاتبوه وذكروا أمر عثمان فأخذ يعذره ويريد أن ينصرفوا عنه . وضرب الحباب على ركبته وقال : وانك لهاهنا تعذر الظلمة وتفعل ! فقال له : أمسك يدك يا عبد الله ! وكان جعفر (ابن السماك) ألطفهم به . وقال : ما فيكم أرفق من الاشج (جعفر) فأجابهم عبد الملك ولد عمر وقبل منهم ما دعوا اليه أباه ، وكان عبد الملك فاضلا » (١١) .

ومهما كانت صحة هذه الرواية فانها تدل على وجود علاقات ليست سيئة بين أهل الدعوة (الاباضية) وبين الخليفة . وتجمع المصادر الاباضية على عدم الاساءة الى عمر بن عبد العزيز بل ان بعضها يشير الى أن الاباضية يتولونه ولا يتبرأون منه (١٢) . ومما يثبت وجود علاقات سلمية حسنة بين أهل الدعوة والخليفة عمر بن عبد العزيز أن الأخير عين الفقيه الاباضي المعروف ، اياس بن معاوية المزني ، قاضيا في البصرة (١٣) .

أثناء هذه الفترة من العلاقات السلمية ، وأحيانا الودية ، بين الاباضية والسلطة الحاكمة والتي امتدت خلال حكم الخليفتين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، استغل أبو عبيدة ومشايخ الدعوة في البصرة هذه الفرصة لالتقاط أنفاسهم وتنظيم حركتهم على أسس متينة من أجل الوصول الى هدفهم الأسمى ، وهو تأسيس امامة الظهور وانتخاب خليفة للمسلمين من بين أتباع الدعوة . وقام أبو عبيدة بتطوير تنظيمات المجالس السرية وأعمالها التي كانت تقام في البصرة وتضم مشايخ الدعوة وأتباعها ، يتداولون فيها خططهم ويتعلمون فيها مباديء عقيدتهم وما يمت الى دعوتهم بصلة سواء في النواحي الدينية أو الدنيوية . والحقيقة أن هذه المجالس السرية كانت موجودة منذ زمن مرداس بن أدية التميمي الذي تزعم حركة القعدة بعد النهروان ، أي في أيام زياد بن أبيه وابنه عبيد الله . وتذكر الروايات أن عروة ابن أدية ، أخا مرداس ، قد قبض عليه وهو مختبيء في سرداب سري تحت الأرض حيث كان يتعبد مع أصحابه (١٤) . ويذكر المؤرخ الاباضي ، أبو سفيان ، أمثلة أخرى تدل على وجود مثل هذه المجالس السرية في زمن مبكر من عمر

١١ — الدرجيني ، ورقة ٩٩ .

١٢ — الدرجيني ، ورقة ١٠٠ ، الرقيشي ، ورقة ٩٨ ، جيطالي ، ورقة ٣٢ .

١٣ — الدرجيني ، ورقة ٩٩ — ١٠٠ ، شماخي ، سير ، ص ٨١—٨٢ ،
T. Lewicki, "Notice sur la Chronique ibadite.., Rocznik **Orientalistyczny**, vol. 11 (1936), p. 158.

١٤ — الدرجيني ، ورقة ٩٢، ٩٨ .

الدعوة . منها ما يقوله : « حدثني يسار وهو من خيار من أدركت عن والدته، وهي بنت ثمانين سنة . قال : أدركت أخوين من بني راسب يقال لأحدهما تبرح والاخر مازن ابنا كنان . وكانا من خيار من مضى من أهل هذه الدعوة . وكانا نظيري أبي بلال وأخيه عروة رحمهم الله ، وكانا فيزمانهما . فأما تبرح فكان عابدا مصليا لا يفتر من العبادة حتى دبرت ركبتاه ويداه ورجلاه وجبهته كدبر البعير . وكان قد اتخذ سربا في الارض يعبد الله فيه مع أصحابه »(١٥).

وعلى الرغم من وجود هذه المجالس السرية منذ الأيام الاولى لقيام حركة الخوارج القعدة فان الفضل يعود للامام أبي عبيدة في توضيح معالم هذه المجالس وتصنيف وظائفها وترتيب طبقاتها . ويمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من المجالس السرية كانت موجودة زمن أبي عبيدة التميمي .

النوع الاول : المجالس العامة وهي التي لم تكن مقصورة على جماعة معينة بل ان دخولها مباح لأي شخص من أهل الدعوة . وكان الأعضاء يرتادون هذه المجالس التي تعقد سرا في بيت أحد المشايخ وفي سراديب أرضية خاصةاعدت لهذا الغرض . وفي بعض الأحيان كانوا يعقدون هذه المجالس في بيوت النساء العجائز أو في بيوت الكرائين تجنبا للشبهات وامعانا في الحيطة والحذر (١٦). ولم يكن لهذه المجالس العامة برنامج معين أو خطة واحدة . بل كان الأعضاء يجتمعون في المجلس ويتلقون دروسا في العقيدة وارشادات من كبار المشايخ الذين كانوا يقومون بالقاء الخطب الواحد تلو الاخر حول موضوع معين أو مواضيع مختلفة . وتشبه خطبهم ما هو معروف عن خطب صلاة الجمعة في المساجد ولكنها من جهة أخرى تختلف عنها في أن المجتمعين قد يتلقون أوامر يجب التقيد بها . ولم تقتصر على الخطب الوعظية والدروس الدينية كماهو الحال في خطب الجمعة أو الاعياد الدينية . وكان المتحدثون يتكلمون بصوت منخفض حتى لا يسمعهم الجيران أو المارة .

وكانوا يعينون أشخاصا منهم لمراقبة الأحياء والطرق المؤدية الى مكان الاجتماع ، حتى لا تداهمهم الشرطة على غفلة أو يعلم باجتماعهم أحد من المخالفين المناوئين للحركة . وبينما كانوا مجتمعين ذات مرة جاءتهم العيون تخبرهم بأن الشرطة في طريقها الى الحي الذي اجتمعوا فيه، ففضوا الاجتماع وتفرقوا . وكانوا آنذاك مجتمعين في بيت متواضع تملكه امرأة مسنة . يقول أبو سفيان : « وما بلغنا أنه ظفر بهم في مجلس قط الا أنهم كانوا ذات مرة أتاهم الخبر بأن الخيل تريدهم . فخرجوا مسرعين ، وتركوا نعالهم على باب

---

١٥ — شماخي ، سير ، ص ٨٢ (عن أبي سفيان) .

١٦ — الدرجيني ، ورقة ١٠٥ .

البيت الذي كانوا فيه ! فجاء الشرط فنظروا الى النعال، فقالوا للعجوزصاحبة البيت : ما هذه النعال ؟ فقالت : مكاتب لنا يسأل الناس فيعطى النعال وغيرها ، قالوا بالله ما ذلك كما ذكرته ، فان هذا موضع ريبة . قال : فقال بعضهم : قد ذكرت العجوز ما ذكرت ، فلا تعرضوها للبلاء ، فلعلها أن تكون صادقة ، قال : فعافاها الله منهم » (١٧) . وعلى أي حال فان الاباضية لم يتركوا وسيلة لاخفاء تنظيمهم الا واتبعوها وكانوا يتخذون كل الاجراءات الممكنة لمنع تسرب أية معلومات عن مجالسهم أو أماكن انعقادها . كما كانوا يذهبون لحضور هذه المجالس متنكرين على هيئة النساء أو الباعةالمتجولين . يقول أبو سفيان : « كانوا يأتون المجالس في هيئة النساء في النهار ، وغير ذلك يتشبهون بالنساء .. وان كان احدهم ليحمل على ظهره جرة بماء ، أو يحمل حملة متاع كأنه بياع حتى يدخل المجلس » (١٨) . ليس هذا فحسب بل ان مشايخ الاباضية كانوا يحذرون أتباعهم من العيونوالجواسيسويوصونهم بطرد أي شخص يشكون في أمره . ويؤثر عن أبي مودود حاجب الطائي أنهكان يخاطب أتباعه ويقول : « اذا كان أحد يعيب عليه المسلمون (الاباضية) في خلافهم في الدين وأراد أن يشغب عليهم ويفتق بينهم فاهجروه ولا تحضروه مجالسكم وأعلموا الناس به ليكونوا منه على حذر .. » (١٩) ونتيجة لهذه الوسائل والاجراءات الحذرة التي اتبعها الاباضية في البصرة لم يؤثر عنهم « أنهم ظفر بهم في مجلس قط » (٢٠) .

كان مشايخ الاباضية البارزين يشرفون على هذه المجالس العامة . ولذلك فقد سمي كل مجلس باسم الشيخ المشرف عليه مثل مجلس عبد الملكالطويل، ومجلس أبي سفيان قنبر ومجلس أبي الحر علي بن الحصين ومجلس أبي مودود حاجب الطائي وغيرها (٢١) .

النوع الثاني : مجالس المشايخ ويحضرها زعماء الاباضية فقط . وفي هذه المجالس تقرر السياسة التي يجب على أهل الدعوة اتباعها . وكان مجلس المشايخ عبارة عن مجلس تخطيط وتنظيم لحركة ثورية سرية . ولا يجوز لأحد غير الامام وكبار المشايخ حضور هذه المجالس . وتورد المصادر الاباضية أمثلة كثيرة منع فيها بعض اتباع الدعوة من الدخول الى هذه المجالس : منها ما يذكره أبو سفيان من أن شعيب بن عمر ، وهو من أفاضل شباب أهل الدعوة ،

---

١٧ ـ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ (عن ابي سفيان) .

١٨ ـ المصدر نفسه .

١٩ ـ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ـ١٠٦ .

٢٠ ـ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ ، شماخي ، سير ، ص ١٠٨ .

٢١ ـ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ ، شماخي ، سير ، ص ٩١ .

قد حاول دخول أحد مجالس المشايخ وكان منعقدا في الليل في بيت زوج أخته حاجب الطائي ٠ ولما علم الأخير به رفض السماح له وطلب منه العودة الى بيته الذي كان يبعد أكثر من ثلاثة أميال (٢٢) ٠

النوع الثالث : هو ما يمكن أن نسميه باسم مجالس أو مدارس حملة العلم، حيث كان الدعاة من مختلف الامصار يتلقون العلم وأصول الدعوة وتعاليمها مباشرة عن الامام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي أقام مدرسة سرية لهذه الغاية في سرداب أرضي لا يعرفه الا الدعاة (حملة العلم) وشيوخ الاباضية البارزين الموثوقين ٠ وكان أبو عبيدة يتظاهر بصنع القفاف لذلك دعي بالقفاف ٠ (٢٣) وبينما كان الامام يلقي دروسه على تلاميذه كان هناك حارس يجلس عند الباب الخارجي للسرداب ، فاذا مر أحد حرك الحارس سلسلة حديدية فيتوقف أبو عبيدة عن القاء دروسه ومحاضراته ، ويشتغل وتلاميذه بصنع القفاف ٠ واذا أمن الحارس وأيقن عدم وجود خطر حرك السلسلة مرة أخرى فيعود أبو عبيدة وتلاميذه للدرس والتحصيل (٢٤) ٠ ومن هذه المدرسة تخرج دعاة الاباضية في الامصار الذين عرفوا باسم حملة العلم ٠

كان حملة العلم يختارون عادة من بين أهل الولايات التي يرسلون اليها ، أو من المناطق القريبة منها لمعرفتهم بأحوال الناس وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم ومقدار تطورهم الفكري والحضاري ودرجة ولائهم للسلطة الحاكمة ، وبالتالي يسهل عليهم مخاطبة الناس واختيار الظروف الملائمة والأماكن المناسبة لاقامة مراكز الدعوة ونشر أفكارهم ومعتقداتهم في تلك البلاد ٠ واذا تفحص الباحث المصادر الاباضية المتوافرة فانه يجد أن معظم حملة العلم كانوا من بين السكان الأصليين للبلاد التي يبشرون فيها ، على أن وجود دعاة من أماكن أخرى كان واردا ولكن بصورة محدودة جدا ، وطبقا لمقتضيات الظروف ، كما حدث عندما رافق أبو الخطاب المعافري ، وهو عربي يمني ، حملة العلم المغاربة الذين جاءوا الى البصرة في نحو عام ١٣٥ هـ ، وبقوا خمس سنوات يأخذون العلم وأصول المذهب الاباضي عن امام الاباضية الاكبر أبي عبيدة التميمي (٢٥) ٠ ومهما يكن من أمر ، فان الروايات الاباضية تشير الى أن أبا عبيدة كان يحبذ اختيار الدعاة من السكان المحليين ٠ يقول أبو سفيان : «أخبرني بعض بني بسر وقال : قدم الينا أبو عبيدة مرة حاجاومعه امرأة من المهلبيات فلما فرغوا من حجهم قالت : يا أبا عبيدة ! اني أريد المقام

---

٢٢ ــ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ ، شماخي ، سير ، ص ٩٠ــ٩١ ٠

٢٣ ــ الدرجيني ، ورقة ٤ــ٨ ، ابو زكريا ، ورقة ٥ ، شماخي ، ص ٩٠ ٠ ازكوى ، ورقه ٢٧٨ ،الحارثي ص ١٣٩،١٤٧،١٨٨ ٠

٢٤ ــ ابو زكريا ، ورقة ٥ ، الدرجيني ورقه ٤،٨،الحارثي ، ص ١٤٧ ٠

٢٥ ــ انظر الباب السابع ، الفصل الثالث ٠

بمكة . قال : لا تقيمي الخروج أفضل لك . قال ابن مسروق (من دعاة الاباضية في الحجاز) فقلت : وأنا أخرج معكم يا أبا عبيدة قال : فقال أما أنت فأقم . قال : فقلت تأمر هذه بالخروج معك وتأمرني بالمقام ؟ قال : لأنك قريب من مكة ونحن بعيد عنها » (٣٦) . والحقيقة أن حملة العلم للامصار الذين أرسلهم أبو عبيدة للولايات كانوا من السكان المحليين سواء كان ذلك في عمان وحضرموت واليمن أو الحجاز أو شمال أفريقية . وسوف نفصل ذلك خلال حديثنا عن انتصار الدعوة وتأسيس الامامة في هذه الولايات والامصار .

وقد نظم أبو عبيدة العلاقة بين مركز الدعوة في البصرة وحملة العلم . واذا حدث خلاف بين أفراد حملة العلم في أي من الأمصار فكان عليهم العودة لمشايخ البصرة للنظر فيه والعمل على حله . وكثيرا ما كان أبو عبيدة يرسل أحد أصحابه المعروفين بالحصافة والعلم للنظر في مثل هذه الطواريء . وكان رسوله في معظم الأحيان حاجب الطائي الذي كان ساعده الأيمن ومستشاره الأول ، وكان المسؤول عن الشؤون العسكرية والمالية وشؤون الدعوة خارج البصرة (٣٧) . ومن أمثلة ذلك ما حدث بين أتباع الدعوة من أهل حضرموت . فقد وقع الخلاف بينهم وقبض فريق منهم على رئيسهم عبد الله بن سعيد وشدوه في الحديد وبايعوا رجلا آخر يقال له حسن بينما خالفتهم طائفة أخرى. واتفق الفريقان على تحكيم مشايخ البصرة في الأمر وأرسلوا الى البصرة يعرضون مشكلتهم على الامام ويطلبون منه النصح والارشاد . فأرسل لهم أبو عبيدة حاجب الطائي في موسم الحج ، وبعث لهم يخبرهم بذلك ويأمرهم بموافاة حاجب في الموسم . وصدع الجميع لأمر شيخهم أبي عبيدة ، ووافى الحضارمة حاجبا في مكة ودخلوا عليه خيمته ، وكان آنذاك أرمدا ، فقال : «لقد خرجت من البصرة فما أبصر سهلا ولا جبلا ولا اخرجني بعد ما أرجو من قضاء نسكي الا أمركم يا أهل حضرموت ، فانكم غلبتمونا . قال وائل (ابن أيوب الحضرمي) فقلت : رحمك الله يا أبا مودود فأنا لا نخرج عن رأيك . فقال لي : اسكت فوالله ما أريدك ولا اصحابك ! ثم تكلم الفريقان (الحضرميان) فقال الذين انكروا على عبد الله بن سعيد وبايعوا حسنا على الشراء : يا أبا مودود من أحق بالقيام ؟ المدافع أم الشاري ؟ قال بل الشاري أحق . فقال أصحاب ابن سعيد : يا أبا مودود أما اذا شروا فليخرجوا عنا ، فانا لا طاقة لنا بالحرب ولا بما يجرون علينا منها ، فقال : (الذين أرادوا الشراء) يؤجلوننا شهرا . فقال لهم حاجب : لا والله ولا ثلاثة أيام الا برضاهم » (٣٨) .

بالاضافة الى الدعاة وحملة العلم فقد استفاد الاباضية ، في سبيل نشر

---

٢٦ ــ الدرجيني ، ورقة ١٠٢ ، شماخي ، سير ، ص ٨٤ .

٢٧ ــ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ .

٢٨ ــ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ــ١٠٦ .

دعوتهم ، من وسائل اخرى أهمها موسم الحج الذي كان من أفضل المناسبات لبث الدعوة الاباضية بين الحجاج القادمين من مختلف أصقاع العالم الاسلامي . وقد احسن مشايخ الاباضية وأتباعها استغلال هذا الموسم لصالح دعوتهم ونشر عقيدتهم . وكان الامام أبو عبيدة التميمي اذا حج في سنة من السنين أقيمت له خيمة خاصة يرتاده أتباعه فيها حيث يعلمهم أصول الدين ويجيب على أسئلتهم واستفساراتهم . واذا لم يحج فانه يرسل أحد مشايخ الاباضية المشهورين بغزارة العلم وحلاوة المنطق وقوة الحجة وسداد الرأي ليرأس وفد الاباضية لموسم الحج . ومن أشهر هؤلاء المشايخ ابو مودود حاجب الطائي والربيع بن حبيب الفراهيدي وصالح الدهان وغيرهم . وكانت منازل هؤلاء المشايخ وخيامهم مدارس متنقلة لنشر المذهب الاباضي ، كما كانت ملتقى لأهل الدعوة حيث يتشاورون في أمورهم ويتبادلون الرأي والنصيحة حول خططهم في أقطارهم المختلفة وأفضل السبل الواجب اتباعها لتحقيق أهدافهم وانتصار دعوتهم (٢٩) .

وأفاد الاباضية أيضا من اخوانهم التجار لنشر المذهب في الأماكن التي يتاجرون فيها . ومعروف من المصادر الاباضية أن هؤلاء التجار قد جابوا العالم المعروف آنذاك من الصين شرقا الى السوس الاقصى في بلاد المغرب غربا . وكان لهم دور بارز في نشر المذهب في تلك الأقطار . وبعد انتصار الدعوة في شمال افريقية وتأسيس الامامة كان للدعاة الاباضية دور بارز وجهد مشكور في نشر الاسلام في بعض مناطق افريقية جنوب الصحراء (٣٠) .

استطاع الاباضية نتيجة للتنظيم الدقيق والدعاية النشطة والحذرة أن يكسبوا أعوانا كثيرين في مناطق متعددة من الدولة الاسلامية خلال الربع الاخير من القرن الأول الهجري . وفي بداية القرن الثاني الهجري وبعد أن اعتلى يزيد ابن عبد الملك عرش الخلافة (١٠١ هـ - ١٠٥ هـ) حدثت بعض التطورات السياسية التي أدت الى بروز جماعة متطرفة من بين الاباضية تنادي بوجوب الثورة . فقد ثار يزيد بن المهلب الذي كان قد هرب من السجن اثر وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز واحتل البصرة بعد أن هزم واليها وحرر اخوته وأقاربه من سجنه (٣١) . ثم قام بدعاية واسعة

---

٢٩ — الدرجيني ، ورقة ١٠١ ، ١٠٦ ، شماخي ، **سير** ، ص ١٠٧ .

٣٠ — شماخي ، **سير** ، ص ٩٢ ، ١١٤ ، انظر ايضا الدرجيني ، ورقة ١٠٧ ،

T. Lowicki, "Les Premiers commesants arabes en Chine" , **Rocznik Orientalistycany,** Vol., 11, pp. 173 - 186; Idem, **"al-Ibadiyya", E. I (2)** ,

٣١ — بلاذري ، **انساب** ، ج٢ ص ٢٠٧—٢٠٨ ، ابن اعثم ، ج٢ ، ص ١٧١ ب — ١٧٢أ ، طبري ، س٢ ، ص ١٣٨٢—١٣٨٥ ، أزدي ، **تاريخ الموصل** ، ص ٨٠ ، مسعودي ، **مروج** ج٥ ، ص٢٥٢—٢٥٤ ، مؤلف مجهول ، **غرر السير** ، ورقة ٧٨—٧٩ ، مؤلف مجهول ، **تاريخ الخلفاء** ، ص ١٩٠ب—١٩١ أ .

انضم اليه على اثرها عدد كبير من أهل العراق وامتد نشاطه فشمل الأهواز وكرمان وفارس وحتى السند (٣٢) • ولما علم الخليفة بهذه الانتصارات التي أحرزها يزيد بن المهلب أرسل اليه جيشا كبيرا بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد واستطاع الجيش الشامي أن يهزم الثوار في معركة العقر سنة ١٠٢ هـ وقتل فيها يزيد بن المهلب نفسه وهرب بقية أقاربه واخوته الى قندابيل في السند • ولحق بهم هلال بن أحوز التميمي على رأس قوة كبيرة فحاصرهم وألحق بهم هزيمة منكرة وقتل معظم أفراد الأسرة المهلبية بينما أسر الباقون مع نسائهم وأطفالهم وعوملوا معاملة سيئة حتى أنهم تعرضوا للبيع في السوق كالرقيق (٣٣) •

كان لهذه المعاملة السيئة التي لقيها المهالبة ، قادة الازد وزعماؤهم - أثرها الكبير في اثارة غضب الازد وسخطهم على الحكم الأموي • ولم يقتصر ذلك على أزد العراق وخراسان بل تعداه الى أزد عمان • وأدى ذلك بالتالي الى خنق الاباضية في البصرة وخاصة أن عددا كبيرا منهم كان ينتمي الى قبيلة الأزد ومنهم عدد من المهالبة أنفسهم • والحقيقة أن قضية المهالبة قد ربطت منذ أيام جابر بن زيد بالقضية الاباضية حيث كان أي خير أو شر يمس هذه الأسرة ينعكس على الحركة الاباضية وعلى علاقتها بالسلطة الحاكمة (٣٤) • ومن المؤكد أن عددا من المهالبة وأزد البصرة الذين لقوا مصرعهم على أيدي الأمويين وأعوانهم كانوا من الاباضية ومن بينهم عبد الملك بن المهلب الذي أسلفنا القول عنه في الصفحات السابقة (٣٥) • ولذلك فقد نقم الاباضية في البصرة على الحكم الأموي بعد قمع ثورة يزيد بن المهلب وضاقوا ذرعا بسياسة ولاة البصرة تجاه انصارهم من الازد • وارتفعت أصوات بعض مشايخهم بوجوب الانتقام واعلان الثورة ومن بين هؤلاء : الشيخ الاباضي أبو نوح صالح الدهان وبعض افراد الأزد الذين نجوا من الموت والهلاك ،ومن بينهم عاتكة أخت يزيد بن المهلب المعروفة بحماسها الشديد للمذهب الاباضي وتفانيها في خدمته • ولكن الامام أبا عبيدة كان يرى أن الوقت لم يحن بعد

---

٣٢ ــ ابن اعثم ، ج٢ ، ص ١٧٢ب ، مؤلف مجهول ، **غرر السير** ، ورقة ٧٩ ، طبرى ، س٢،ص ١٣٩٠•

٣٣ ــ بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٢١٢،٢١٤ــ٢١٥، طبرى ، س٢ ، ص ١٣٨٩ ــ ١٣٥،٩٠ وما بعدها ١٤١٢ــ١٤١٣ ، ابن اعثم ،ج٢،ص١٧٤أــ١٧٨ب ، مؤلف مجهول **غرر السير** ،ورقة ٨٤ ، يعقوبي ، **تاريخ** ،ج٢،ص ٣٧٢ــ٣٧٣ ، مسعودي ، **مروج** ، ج٥،ص٤٥٤،٤٥٦ــ٤٥٨ •

٣٤ ــ يجدر بالذكر ان المصادر غير الاباضية لا تمس هذه العلاقة بين المهالبة والازد وبين الحركة الاباضية • ولعل السبب في ذلك يعود الى جهل هذه المصادر بطبيعة العلاقة بين الطرفين بل وبالحركة الاباضية بشكل عام في تلك الفترة السرية من مراحل تطورها •

٣٥ ــ انظر فوق ، ص ٩٨ •

لاعلان الثورة المسلحة ، ورفض بشدة آراء المنادين بها (٣٦) ٠ وحبذ أبو عبيدة أن يقوم أتباعه بثوراتهم في أماكن نائية بعيدة عن متناول السلطة المركزية ٠ وكان في كل تنظيمه ، يخطط لمثل هذا العمل ولكنه كان يتحين الفرص المناسبة والملائمة لكل قطر حتى يأمر اتباعه فيه بالخروج ٠ ولذا فقد قاوم آراء أتباعه المنادين بالعصيان وبقي الاباضية طيلة فترة يزيد بن عبد الملك محافظين على سرية حركتهم متجنبين كل ما يثير السلطات حتى لا يواجهوا نفس مصير الأزد والمهالبة ٠ وقد كان موت يزيد بن عبد الملك واعتلاء أخيه هشام عرش الخلافة (١٠٥ هـ / ٧٢٤ م – ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م) وتعيين خالد القسري واليا على العراق فرصة مناسبة ساعدت أبا عبيدة على اقناع أصحابه بالتحلي بالصبر ٠ فقد اتسمت فترة ولاية خالد القسري باللين والتسامح ليس مع الاباضية فحسب بل مع معظم المعارضين للحكم شريطة أن لا يرفعوا السيف في وجهه ٠ وبلغ به التسامح أن بعض مشايخ الاباضية كانوا يشتمونه من على منابر المساجد ، كما كانوا يؤلبون الناس ضد عامله على البصرة ، القاضي المعروف بلال بن أبي بردة ، ولم يمسسهم بضر ٠ وقد تزعم هذه الحملة الدعائية ضده أحد شيوخ الاباضية البارزين وهو أبو محمد النهدي (٣٧) ٠ وعندما عزل خالد القسري وعين بدلا منه يوسف بن عمر الثقفي اتبع الأخير سياسة قاسية مخالفة لسياسة سلفه ، واستعمل العنف والشدة ضد المناوئين للسلطة حتى لو لم يرفعوا السيف في وجهها ٠

في ظل هذه السياسة التي أخذ يمارسها الوالي الجديد تعرض أبو عبيدة لضغط جديد من بعض أتباعه في وجوب التحرك والخروج ٠ ويبدو أن أبا عبيدة قد أدرك أنه ليس بوسعه الاستمرار في مقاومة رغبات بعض أصحابه ومشايخ دعوته لوقت أطول ، ولكنه رأى في الوقت نفسه أن الخروج على طريقة متطرفي الخوارج أو على منوال الثورات الأخرى التي قامت في العراق لن تؤدي الى نتيجة طيبة وستقمع بعنف وشدة ، وقد تضيع بعدها الدعوة ويصعب تنظيم أصحابها من جديد ٠ لذا قرر السير في الانتقال من طور الكتمان الى طور الظهور بحذر شديد متخذا خطوات تنظيمية جدية في هذا الشأن كان لها أثر كبير في انتصار الدعوة واعلان امامة الظهور ، ليس في البصرة ، ولكن في الأمصار الأخرى البعيدة عن مركز السلطة المركزية والتي كان أبو عبيدة يرى، من قبل ، أن أي نجاح لدعوته سيكون في هذه الأمصار النائية ٠ ولذا فقد ركز جهوده وجهود دعاته على سكان تلك الولايات الواقعة على أطراف الامبراطورية الاسلامية ٠

---

٣٦ — شماخي ، سير ، ص ٨٤ ، ٨٨ ، الحارثي ، ص ١٤٢ ٠

٣٧ — الدرجيني ، ورقة ١٠٨ ، شماخي ، سير ، ص ٨٨، ٩٥، ٩٧ ، السالمي ، **اللمعة المرضية** ، ص ١٨٥ ٠

كانت خطة أبي عبيدة مختلفة عن خطط كل ما سبق من ثورات وحركات وكانت ترمي الى اقناع المتطرفين من أصحابه بأنه ليس أقل حماسا منهم للوصول الى الهدف الأسمى ، ولكن بعد التأكد من أن الامر قد اعد له الاعداد الكافي والضروري • وتبعا لذلك قرر أبو عبيدة أن يعزل نفسه وأصحابه بقدر الامكان عن بقية المسلمين (المخالفين) ويكون ما يمكن أن نسميه تجوزا « المجتمع المغلق » والذي أطلق عليه جماعة المسلمين • وحذر أصحابه وأتباع دعوته من التعامل مع الولاة والحكام وطلب منهم عدم قبول أي منصب وتناول أي مال منهم • وعلى الرغم من أن هذه الأمور كان مسموحا بها في زمن سلفه جابر بن زيد فان أبا عبيدة وجد من الضروري في هذه المرحلة اتخاذ مثل هذه الاجراءات حتى يحافظ على سرية الحركة ويمنع الاغراءات لبعض أتباع الدعوة • ليس هذا فحسب بل ان أبا عبيدة لم يحبذ التزاوج بين أتباع الدعوة وبقية المسلمين • ومع أن هذا الأمر مشروع في العقيدة الاباضية الا أن الامام فعل ذلك من قبيل المحافظة على عدم اختلاط أهل الدعوة مع غيرهم ومنع تسرب أية معلومات عن نشاطاتهم وتحركهم بل وسلوكهم وتعاملهم فيما بينهم • وتشير الرواية الاباضية الى أن أبا عبيدة هجر أحد اتباعه لأنه زوج ابنته لرجل غير اباضي بينما سمح جابر بن زيد من قبل بمثل ذلك (٣٨) • على أنه يجب أن لا يغيب عن البال أن هذا الاجراء كان مؤقتا قبل اعلان امامة الظهور ولم يكن قاعدة فقهية يجب اتباعها والأخذ بها في كل الظروف • وجدير بالذكر أن الاباضية في مرحلة الكتمان يجيزون بعض الأمور مثل تعطيل الأحكام وعدم اقامة الحدود لانهم ـ طبقا لوجهة نظرهم ـ ليسوا في وضع يسمح لهم بتنفيذ هذه الأمور •

بالاضافة الى هذه التنظيمات فقد خلق أبو عبيدة من أتباعه مجتمعا تسوده المودة والمحبة والاخاء في العقيدة وتسيطر عليه روح الجماعة • وكان يحثهم على التآلف والتعاون فيما بينهم • كما طلب من الأغنياء أن يكونوا عونا للفقراء وسندا لهم حتى لا يضطر الفقير من جماعته لاحتياج أحد من المخالفين • وقد لبى الأثرياء منهم هذا الطلب بحماس منقطع النظير (٣٩) • وتورد المصادر الاباضية أمثلة كثيرة تشير فيها الى تنافس الأغنياء منهم في سد حاجة الفقراء واعطائهم • يقول أبو سفيان مدللا على ذلك : « سمعت بعض مشايخ من أدركت يقولون : أنا لنذكر اذا دخل شعبان أن كان الفقراء من المسلمين (الاباضية) لتأتيهم الأحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهر رمضان ولا يعلمون من بعث بها •• يأتي الرجل بالجمال حتى يقف به على باب

---

٣٨ ــ شماخي ، سير ، ص ١١٣ •

٣٩ ــ المصدر نفسه ، ص ١١٣ ــ ١١٤ •

الدار فيقول : أدخل ، فيكتب في خرقة كلوا واطعموا » (٤٠) • ويروى أن شخصا من الاباضية يدعى ديال بن يزيد « كان يستأجر الأكسية في البرد الشديد•• بألف درهم أو أقل أو أكثر وليس عنده منها شيء وانما يتكل على الله وعلى المسلمين (الاباضية) • ثم يفرقها بين الفقراء ويجمع ثمنها بعـــد ذلك من أغنياء الاباضية وكرمائهم » (٤١) • وكان الداعية الاباضي ، أبو الحر ،موسرا جدا وتأتيه غلته سنويا « فيقسمها نصفين ، فيفرق نصفها فيفقراءالمسلمين (الاباضية) وفي معاونتهم » (٤٢) • ليس هذا فحسب بل ان أغنياء الاباضيــة كانوا يتسابقون في دفع الديون المتبقية على من يموت من أصحابهم • يقول أبو سفيان : « مات حاحب وعليه دين مئتان وخمسون الفا أو أكثر (دراهم ؟) قال : فدخل قرة بنعمر وجماعة من المسلمين ليغسلوه ••• فقال لهم قرة : يا قوم ! ما تقولون في دين هذا الرجل ؟ فابتدر ثلاثة رجال وقرة رابعهـــم وضمنوا دينه •ودخل الفضل بن جندب وكان من خيار المسلمين (الاباضية) وكان موسرا فأخبروه •• فقال لهم الفضل : دينه علي دونكم حتى اعجز عنه ولا يبقى لي مـــال » (٤٣) •

ولم يغفل أبو عبيدة ومشايخ الاباضية في البصرة عن أتباعهم في الأمصار الأخرى وخاصة أنهم يحتاجون بشكل دائم الى المساعدات المالية والمعنويـة حتى يستطيعوا الصمود ، ولكي يستعدوا بشكل فعال للوقوف في وجه أي خطر يتهددهم • أضف الى ذلك فان جماعات الاباضية خارج البصرة كانتفيبعض الأحيان تواجه بعض المشاكل الطارئة • ولا بد لحل هذه المشاكل من الرجوع الى أئمة البصرة ومشايخها • ومن هنا فقد برزت الحاجة لايجاد نوع مـــن التنظيم يتولى الاشراف على كل هذه الأمور ويضمنللدعوة استمرارهـــا وتطورها ويهيء لها بالتالي سبل النجاح والنصر • ولتحقيق ذلك أنشأ أبــو عبيدة في البصرة ما يمكن أن نسميه بالحكومة الثورية السرية • وكان هـــو زعيمها وله الكلمة العليا في الشؤون الدينية من فتوى وقضاء وتدريب الدعاة وحملة العلم الذين يرسلون للامصار (٤٤) • وأنشأ بيت مال خاص بجماعـــة المسلمين (الاباضية) في البصرة ووكل لحاجب الطائي مهمة الاشراف علـــى الشؤون المالية والعسكرية وشؤون الدعوة (٤٥) • وقد كان أبو عبيدة ذكيا في

---

٤٠ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٤

٤١ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٤ •

٤٢ ـ المصدر نفسه ، ص ١٠١ ، انظر مزيدا من الامثلة حول هذا الموضوع في المصادر التالية • الدرجيني ، ورقة ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، شماخي ، سير ، ص١٠١ ، ١١٣ـــ١١٥ •

٤٣ ـ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ ، شماخي ، سير ، ص ١٠٦ •

٤٤ ـ الدرجيني ، ورقة ١٠٥ ـ ١٠٦ •

٤٥ ـ الدرجيني ، ورقة ١٠٥،١٠٦،١١٠ •

الربط بين الناحيتين المالية والعسكرية ووضعهما في يد رجل واحد قدير ، وذلك لأن موارد بيت مال الفرقة كانت تستخدم لمساعدة الدعاة والثوار الاباضية في المناطق البعيدة . وكانت موارد بيت المال تأتي من مصدرين : الأول عبارة عن ضريبة فرضها الامام على أتباعه في البصرة . ولا تذكر المصادر متى كانت تدفع ولا مقدارها . ولكن من الثابت أنها لم تكن تفرض بالتساوي بل تتفاوت حسب ثراء المكلف ودخله . ولا تذكر المصادر أن أحدا من الاباضية قد تخلف عن دفعها لأنها تعتبر في نظرهم جزءا من واجباتهم الدينية التي ستساعد على انتصار دعوتهم التي تمثل في اعتقادهم الاسلام الحق كما كان موجودا زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ويبدو أن هذه الضريبة كانت تجمع عند الحاجة . يقول أبو سفيان : « لما خرج الامام عبد الله بن يحيى (طالب الحق) ووجه أبا حمزة المختار بن عوف (لقتال الأمويين) قام حاجب فجمع له أموالا كثيرة ليعينه بها فكتب على كل موسر قدر ما يرى .. فما امتنع عليه أحد » (٤٦) . أما المورد الثاني لبيت المال فكان يأتي من التبرعات السخية التي يدفعها أثرياء الاباضية . ويبدو أن التجار منهم كانوا يتحملون النصيب الأكبر في هذا الشأن . ومعروف أن عددا من التجار الاباضية كانوا من الأغنياء المعدودين . وكانت تجارتهم تتجاوز البصرة وما جاورها وتصل الى الصين والشرق الاقصى . ومن هؤلاء التجار نذكر على سبيل المثال النظر بن ميمون وأبو عبيدة عبد الله بن القاسم والفضل بن جندب وغيرهم (٤٧) . ولم تقتصر هذه التبرعات على الأغنياء من الاباضية بل تعدتهم الى بقية الناس من أهل الدعوة ، رجالا ونساء . وتخبرنا الروايات أن حاجبا دعا أحد أصحابه ويسمى أبو طاهر وطلب منه أن يجمع الصدقات من النساء وأوساط الناس لأنه لا يريد أن يكتب عليهم ضريبة . « فانطلق أبو طاهر فيمن أطلق معه من المسلمين ، فلم يأتوا يومئذ امرأة ولا رجلا الا وجدوه مسرعا فيما سألوه . وكان رجل من المسلمين لم يكن يرى أنه صاحب مال فدفع اليهم ثلاثة آلاف درهم . فلم تمس الليلة حتى جمع أبو طاهر عشرة آلاف درهم » (٤٨) .

---

٤٦ ــ الدرجيني ، ورقة ١١٠ .

٤٧ ــ الدرجيني ، ورقة ١٠٥،١٠٧،١١٥، شماخي ، سير ، ص ١٠٣ .

٤٨ ــ الدرجيني ، ورقة ١١٠ ، شماخي ، سير ، ص١١٤ــ١١٥ .

الباب السابع

الفصل الاول

انتصار الدعوة

تأسيس الامامة في الجزيرة العربية ـ حضرموت واليمن

نتيجة لهذا التنظيم وتتويجا لنشاط حملة العلم المتحمسين في الأمصار فقد شهدت الدعوة الاباضية في النصف الأول من القرن الثاني الهجري بعض الانتصارات وأسست امامات خاصة بها في جنوب الجزيرة العربية وشمال افريقية ٠ ويبدو أن أئمة الاباضية قد استغلوا الظروف التي تمر بها الدولة الاسلامية ابان حكم مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية وأوعزوا الى اتباعهم في الأمصار لاعلان التمرد وبدء الثورة ضد الحكم القائم ٠ فقد مرت الدولة الأموية في تلك الفترة بمرحلة عصيبة وشغلت بقمع ثورات مختلفة في انحاء متعددة من الدولة ، ومن ضمنها بلاد الشام التي كانت ، قبل ذلك ، تكون العمود الفقري للسلطة الأموية ٠ وقد ساعد انقسام البيت الأموي على نفسه في قيام مثل هذه الحركات وشجع أحزاب المعارضة ، على اختلافها وتفرعها وتنوعها ، على انتهاز الفرصة أملا في الوصول الى ما تصبو اليه ٠ وأعلن العباسيون ثورتهم في المشرق واضطر الخليفة لتوجيه قواته للوقوف في وجه هذا الخطر الرامي لتقويض حكم الأسرة الأموية تاركا المناطق النائية تواجه مصيرها وتحل مشاكلها دون مساعدة تذكر من السلطة المركزية ٠ وكان من بين هذه المناطق حضرموت واليمن حيث كان الدعاة الاباضية يقومون بنشاط واسع هناك منذ وقت مبكر ٠ وقد ساعد تذمر السكان في تلك المنطقة من سياسة الولاة هناك على انتشار الدعوة الاباضية بشكل واسع وسريع ٠ فقد خضعت اليمن وحضرموت لحكم قيسي ثقفي مستمر منذ أيام عبد الملك بن مروان(١)٠ وكان والي اليمن عند قيام الثورة الاباضية هناك هو القاسم بن عمر الثقفي٠ وقد اتبع الولاة الثقفيون سياسة مالية جائرة ضد السكان اليمنيين وأثقلوا كاهلهم بالضرائب الاضافية ٠ وقد ألغى عمر بن عبد العزيز هذه الضرائب الاضافية ولم يلبث أن أعيد فرضها بعد وفاته ، مما أدى الى بعض الثورات في بداية القرن الثاني الهجري ولكنها قمعت بشدة وعنف ٠ وقد كان الثوار من

---

١) باستثناء فترة قصيرة جدا لا تزيد على بضعة اشهر كان الوالي فيها مسعود بن عوف الكلبي وكان ذلك عام ١٠٦ هـ ٠

الخوارج ولكن المصادر لا تذكر الفرقة التي ينتمون اليها (٢) • وربما كانوا من الاباضية الذين اختاروا الشراء على القعود والانتظار • وجدير بالذكر أن الاباضية في مرحلة الكتمان كانوا يجيزون الشراء اذا اتفقت طائفة منهم لا يقل عددها عن أربعين رجلا على اعلان الثورة شريطة أن يختاروا لأنفسهم اماما من بينهم يدعى امام الشراء ، ويقودهم في عصيان مسلح ضد السلطة القائمة كما فعل مرداس بن أدية وأصحابه الذين ثاروا على الشراء في عام (٦١ هـ وقتلوا جميعا (٣) •

في ظل هذه الظروف كان الدعاة الاباضية يجوبون المنطقة يدعون الى مذهبهم ويؤلبون السكان ضد الحكم القائم • وتولى الدعوة في حضرموت واليمن بعض الأشخاص المشهورين بالعلم من أهل البلاد الذين يتمتعون بالعصبية القوية والكلمة النافذة ، وعلى رأسهم عبد الله بن يحيى المشهور بطالب الحق والذي ينتمي الى قبيلة كندة الحضرمية القوية ، ووائل الحضرمي وهو من مشاهير علماء الاباضية البارزين ومن تلاميذ أبي عبيدة النجباء • ولا تسعفنا المصادر المتوافرة في تحديد الوقت الذي وصلت فيه الدعوة الاباضية الى تلك المناطق ، ومن المحتمل أنها تسربت الى تلك البقعة في وقت مبكر وخاصة أن أئمة الاباضية في البصرة قد أعاروا المناطق النائية الواقعة على اطراف الامبراطورية الاسلامية عناية خاصة (٤) •

تزعم الدعوة الاباضية في حضرموت طالب الحق السالف الذكر الذي يبدو أنه كان يتمتع بمؤازرة قبيلته كندة • وأصبحت السند القوي للدعوة الاباضية في تلك المنطقة • وقد ساعدت الأحوال السيئة التي كان يعاني منها السكان المهمة التي كان يقوم بها طالب الحق وأعوانه من أهل دعوته • وتؤكد المصادر السنية والاباضية والشيعية على رغبة الناس في التخلص من عسف الولاة الثقفيين الذين حكموا البلاد بيد من حديد وبروح قبلية حاقدة مخالفة للمبادىء الاسلامية (٥) •

وتدعي بعض المصادر السنية أن طالب الحق لم يكن اباضيا في الاصل (٦) •

---

٢) بلاذرى ، **انساب** ج٢ص ١٨٠، ٢٦٢—٢٦٣ •

٣) انظر فوق ، ص ٧٠

٤) في الواقع ان نشاط الدعاة في الفترة السرية قد تركز في المناطق البعيدة عن مركز الخلافة مثل اليمن وعمان والمغرب •

٥) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢، ص ٣٧٣، ابو الفرج ، **الاغاني** ، ج٢، ص ٩٧—٩٨ • الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٣٤ ، الدرجيني ، ورقة ١١٠ •

٦) الازدى ، ص ٧٧ ، الطبرى ، س ٢، ص ١٤٩٢—١٤٩٣، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٣٥١ •

انما التقى عرضا في موسم الحج عام ١٢٨ هـ ، بأبي حمزة الشاري الذي كان يدعو لمذهب الاباضية فأعجب طالب الحق بدعوة أبي حمزة ودعاه الى مرافقته الى حضرموت ففعل ٠ وهناك بايع أبو حمزة طالب الحق بالخلافة ودعا معه الى محاربة مروان الثاني ، اخر خلفاء بني أمية ٠ وأغلب الظن أن هذه الرواية غير صحيحة للأسباب التالية : ـ

١ ـــ جرت العادة عند مشايخ الاباضية في البصرة أن لا يعينوا أحد أتباعهم اماما أو رئيسا لدعوتهم الا بعد تدريب دقيق واعداد كاف ٠ ومن غير المحتمل أن يبايع أبو حمزة ، المختار بن عوف الازدي ، لطالب الحق بالخلافة لمجرد التقائه به في مكة ولمدة قصيرة جدا ٠ أضف الى ذلك أن أبا حمزة نفسه لم يكن الا داعية فقط لا يخرج عن أوامر وارشادات أئمته في البصرة ٠ فمن غير المعقول أن ينفرد بمثل هذا الأمر الخطير ويبايع لشخص لم يكن له ماض عريق في الدعوة دون الرجوع الى مركز الدعوة في البصرة ٠ وخاصة أن المصادر الاباضية لا تصنف أبا حمزة مع رؤساء الاباضية البارزين الذين لهم الحق في اتخاذ مثل هذه القرارات الحاسمة دون التشاور مع الأئمة والمشايخ في البصرة ٠

٢ ـــ أن التقاء طالب الحق بأبي حمزة المختار بن عوف الأزدي في موسم الحج غير كاف لأن يجعل من طالب الحق عالما وفقيها وعارفا بأصول المذهب الاباضي ٠ وهذه شروط ضرورية يجب أن تتوافر في الشخص المبايع له ٠

٣ ـــ أن المصادر الاباضية وبعض المصادر الأخرى تجمع على أن المختار بن عوف الأزدي ومن قدم معه من اباضية البصرة قد أرسلوا الى حضرموت من قبل أبي عبيدة لمساعدة طالب الحق الذي كان آنذاك اباضيا ويدعو للمذهب في حضرموت قبل وصول أبي حمزة ومن معه من الرجال المحملين بالسلاح والمال ٠ ولم يصل أبو حمزة الى حضرموت الا بعد أن أشار طالب الحق على أبي عبيدة بأن الوقت قد حان لاعلان الثورة ، فسمح له أبو عبيدة بذلك ثم أرسل اليه المعونة البشرية والمادية وعلى رأسها أبو حمزة السالف الذكر (٧) ٠

٤ ـــ لقد جرت عادة الاباضية منذ وقت مبكر أن لا يبايعوا لأحد بالامامة الا اذا أشار عليهم بذلك رؤساؤهم في البصرة ، أو بموافقة ستة من علماء الاباضية المعروفين بالعلم الغزير والفهم الكبير ، تقليدا لما فعله عمر بن الخطاب عندما عين ستة من كبار الصحابة لاختيار واحد منهم خليفة للمسلمين ٠ وبما أن الامر الأخير لم يحدث فان الأول هو الذي حدث بالفعل

---

٧) الدرجيني ، ورقة ١١٠ ، الازكوي ، ورقة ٢٧٠ ، بلاذري ، أنساب ، ج٢، ص ٣٧٣ ٠

وأن طالب الحق كان مرسلا من عند اباضية البصرة ٠

تبعا لما تقدم فان الباحث يعتقد أن طالب الحق كان في الأصل اباضيا وكان يدعو لمذهبه سرا في حضرموت حتى لا يتعرض لأذى من الولاة القيسيين هناك ٠ ولذلك فان المصادر غير الاباضية قد أغفلت ذكره قبل اعلان ثورته عام ١٢٩ هـ وخاصة أن تلك المصادر كانت تجهل التنظيم الاباضي في تلك المرحلة وفي تلك المنطقة ٠ وأول اشارة في المصادر غير الاباضية عن نشاط طالب الحق ،الداعية في حضرموت ، ترد عندما أرسل طالب الحق الى أبي عبيدة يخبره بالظلم الذي حل بالناس على أيدي الولاة ٠

وعلى أية حال فيبدو أن رسالة طالب الحق جاءت في الوقت المناسب والدولة الأموية كانت في طريقها الى الانهيار في أواخر العقد الثالث من القرن الثاني الهجري ٠ ولذا فان أبا عبيدة قد أمر صاحبه في حضرموت بالتحرك في أسرع وقت ممكن وكتب اليه يقول : « ان استطعت أن لاتقيم يوما واحدا فافعل ، فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، وانك لا تدري متى يبلغ اجلك ، ولله خيرة في عباده ، يبعثهم اذا شاء لنصر دينه ، ويخصهم بالشهادة اكراما لهم بها » (٨)٠ وأوصاه أيضا بالسيرة الحسنة والسلوك الطيب ، وقال: «اذا خرجتم فلا تغلوا ولا تعتدوا ، واقتدوا بأسلافكم الصالحين ، واستنوا بسنتهم ، فقد علمتم انما أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم » (٩)٠ ثم بعث أبو عبيدة ومشايخ الاباضية في البصرة بالمال والسلاح معونة لطالب الحق كما سار اليه بعض اباضية البصرة لمساعدته وعلى رأسهم المختار بن عوف الأزدي المعروف بأبي حمزة الشاري ، وبلج بن عقبة وغيرهم (١٠) ٠ ولا تشير المصادر الى عدد الاباضية الذين قدموا من البصرة لمساعدة طالب الحق ٠ ويبدو من الروايات أن عددهم لم يكن قليلا ٠ فالمدائني (١١) يذكر أن أبا حمزة المختار بن عوف وبلج ابن عقبة قد قدما في رجال من الاباضية لنصرة اخوانهم في العقيدة ٠ أما رواية الأزدي فتعتبر أكثر وضوحا في اشارتها الى كثرة عدد اباضية البصرة الذين اشتركوا في حركة طالب الحق اذ تشير الرواية الى أن الاباضية « اجتمعت الى طالب الحق ، وجاء اليه خلق من أهل البصرة » (١٢) ٠ وقد بالغ خليفة ابن خياط عندما أورد رواية ذكر فيها أن عامة جيش طالب الحق كان من أهل

---

٨) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٢ ، ابو الفرج ، **الاغاني** ، ج٢٠ ، ص ٩٧، الازكوى ،ورقة ٢٧٠.

٩) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧١ ، الرقيشي ، **مصباح الظلام** ورقة ٣٢ ، ابو الفرج ، **الاغاني** ، ج٢، ص٩٧ ٠

١٠) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٣ ٠ ابو الفرج ، **الاغاني** ، ج٢ ، ص ٩٧ ، الدرجيني ، ورقة١١٠، الازكوى ، ورقة ٢٧٠–٢٧١ ٠

١١) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٣ ، (عن المدائني) ٠

١٢) الازدي ، ص ٧٧ ٠

البصرة (١٣)٠وأياكان الصحيح في هذه الروايات فانها كلهاتؤكدعلىأنمجموعة من اباضية البصرة ، يقودهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ، قد هبوا لمساعدة اخوانهم في حضرموت ٠

بدأ طالب الحق ثورته في عام ٧٤٦/١٢٩ م بالاستيلاء على حضرموت دون مقاومة تذكر ٠ وقبض على واليها ، ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، وزج به في السجن ٠ ولم يلبث أن أطلق سراحه ولحق بسيده القاسم بن عمر الثقفي في صنعاء (١٤) ٠ ويبدو أن الاباضية قد أطلقوا سراحه ليظهروا للناس مدى تسامحهم وعدم تعطشهم لسفك الدماء وتعذيب الناس ٠ والاهم منذلك أن الاباضية أرادوا كسب ود قبيلة كندة التي ينتمي اليها الوالي المذكور ٠ وكان معظم انصار طالب الحق في البداية من بين رجال هذه القبيلةالحضرمية٠ بعد الاستيلاء على حضرموت وطرد واليها قام الاباضية بدعاية نشطة لحركتهم بين القبائل العربية وانضم اليهم عدد كبير من الناس وجمع كثير (١٥) ٠ ولعل مبايعته بالامامة قد جرت في تلك الفترة ولقبه أصحابه طالب الحق ٠ بعد ذلك قرر السير الى صنعاء وكتب الى من كان بها من الاباضيين يستنهض هممهم ويطلب منهم الاستعداد واليقظة التامة ويخبرهم بأنهقادم عليهم (١٦)٠ ثم استخلف عبد الله بن سعيد الحضرمي على حضرموت وسار على رأس ألفين من أصحابه متوجها الى صنعاء (١٧) ٠

ولما علم الوالي الثقفي بأنباء سير الاباضية اليه أخذ يستعد للقائهم وجمع جيشا ضخما يصفه البلاذري بأنه « كان ذا عدد كبير وعدة ظاهرة » (١٨) ٠ بينما تذكر مصادر أخرى أن عدد هذا الجيش بلغ ثلاثين ألف رجل (١٩) ٠ وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في عدد هذا الجيش الا أنه بالتأكيد كان أكثر عددا وعدة من الجيش الاباضي ٠

قرر القاسم الثقفي ملاقاة الجيش الاباضي خارج صنعاء ٠ ويبدو أنه كان معتدا بقوته وعسكره الكثير ولم يتخذ الاجراءات والخطط الكفيلة بنجاح

---

١٣) خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢ ، ص ٥٨٢ ٠
١٤) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٣ ، الازدى ، ص٧٧ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢ ، ٥٨٢٠
١٥) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٣ ٠
١٦) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٣ . ابو الفرج ، **الاغاني** ، ج ٢ ، ص٩٧ ٠
١٧) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢،ص٣٧٣ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ج٢ ، ص ٥٨٢ ، يذكر الشماخي أن عددهم كان ١٦٠٠ رجل فقط . انظر الشماخي ، **سير** ، ص٩٩ ٠
١٨) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٣ ٠
١٩) خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢ ، ص ٥٨٢—٥٨٣ ، الازدى ، ص ١١٠ ، شماخي ، **سير** ، ص ٩٩٠

حملته فهزم وعاد الى صنعاء حيث لحق به طالب الحق وهزمه مرة أخرى . فهرب مع بعض جنده الى بلاد الشام واستولى الاباضية على المدينة (٢٠) . وتشير المصادر ، سنية واباضية وشيعية ، الى أن طالب الحق وأعوانه الاباضية قد عاملوا السكان معاملة حسنة ولم يتعرضوا لأحد بأذى (٢١) . وتورد بعض المصادر (٢٢) الخطبة التي القاها طالب الحق في أهل صنعاء والتي تبين بوضوح بعض آراء الاباضية في تلك الفترة المبكرة ، وقد خير الناس فيها بين ثلاث خصال أيها شاءوا فليأخذوا بها : ـ

١ ـ أن يتبنوا الأفكار والاراء الاباضية ويجاهدوا مع أتباعها ، وفي هذه الحالة يتساوون في الحقوق والواجبات مع اخوانهم الذين سبقوهم الى هذا الامر ، « ويكون لهم من الأجر ما لأفضلهم ومن قسمة الفيء ما لبعضهم » .

٢ ـ من قال بقولهم ولم يجاهد معهم فعليه أن يدعو الى هذا الرأي بقلبه ولسانه . ولم تذكر الخطبة حقوقا معينة لمثل هؤلاء الأتباع .

٣ ـ أن يلزم من لا يقبل هذين الشرطين الحياد على الرغم من معارضته للمباديء الاباضية . وفي هذه الحالة لن يتعرض له احد بأذى . وهذا ما عبر عنه طالب الحق بقوله : « ومن كرهنا فليخرج بأمان الى ماله وأهله ، ويكف عنا يده ولسانه . فان ظفرنا لم يكن عرض لنا نفسه . ولم يحملنا على سفك دمه (٢٣) .

وحتى يتقرب من الناس ويؤلف قلوبهم فقد قام طالب الحق بتوزيع ما استولى عليه من خزائن وأموال بين الناس في صنعاء وخاصة الفقراء منهم (٢٤) . وبقي في صنعاء عدة أشهر يسوس الناس بالعدل، ويدعو الى آرائه ومبادئه بالمعروف والموعظة الحسنة حتى « كثر جمعه وأتوه (الناس) من كل وجه » (٢٥) . وفي موسم الحج من عام ١٢٩ هـ بعث طالب الحق قائده المشهور المختار بن عوف الأزدي المعروف بأبي حمزة الشاري ، يرافقه بلج بن

---

٢٠) بلاذرى ، **أنساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٤، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ٢ ص ٥٨٣، شماخي ، سير ، ص٩٩، الازكوى ، ورقة ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

٢١) بلاذرى ، **أنساب** ، ج٢ص ٣٧٤ ، شماخي ، **سير** ، ص ٩٩ ، أبو الفرج ، **الاغاني** ، ج٢ ، ص٩٨.

٢٢) بلاذرى ، ج٢ ، ص ٣٧٤ ، الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٣٤ .

٢٣) بلاذرى ، **أنساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٤ .

٢٤) شماخي ، **سير** ، ص ٩٩ .

٢٥) بلاذرى ، **أنساب** ، ج٢ ، ٣٧٥ .

عقبة وأبرهة بن الصباح الحميري ، على رأس قوة عسكرية الىمكةللاستيلاء عليها • وأصدر أمره بأن يتوجه بلج بن عقبة بعد ذلك الى الشام لمحاربة مروان الثاني واسقاط الخلافة الاموية لتحل محلها الامامة الاباضية (٣٦) •

وافى أبو حمزة الشاري مكة في موسم الحج وانضم اليه اباضية الحجاز بزعامة الفقيه والداعية الاباضي ، أبي الحر علي بن الحصين ، الذي كان يدعو للاباضية سرا في الحجاز ويعقد مجالسه الخاصة لهذا الغرض يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع • ويقدر عدد أتباعه الذين انضموا الىجيش أبي حمزة الشاري نحو ٤٠٠ رجل (٣٧) •

فوجيء والي الحجاز آنذاك ، عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، بظهور الاباضية على جبل عرفات في الوقت الذي كان الحجيج يؤدون مناسكهم على نفس الجبل (٣٨) • ولم يجد عبد الواحد بدا من التفاوض معهم وخاصة أنه لم يكن مستعدا من الناحية العسكرية لمثل هذا الحدث في تلك الظروف • واتفق الطرفان ـ بعد تبادل الوفود ـ على أن يتجنب الفريقان الصدام في أيام الحج وأن يترك عبد الواحد مكة ويخليها الى أبي حمزة الشاري فور الانتهاء من آداء مناسك الحج • وفعلا خرج عبد الواحد من مكة في العاشر من ذي الحجة عام ١٢٩ هـ ودخل الاباضية مكة بدون قتال (٣٩) • ثم سار أبو حمزة الىالطائف واستسلمت له دون عناء ، وأمن الناس على حياتهم وأموالهم وأعلن انه لن يتعرض لأحد بأذى الا اذا بدأهم بالعدوان (٣٠) • أثناء ذلك كتب الوالي عبد الواحد بن سليمان الى الخليفة مروان الثاني يخبره بالغزو الاباضي للحجاز ويعتذر له عن خروجه من مكة المكرمة • فغضب الخليفة وعزله عن الولايةوعين بدلا منه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وأمره أن يعد العدة ويحزم أمره لاسترجاع مكة من أيدي الاباضية • وامتثل عبد العزيز لأمر الخليفة وجهز جيشا قوامه ثمانية آلاف رجل جلهم من قريش والأنصار وبعض التجار

---

٣٦) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص٣٧٥ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢،ص٥٨٣ ، شماخي ، **سير** ، ص٩٩ .
تختلف المصادر حول عدد الجيش الذي قاده ابو حمزة الشارى وتتراوح الارقام التي توردها بين ٧٠٠و١٠,٠٠٠ رجل . ومن الصعب على المرء ان يقرر ، في ضوء هذا التناقض الكبير ، عدد جند ابي حمزة . ويبدو لي ان عدده لم يكن قليلا والا فكيف يرسله طالب الحق للاستيلاء على الحجاز ويأمر احد قواده بالتوجه الى بلاد الشام ومحاربة الامويين في عقر دارهم ؟

٣٧) الدرجيني ، ورقة ١١٠ ــ ١١١ ، شماخي ، **سير** ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

٣٨) بلاذرى ، **أنساب** ، ج٢ ،ص٣٧٥ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ج٢ ، ص ٥٨٣ . الدرجيني ، ورقة ١١١ .

٢٩) بلاذرى ، **أنساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٥ ، الطبرى ، ج٧،ص٣٧٥ ، الدرجيني ، ورقة ١١١ .

٣٠) بلاذرى ، **أنساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٥ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢ ص ٥٩٢ .

الذين لا علم ولا دراية لهم بالحرب وفنونها ٠ وجعل قيـــادة هـــذا الجيش لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ٠ وبذلك لم يكن موفقا في اختيار عناصر الجند ولا في اختيار القائد الذي ينتمي الى عثمان بن عفان الذي يعتبره الاباضية ظالما مخالفا تجب البراءة منه (٣١) ٠

التقى الاباضية مع الجيش الاموي في معركة قديد في صفر من عام ١٣٠ هـ ٠ وانتهت المعركة بهزيمة الجيش الاموي وأهل المدينة بعد أن فقدوا كثيرا من رجالهم (٣٢) ٠ وعلىغيرعادةالاباضيةفقدقام أبو حمزة الشاري بقتل الأسرى القرشيين بينما أطلق سراح الاخرين من الأنصار والقبائل الأخرى (٣٣) ٠ ولعل سبب ذلك يعود الى التنافس القبلي الذي ظهر منذ فترة مبكرة بين القبائل العربية وقريش التي احتكرت السلطة لنفسها منذ وفاة الرسول صلى اللـه عليه وسلم ٠ وهذا يخالف مبدأ الاباضية في الامامة الذي لا يعير اهتماماالنسب الخليفة العرقي أو القبلي (٣٤) ٠

وصلت أنباء معركة قديد ودخول الاباضية المدينة المنورة الى أسمـــاع الخليفة مروان الثاني الذي قرر أن يضع حدا لانتصارات الاباضيةبانفاذجيش شامي لقتالهم ٠ فجمع أربعة آلاف من أشجع رجاله وأعطى لكل منهم فرسا وبغلا لحمل ثقله ومائة دينار زيادة على عطائه ٠ وكان معظم الجيش يتكون من القبائل القيسية ٠ وبذلك أراد مروان أن يضرب الاباضية ومعظمهم مـــن القبائل اليمانية برجال من القبائل القيسية الموالين لبني مروان (٣٥) ٠

سار الجيش الشامي الاموي يقوده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي القيسي صوب الحجاز ٠ ولما علم الاباضية بذلك أرسل أبو حمزة قائده بلـج

---

٣١) بلاذرى ، انساب ، ج٢ ، ص ٣٧٧—٣٧٨ ٠

٣٢) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٧٨ ، خليفة بن خياط ، تاريخ ج٢ ، ص ٥٩٢ — ٥٩٣ ، ابنالاثير ، ج٢ ، ص ٣٨٨—٣٨٩ ، الدرجيني ، ورقة ١١٠ ، شماخي ، **سير** ، ص ١٠٠—١٠١ ، الازكوى ، ورقة ٣٧١ ٠

٣٣) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ،ص ٣٧٨ ٠

٣٤) من نظرية الاباضية في الامامة انظر : الشماخي ، ، **شرح مقدمة التوحيد** ، ورقة ١٦—١٧ ، الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٢٥—٢٦ ، **مختصر الخصال** ، ورقة ٧٠، ٧١، الصائغي ، ورقة : ١٨٠ ومـــا بعدها

See also Wilkinson, " The Ibadi imama, " BSOAS, Vol. 39, PP. 335 ff.
Rubinacci, "The Ibadis," Religion in the Middle East, vol. 2 p. 302 - 17.

٣٥) بلاذرى ، انساب ، ج٢ ،ص٣٧٨ ، الطبرى ، ج٧ ،ص٣٩٨—٣٩٩ ٠

ابن عقبة الأزدي لملاقاة الشاميين ٠ وتقابل الجمعان في وادي القرى وهـزم الاباضية شر هزيمة وقتل منهم عدد كبير (٣٦) ٠

وجد أبو حمزة الشاري أن لا قبل له بمواجهـة الجيش الشامي بعد هذه الهزيمة التي أصابت جنده ٠ وقرر ترك المدينة والعودة الى مكة وذلك لان أهل المدينة كانوا أكثر عداء له لما اصابهم على يده من قتل في معركة قديد ٠ اثناء ذلك تقدم الجيش الشامي واحتل المدينة وقتل من بها من الاباضية وكانوا بزعامة رجل يسمى المفضل ٠ وقد تعاون أهل المدينة والجنـد الشامي على الفتك بهم (٣٧) ٠ سار عبد الملك بعد ذلك الى مكة للقضاء على من تجمـع بها من الاباضية واشتبك معهم في عام ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م في معركة ضاريـة هزم فيها الاباضية وقتل قائدهم أبو حمزة الشاري في جماعة من زعماء أتباعه على رأسهم أبو الحر علي بن الحصين فقيه الاباضية في مكة ٠ وأسر اربعمائة اباضي أمر القائد الاموي بقتلهم جميعا ٠ وفر من تبقى من الاباضية والتحقوا بالامام طالب الحق الذي كان آنذاك يتأهب للسير للقاء اهل الشام (٣٨) ٠

خرج طالب الحق من صنعاء للقاء عبد الملك بن محمد بن عطية الذي سار بدوره الى اليمن للاستيلاء عليها بعد أن أعاد ضم المدن الحجازية الى الادارة الأموية ٠ والتقى الطرفان في مكان بين مكة وصنعاء (٣٩) ٠ وهزم الامام طالب الحق ولاقى حتفه في المعركة كما قتل عدد كبير من أتباعه ٠ وسار ابن عطية حتى أتى صنعاء وأعاد ضم اليمن لسلطان الأمويين (٤٠) ٠ ولم يلبث الاباضية أن تجمعوا حول يحيى بن عبد الله بن عمرو بن السياق الحميري الذي انتخبوه امام دفاع لهم ٠ فبعث اليهـم عبد الملـك حملة بقيادة ابن اخيه عبد الرحمن بن يزيد والتقى مع الاباضية في معركة قاسية لا تذكر المصادر موقعها ولكنها لم تنته الى نتيجة حاسمة رغم مقتل عدد كبير من الطرفين ٠ ورجع عبد الله الى صنعاء بينما التجأ يحيى بن عبد الله وأتباعه من الاباضية الى عدن ٠ فسار اليهم عبد الملك بنفسه على رأس جيش كبير ضم عددا من أهالي صنعاء الموالين للحكم الأموي ٠ وتلاقى الطرفان في أحد أودية عدن

٣٦) بلاذري ، **انساب** ، ج٢،ص ٣٨٠ ٠

٣٧) المصدر نفسه ٠

٣٨) بلاذري ، **أنساب** ، ج٢ ، ص ٣٨١ ، الدرجيني ، ورقة ١١٠ — ١١١ ، الازكوى ، ورقة ٢٧٨،٢٧٩ ، الطبرى ، ج٧ ، ص٣٩٩ ، المسعودي ، **مروج** ، ج٦،ص ٦٦—٦٧، خليفة بن خياط ، تاريخ ج٢ ، ص ٥٩٦ ،يجدر بالذكر ان خليفة بن خياط هو المصدر الوحيد الذي يعطي ارقاما كبيرة لعدد الجيش الاباضي ٠

٣٩) التقيا في تبالة وتقع في تهامة على طريق اليمن ، او في جرش وهي قريبة من مكة على الطريق الى اليمن ايضا ٠

٤٠) بلاذري ، **أنساب** ، ج٢ ، ص ٣٨١—٣٨٢ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢ ، ص ٥٩٦ ، المسعودي ، **مروج** ، ج٦ ، ص ٦٧ ، الازكوى ، ورقة ٢٧٩ ٠

حيث أوقع عبد الملك بالاباضية هزيمة منكرة وقتل قائدهم وامام دفاعهم يحيى بن عبد الله الحميري (٤١) ٠

بعد هذه الهزيمة تولى يحيى بن كرب (حرب ؟) الحميري قيادة الاباضية ولكن لم يلبث أن هزم في معركة قرب ساحل البحر العربي على أيدي القوات الاموية (٤٢) ٠ فمضت الاباضية بعد ذلك الى المناطق الداخلية من حضرموت وعلى رأسهم عبد الله بن سعيد الحضرمي الذي يبدو أنه انتخب امام دفاع لهم وانضوى تحت امرته القائد السابق يحيى بن كرب (حرب ؟) الحميري السالف الذكر (٤٣) ٠ فشخص عبد الملك بن عطية الى الاباضية أملا في القضاء عليهم في اخر معاقلهم ٠ واستعد الاباضية لهذا اللقاء المرتقب وتجمعوا من أنحاء مختلفة من حضرموت في محاولة أخيرة لحماية أنفسهم من بطش الجيش الأموي ٠ وتذكر الروايات أن جماعات من كندة ونهد وهمدان قد احتشدوا والتفوا حول عبد الله بن سعيد الحضرمي الذي اتخذ شبام قاعدة له ٠ وملأ الاباضية حصونهم بالمؤن والطعام والعتاد ، ثم ساروا للقاء الجيش الاموي خارج حصن شبام حيث دارت بين الطرفين معركة طوال النهار دون نتيجة حاسمة ٠ وأثناء الليل أرسل عبد الملك بن عطية بعض جنوده الى شبام للاستيلاء على الذخائر والمؤن التي جمعها الاباضية واستطاعت هذه القوة احتلال الحصن والاستيلاء على ما فيه من مؤن وذخائر ومنعوا من بداخله من الخروج ٠ وعلى الرغم من الموقف الحرج الذي وجد الاباضية انفسهم فيه فانهم قاتلوا بحماس وعزم في سبيل عقيدتهم لانه لا يجوز لأحد منهم الفرار الا متحيزا الى فئة ، ولم يستطع عبد الملك احراز نصر حاسم عليهم ٠ ليس هذا فحسب بل انهم استطاعوا أن يجمعوا قواهم من جديد ويواجهوا عبدالملك في ميدان القتال واضطروه للالتجاء الى أحد المواقع الحصينة حيث حاصروه مدة أربعة وعشرين يوما اضطر على اثرها لعقد صلح مع اهل حضرموت والاباضية تعهد فيه بأن « يستعمل عليهم رجلا منهم ٠ فولى حضرموت رجلا من أهلها تراضوا به ورد عليهم ما عرفوا من متاعهم (المتاع الذي استولى عليه في حصن شبام) وكتب عليهم كتابا » (٤٤) ٠ ثم سار الى مكة ليترأس موسم الحج في عام ١٣١ هـ ٠فلحق به بعض الرجال الاباضية وقتلوه وصحبه

---

٤١) بلاذرى، أنساب ، ج٢، ص ٣٨٢ ٠

٤٢) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٨٢ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢،ص ٥٩٦—٥٩٧ ٠

٤٣)بلاذرى ، **انساب** ، ج٢،ص ٣٨٢ ، يسميه عبدالله بن سعيد الحضرمي ٠ انظر خليفة بن خياط **تاريخ** ، ج٢،ص٥٩٧ ٠

٤٤) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٨٣ ، الدرجيني ، ورقة ١١٠ ٠

في الطريق ثأرا لما فعل باخوانهم وأهل دعوتهم (٤٥) • وعندما علم ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية ، وهو بصنعاء نائبا عنه في ولايتها ، بعث شعيبا البارقي على رأس جيش من اليمن معظمه من الرجال « القساة الأجلاف » الذين جمعهم من جبال اليمن • فقدموا حضرموت وأعملوا السيف في أهلها وخاصة الاباضية منهم وقتلوا عبد الله بن سعيد الحضرمي في اوائل عام ١٣٢ هـ (٤٦)• وبهذه الموقعة قضي على الامامة الاباضية في اليمن وحضرموت • وعاد من بقي من الاباضية هناك الى مرحلة الكتمان • ولكن بعضهم كان يشتد به الحماس أحيانا ويقوم بالثورة محبذا بذلك الشراء والموت في سبيل عقيدته كما حدث فيما بعد عندما بايع جماعة منهم شخصا اسمه حسن على أن يكون امام شراء لهم يقودهم ضد الولاة العباسيين (٤٧) • وعلى أية حال فان الهزائم التي مني بها الاباضية في تلك المنطقة لم تضع حدا للوجود الاباضي فيها • وتشير المصادر الى أنهم بقوا أغلبية السكان حتى وقت متأخر • ويذكر المسعودي أن الاباضية كانوا حتى عام ٣٣٢ هـ يكونون أكثرية سكان حضرموت « ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج » أي الاباضية (٤٨) • وقد بقيت العقيدة الاباضية سائدة في بعض أنحاء حضرموت حتى أخذت تتلاشى تدريجيا بعد استيلاء الصليحي على بلاد حضرموت عام ٤٥٥هـ (٤٩) •

---

٤٥) **بلاذرى** ، **انساب** ، ج٢ ، ص ٣٨٣ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ** ، ج٢ ، ص ٥٩٧ ، الدرجيني ،ورقة ١٠٩—١١٠ •

٤٦) بلاذرى ، **انساب** ، ج٢،ص ٣٨٣ •

٤٧) الدرجيني ، ورقة ١٠٥ ، ١٠٦ •

٤٨) مسعودي ، **مروج** ، ج٦ ،ص ٦٧ •

٤٩) صالح بن حامد العلوى ، **تاريخ حضرموت** ، ج١ ، ص ٢٦٩ •

الباب السابع

الفصل الثاني

تأسيس الامامة في عمان

ان المصادر المتوافرة لا تسعفنا في الحصول على معلومات أكيدة موثوقة عن تاريخ تسرب الافكار الخارجية بشكل عام والاباضية بشكل خاص الى عمان. وتشير المعلومات الى أن أهل عمان قد عارضوا الأفكار الخارجية المتطرفة منذ وقت مبكر ، فقد أرسل نجدة بن عامر الحنفي عام ٦٧هـ / ٦٨٦ م قائدة عطية ابن الأسود الحنفي لضم عمان لدولته التي أقامها في منطقة اليمامة وشرقي الجزيرة العربية . وكان يلي عمان انذاك عباد بن عبد الله بن الجلندى ويساعده في ادارة دفة الحكم هناك ولداه سعيد وسليمان . وقد استطاع عطية احتلال عمان واضطر حكامها الى الانسحاب الى المناطق الداخلية منها . وبقي فيها بضعة أشهر عاد بعدها الى اليمامة مستخلفا على عمان أحد أعوانه ويدعى أبو القاسم . ولكن العمانيين تجمعوا من جديد حول سعيد وسليمان ولدي عباد واستطاعوا قتل أبي القاسم والقضاء على أتباعه واعادة الأمر الى ولدي عباد . وأثناء ذلك حدث خلاف بين نجدة بن عامر وقائده عطية ابن الأسود الحنفي . على أثره ترك الاخير نجدة وسار الى عمانولكنه فوجيء بالتطورات التي حدثت هناك وبقتل أعوانه فيها . وحاول دخول عمان مرة أخرى ولكنه اصطدم بمقاومة عنيفة اضطر على أثرها الى التوجه الى كرمان حيث أقام فترة من الوقت لاقى فيها نجاحا ملحوظا حتى أنه ضرب نقودا باسمه عرفت بالدراهم العطوية (١) . وتشير هذه المعلومات بوضوح الى عدم تقبل العمانيين لأفكار الخوارج المتطرفين . ولكنهم في الوقت نفسه كانوا على صلة بأفكار الخوارج القعدة المعتدلة ، فقد حبس الحجاج في بداية ولايته للعراق عام ٧٥ هـ عمران بن حطان الذي كان يعتبر آنذاك أحد زعماء القعدة في البصرة والمناظر باسمهم . ولم يلبث الحجاج أن أطلق سراحه فترك عمران العراق وأخذ يتنقل بين قبائل العرب وانتهى به المطاف في عمان حيث نزل في قبائل الأزد هناك ووجدهم يعظمون أبا بلال مرداس بن أدية ويعتنقون أفكاره التي نادى بها . فأظهر أمره بينهم وبقي هناك حتى مات (٢) . وهذا يدل

---

١) بلاذرى ، انساب ، ج١ ، ص ١٣٤–١٣٥ ، ابن الاثير ، ج٤ ، ص١٦٧ ،
Miles, " Some new light on the history of Kirman" ,W. O.I (1959), P. 90.

٢) الدرجيني ، ورقة ٩٧ — ٩٨ .

على أن الافكار المعتدلة التي كان ينادي بها القعدة ، رواد الاباضية الأوائل، قد تسربت الى تلك البلاد ولاقت استحسانا وقبولا من السكان هناك وخاصة من الأزد · ولكن المصادر لا تذكر كيف وصلت هذه الاراء والافكار الى تلك المنطقة · ولعلها وصلت عن طريقين : الاول التجارة حيث كانت العلاقات التجارية بين البصرة ـ مقر القعدة ـ وبين عمان وثيقة جدا · ولا شك أن هذه العلاقة قد ساهمت في نقل الافكار الى تلك البقعة من العالم الاسلامي · أما القناة الثانية التي تسربت عبرها أفكار القعدة الى عمان فكانت مواسم الحج، حيث كانت الفرق على اختلافها ، ومن بينها قعدة الخوارج يتخذون من هذا الموسم فرصة نافعة لنشر أفكارهم ومبادئهم لدى الحجيج من مختلف الولايات الاسلامية ·

ومن المحتمل أن وصول عمران الى تلك المنطقة واظهار أمره هناك قد ساعد في نشر هذه الأفكار ولا سيما أن عمران كان شاعرا موهوبا وخطيبا بليغا وظف هذه المواهب في سبيل خدمة مبادئه · وربما كان عمله هذا ارهاصا للنشاط الذي قام به جابر بن زيد الأزدي ، الذي نفاه الحجاج الى عمان قبل عام ٩٣هـ · وقد استطاع جابر القيام بدعاية نشطة لمذهبه بين أهله وعشيرته من الازد ، وفي موطنه الأصلي ومسقط رأسه · وكان لهذا الحدث أثر كبير في تدعيم نشاط الاباضية ونشر عقيدتها هناك · وقد رأينا في الصفحات السابقة أن القضية الاباضية منذ عهد جابر بن زيد قد اضحت قضية الأزد ليس في العراق فحسب بل في المناطق الأخرى ومنها عمان (٣) · وتشير المصادر الى عدد كبير من قادة الاباضية ومشايخها من أصل عماني وكان لهم دور بارز في تطور الحركة واستمرار نشاطها ، نذكر منهم على سبيل المثال : المختار بن عوف الأزدي العماني المعروف بأبي حمزة الشاري ، وبلج بن عقبة الأزدي وصحار العبدي وهلال بن عطية العماني والربيع بن حبيب الفراهيدي وأبا سفيان محبوب بن الرحيل ، وقد تزعم الأخيران على التوالي حركة الاباضية في البصرة بعد موت الامام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (٤) ·

وعندما توفي جابر بن زيد عام ٩٣ هـ وتزعم أبو عبيدة الحركة الاباضية استفاد الاخير من هؤلاء العمانيين واختار منهم عددا من الأشخاص ليكونوا دعاة أو حملة للعلم ـ كما تسميهم المصادر الاباضية ـ في عمان · وبعد أن تلقوا تدريبا دقيقا ونهلوا علما غزيرا من مدرسة أبي عبيدة التي أعدها سرا لتخريج الدعاة وتثقيفهم في أمر الدعوة ، عادوا الى بلادهم وأخذوا على عاتقهم

---

٣) انظر الباب الخامس ·

٤) الدرجيني ، ورقة ٩٩،١٠٥ــ١٠٦،١٠٩ــ١١٥،١١٧ ·

نشر العقيدة الاباضية بين قبائلهم وفي أماكن سكناهم واستقرارهم • وقد تكللت جهودهم بنجاح كبير • (٥) ويعود سبب هذا النجاح الى عدة عوامل يمكن اجمالها فيما يلي : —

١ — أن معظم حملة العلم كانوا ينتمون الى قبيلة الأزد وبطونها المختلفة ، وكانت هذه القبيلة أكبر قبائل عمان عددا وأهمها من الناحيتين الفكرية والسياسية • وكان زعماء عمان منذ فترة ما قبل الاسلام ينتمون الى هذه القبيلة ولذا فان تأثيرها في ذلك القطر يفوق ما عداها من القبائل الاخرى • وكانت هذه القبيلة متعاطفة مع المباديء والافكار الاباضية منذ وقت مبكر • ولا عجب أن يلقى حملة العلم تأييدا وانتصارا لدعوتهم من أفراد هذه القبيلة • (٦)

٢ — رغبة العمانيين المستمرة في الاستقلال عن السلطة المركزية المتمثلة بالخلافة الاموية ثم العباسية فيما بعد • ولذا فانهم تبنوا العقيدة الاباضية واتخذوا منها ذريعة ووسيلة لمقاومتهم للخلفاء الأمويين ثم العباسيين الذين اعتبرهم الاباضيون ظالمين غاصبين للحكم ، وبالتالي فان سلطتهم غير شرعية •

٣ — لقد ساعدت الاحوال السياسية السائدة في عمان على نشر الأفكار الاباضية بدون مشقة ، اذ توالى على حكم ذلك القطر منذ بداية القرن الثاني الهجري ولاة ينتمون الى قبيلة الأزد ، كبرى قبائل عمان • ولم يكن من السهل على هؤلاء الولاة التعرض بأذى للاباضية هناك لأنهم بذلك يثيرون غضب أقاربهم الأزديين ونقمتهم ، ولذلك فانهم تركوا حملة العلم ينشرون مذهبهم بحرية ويسر ، بل انهم قدموا لهم التسهيلات لهذا الغرض • ولعل هؤلاء الولاة كانوا اباضية ولكنهم اخفوا معتقدهم على سبيل التقية الدينية التي جوزها الاباضية في مرحلة الكتمان • ومن هؤلاء الولاة الذين تعاقبوا على حكم عمان زياد بن المهلب الذي بقي واليا منذ بداية القرن الثاني الهجري وحتى سقوط الدولة الأموية • ثم جناح بن قيس الهنائي وابنه محمد • وتشير المؤلفات الاباضية بصراحة الى أن هؤلاء الولاة قد أعانوا الاباضيةولانوالهم حتى صارت ولاية عمان لهم فعقدوا الامامة للجلندى بن مسعود • (٧)بالاضافة

---

٥) العوتبي ، ورقة ١٩٢،١٠٧ ، الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٣٠—٣١ ، المليش ، **الامكان** ، ص ١٠٨—٩١٠ •

٦) المليش ، **الامكان** ، ص ٨—١١ •

٧) الازكوى ، ورقة ٣٢٧ — ٣٢٨ ، العوتبي ، ورقة ١٦٧—١٦٨ ، السالمي ، **تحفة** ، ج١ ، ص ٨٨ •

الى هذه الأحوال الدالخية التي كانت مواتية لنشر المذهب الاباضي فقد ساعدت الأحوال السائدة في الثلث الاول من القرن الثاني الهجري في الولايات المركزية والصراع القائم على السلطة في اتاحة الفرصةللاباضية لنشر معتقدهم بحرية في الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية ٠

٤ — أضف الى ذلك أن طبيعة عمان الجغرافية وموقعها الاستراتيجي على الخليج والبحر العربي قد ساعداها على تنمية مواردها الاقتصادية عن طريق التجارة ، واستطاع العمانيون بالتالي الوقوف في وجه أي خطر دون خوف من حصار اقتصادي محتمل كما كان يحدث في الحجاز مثلا٠بالاضافة الىذلكفانالجبالالوعرة التي تميزت بهاعمان قدساعدالدعاة ،ومن ثم الثوار ، على الوقوف في وجه الخطر والالتجاء الى هذه الجبال في أوقات الضرورة ، ومن هنا فان سلطة الخلافة كانت تنحصر في معظم الاحيان في المنطقة الساحلية ٠

نتيجة لهذه العوامل فقد اثمرت جهود حملة العلم بسرعة في نشر المذهب الاباضي في عمان وأصبح معظم أفراد قبيلة الأزد هناك ينتمون الى هذهالفرقة كما أن أفرادا كثيرين من قبائل أخرى قد انضموا اليها ٠ وقد أشار مشايخ الاباضية في البصرة على اباضية عمان بوجوب التعاون مع اباضية حضرموت وتشير الروايات الى أن بعض قادة الاباضية في عمان حضروا بيعة الامامطالب الحق وعلى رأسهم الجلندى بن مسعود الذي اختير فيما بعد ليكون أول امام ظهر في عمان كما سنرى ٠ وبايعاز من أبي عبيدة ، امام الاباضية في البصرة، فقد اشترك عمانيون آخرون في الثورة مع طالب الحق ولاقى بعضهم حتفه وهو يحارب أعداءها ، ومن أبرزهم المختار بن عوف الأزدي العماني المعروف بأبي حمزة الشاري وكذلك بلج بن عقبة الازدي وآخرون (٨) ٠

اثر الفشل الذي انتهت اليه الحركة الاباضية في حضرموت واليمن بعداخماد ثورة طالب الحق فقد توجهت أنظار الاباضية في البصرة والجزيرة العربية الى عمان لتكون المركز الذي ينطلق منه صوت الدعوة العلني ٠ وذلك لأن عمان كانت مؤهلة للقيام بهذه المهمة بحكم ظروفها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي تكلمنا عنها آنفا ، وكذلك بحكم ولاءات أهلها المذهبية والتي تدين في معظمها للمذهب الاباضي ٠ ولذلك أوعز مشايخ الاباضية في البصرة الى اتباعهم في عمان للقيام باعلان الامامة ، مستغلين الظروف العامة التي سادت في بلاد الخلافة الاسلامية اثر سقوط الدولة الاموية وقيام الخلافة العباسية عام ١٣٢ هـ ٠ وفي العام نفسه أعلن الاباضية في عمان مبايعتهم

---

٨) السالمي ، تحفة ، ج١ ص٨٨ ، (عن أبي الحسن البتسياني) ، الحارثي ص ٢٥٣ ٠

للجلندى بن مسعود أول امام ظهور اباضي في تلك المنطقة ، معتبرين هـذا العمل الخطوة الشرعية الاسلامية الصحيحة للخروج من متاهات الصراعات القبلية والاسرية على الحكم ، ووجهوا النداء لبقية المسلمين لمبايعة الامام الجلندى كخليفة للمسلمين (٩) ٠

وطبيعي أن لا يغفل العباسيون عما يجري في ذلك القطر وخاصة أن أيـة قوة معادية تسيطر عليه سوف تهدد طرق تجارتهم البحريـة الى الشرق الأقصى بالانهيار التام نظرا لموقع عمان الاستراتيجي على مدخل الخليج ٠ وتبعا لذلك فان العباسيين لم يسكتوا طويلا على هذا الوضع ٠ وفي عام١٣٤هـ ، أي بعد عامين فقط من مجيئهم الى الحكم ومن تنصيب الجلندى اماما ، وجه العباسيون حملة عسكرية الى عمان وزودوا قائدها خازم بن خزيمة التميمـي بتعليمات واضحة للقضاء على الخوارج الصفرية الذين تجمعوا في جزيرة ابن كاوان بقيادة شيبان بن عبد العزيز اليشكري الذي لجأ الى الجزيرة بعـد هزيمته على أيدي الامويين عام ١٢٩ هـ ، ثم يسير الى عمان لمعالجة أمـر الاباضية هنـاك ٠

استطاع خازم أن يهزم الصفرية في جزيرة ابن كاوان واضطر من نجا منهم الى هجر الجزيرة والهرب الى منطقة جلفار في الشمال الشرقي من عمان (١٠)٠ ولكن الجلندى بن مسعود كره حضورهم الى بلاده ، فأرسل اليهم قوةعسكرية لطردهم من البلاد الا اذا قبلوا اعتناق المذهب الاباضي ولما رفض الصفريـة هذا الشرط قاتلهم الاباضية وقضوا عليهم وقتلوا قائدهمشيبان ٠ (١١) وبذلك خدم الجندى وأصحابه الاباضية القائد العباسي ، خازم ، دون أن يخططوا لذلك ٠

أثناء ذلك كان خازم يراقب سواحل عمان منتظرا النتيجة التي سيسفر عنها القتال بين الصفرية والاباضية في جلفار ٠ ولما علم بالنتيجة سار نحو جلفار قبل عودة الجند الاباضية منها حيث التقى بهم هناك وعرض عليهـم قبول الطاعة للخليفة العباسي وأرسل الى الجلندى يطلب منه ذلك ويسأله أن يسلمه خاتم شيبان وسيفه ليكونا له حجة عند الخليفـة العباسي ٠ ولكن الاباضية رفضوا هذا العرض وجرت بين الفريقين معركة قاسية في جلفار رجحت فيها كفة العمانيين في البداية ولكن خازما اتبع تكتيكا جديدا ، فأحرق بيوت الاباضية وأشغل أذهانهم بأولادهم وأهلهم وممتلكاتهم مما ساعد في ارباكهم واضطراب صفوفهم ٠ وتمكن بالتالي من احراز النصر عليهم بعـد

٩) السالمي ، **تحفة** ، ج١ ، ص ٨٨ ــ٩٢ ، الحارثي ، ص ٢٥٣ ٠

١٠) الطبرى ، ج٧ ، ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣ ٠

١١) الازكوى ، ورقة ٣٢٨ ، الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٢٤ــ٢٥ ، السالمي ، ج١،ص٩٨ ٠

سبعة أيام من القتال العنيف · ونتيجة لهذه المعركة استطاع خازم اعادة ضم عمان الى جسم الدولة الاسلامية التي تربع على عرشها العباسيون · (١٢)

على الرغم من هذه الهزيمة فان العمانيين لم يذلوا أو يستكينوا بل اخذوا يتلمسون الفرص المناسبة لاعادة الكرة ، كما أن الاباضية لم تمت في ذلك القطر بل اتخذ أتباعها من معركة جلفار ومما جرى لاخوانهم فيها من قتل وتدمير ذكرى تحفزهم للتجمع من جديد وتكثيف نشاطهم لنشر دعوتهم وخاصة في المناطق الجبلية والداخلية التي يصعب على العباسيين اجتيازها والسيطرة عليها · واستطاع الاباضية أن يعلنوا الثورة من جديد ويعيدوا تأسيس الامامة نحو عام ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م · ومنذ ذلك التاريخ استمرت الامامة في عمان (أو بعض مناطقها) بدون انقطاع لعدة قرون · وأصبح المذهب الاباضي هو المذهب السائد في عمان واعتنقه معظم سكان ذلك القطر ولا تزال أغلبية سكانه تعتنق هذا المذهب حتى يومنا الحاضر ·

---

١٢) الازكوي ، ورقة ٣٢٩ ، الرقيشي ، **مصباح الظلام** ، ورقة ٣٠–٣١ ، الطبرى ،ج٧، ص ٤٦٣ ، السالمي **تحفة** ، ج١ ، ص ٩٨–٩٩ ·

الباب السابع

الفصل الثالث

تأسيس الامامة الاباضية في شمال افريقية

يعتبر سلمة بن سعد الحضرمي أول شخصية تذكرها المصادر الاباضية مقرونة بالدعوة الاباضية في شمال افريقية (١) ٠ الا ان هذه المصادر لاتذكر متى وصل سلمة الى افريقية كما ان المدة التي قضاها هناك مجهولة ولا نعرف فيما اذا كان قد أمضى بقية حياته هناك أم أنه رجع الى المشرق ٠ ولما كان مبعوثا من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، امام الاباضية في البصرة ، فمن الثابت أنه ارتحل الى المغرب بعد عام ٩٥ هـ ، وهو العام الذي أصبح فيه أبو عبيدة اماما للاباضية ٠ يضاف الى ذلك أن بعض المصادر تشير الى أن سلمة ابن سعد قد ذهب الى شمال افريقية مصحوبا بالداعية الصفري عكرمة ، مولى ابن عباس (٢) ٠ وقد توفي عكرمة في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٠هـ/٧١٨م و١١٠هـ/٧٢٩ والارجح عام ١٠٥هـ/٧٢٤م (٣) ٠ ويذكر البكري أن عكرمة قد جاء الى افريقية قبل عام ١٠٤هـ/٧٢٢-٧٢٣م (٤) ٠ وبناء على هذه المعلومات فمن المحتمل أن سلمة بن سعد قد وصل شمال افريقية في السنوات الاخيرة من القرن الأول الهجري أو السنوات الأولى من القرن الثاني الهجري ٠ ومن المؤكد أنه وصل قبل عام ١١٠هـ/٧٢٩ م وهو آخر تاريخ تعطيه المصادر لموت عكرمة

---

١) الدرجيني ، ورقة ٤ ، الازكو ى، ورقة ٢٨٠ ، شماخي ، سير ، ص ٩٨، ١٢٣ ، ابو زكريا ، ورقة ٣٠
لقد اسهبت في الحديث في هذا الفصل عن تاريخ الحركات الاباضية في شمال افريقية منذ البداية حتى تاسيس الامامة الرستمية وذلك لان كثيرا من الكتاب الذين الفوا في تاريخ تلك المنطقة قد تناولوا هذا الموضوع ولكنني رأيت ان كثيرا من الاراء والمعلومات التي ضمنوها مؤلفاتهم تحتاج الى اعادة تقييم نظرا لاكتشاف معلومات جديدة في مؤلفات لم تكن معروفة من قبل ٠ وسيلاحظ القارىء ذلك خلال قراءته لهذا الفصل ٠

٢) ابو زكريا ، ورقة ٣ ، الدرجيني ، ورقة ٤ ، الازكوي ، ورقة ٢٨٠ ٠

٣) ابن قتيبة ، **معارف** ، ص ٤٥٧ ، خليفة بن خياط ، **طبقات** ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص٢٨٠ ، طبعة دمشق، ١٩٦٦ ، ص ٧٠٣، مالكي ، **رياض النفوس** ، ج١، ص ٩٣ ، ابن سعد ، **طبقات** ، ج٥ ، ص٢١٦ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، ج٧، ٢٢٧، ابو الفرج ، **الاغاني** ، ج٨ ، ص ٤٣ ، الذهبي ، **تذكرة الحفاظ** ، ج١ ، ص ٨٩ ، ياقوت ، **ارشاد الاريب** ، ج٥، ص ٦٢-٦٥، ابن الاثير ، ج١، ص٦٤ ، النووي ، **تهذيب الاسماء** ، ص ٤٣٢ ، ابن تغرى بردى ، ج١ ، ص٢٦٣ ٠

٤) البكري ، ص ٢٨٤ ٠

الذي صاحب سلمة في رحلته · وبكلمة ، يمكن حصر المدة التي ارتحل خلالها سلمة الى شمال افريقية بين عامي ٩٥ هـ / ٧١٣ م و ١١٠ هـ / ٧٢٨ م · أما الرأي الذي يقدمه المستشرق البولندي ليفتسكي T. Lewicki (٥) والذي يفيد بأن سلمة بن سعد وعكرمة كانا من بين العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز لتعليم البربر أصول الدين الاسلامي فيبدو غير صحيح ، لأن اسميهما لا يظهران في قائمة الرجال العشرة الذين بعثهم الخليفة المذكور · (٦)

وعلى أي حال فان ظهور داعيتين من الخوارج أحدهما اباضي والاخر صفري مجتمعين في رحلة واحدة يدل دلالة واضحة على أن الخوارج في شمال افريقية كانوا يقومون – في بداية الأمر – بالدعاية للمباديء العامة التي نادت بها معظم الفرق الخارجية ، وخاصة الصفرية والاباضية · مركزين على مبدأ المساواة بين المسلمين دون اعتبار للمباديء التي انفردت بها كل فرقة · وقد استهوى هذا الشعار البربر واعتنق قسم منهم المذهب الخارجي (الصفري أو الأباضي) · ومنذ بداية القرن الثاني الهجري اتخذ البربر من شعار المساواة السالف الذكر مبررا لكل الثورات التي قاموا بها ضد السلطة الأموية ثم العباسية فيما بعد ·

بعد وصول سلمة بن سعد الحضرمي وعكرمة الى بلاد المغرب الأدنى افترقا واتخذ كل منهما مقرا له يدعو فيه لمذهبه · فقد نزل عكرمة في مدينة القيروان وأخذ يتصل بزعماء البربر من مختلف القبائل وكان يدعو لمذهبه سرا · ويبدو أنه ركز معظم جهوده على قبائل البربر القاطنة في المغرب الأقصى بينما ركز سلمة جهوده على قبائل المغرب الأدنى ، ولعل ذلك كان باتفاق مسبق بينهما · وقد اعتنق المذهب الصفري عدد كبير من قبائل مطغرة بزعامة ميسرة المطغري الذي اتصل بعكرمة في القيروان ثم عاد ونشر المذهب بين بني قومه من مطغرة وتزعم أول ثورة خارجية في تاريخ المغرب العربي · (٧) وكذلك اتصل شيخ قبيلة مكناسة البربرية بعكرمة وأخذ عنه أصول المذهب ويقال انه بقي ملازما

---

٥) T. Lewicki, "The Ibadites in Arabia and Africa", **J. W. H., VOL. 8, Part I, P. 87.**

٦) عن أسماء الرجال العشرة الذين بعثهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتعليم البربر أصول الدين الاسلامي ومبادئه أنظر : مالكي ، رياض النفوس ، ج١،ص٦٤–٧٦، ابو العرب ، **طبقات علماء افريقية وتونس** ، ص ٨٤–٨٧ ·

٧) **ابن خلدون** ، ج٦، ص ١١٨ ·

لعكرمة حتى مات الأخير ٠ ولما كان عكرمة قد مات في مكة بعد رجوعه من المغرب فيبدو أن شيخ مكناسة أبا القاسم سمكو بن واسول قد رافقه في رحلة العودة الى المشرق وهذا ما يفسر لنا اختلاف المؤرخين في المكان الذي اتصل بـه ابن واسول بعكرمة ٠ فبعض المؤلفين يقول أن ذلك قد تم في القيروان ويرى آخرون أنه تم في بلاد المشرق ٠ (٨) ويظهر أن أول اتصال بين الداعية والتلميذ قد تم في القيروان وبقيا متلازمين في الحل والترحال حتى مات عكرمة في المشرق٠ فرجع ابن واسول الى بلاده وتزعم الدعاية للمذهب الصفري حتى أن الروايات تصفه بأنه مقدم الصفرية ومن مشاهير حملة العلم ٠ (٩) وكان ابن واسول ينشر مذهبه بين قومه من مكناسة بسرية تامة ٠ ولكي يحافظ على كتمان دعوته انسحب جنوبا الى الصحراء واستقر في واحة تافيللت حيث تظاهر بامتهان حرفة الرعي اسوة بسكان البادية القاطنين هناك ٠ واستطاع أن يكسب اعوانا كثيرين وأصبحت خيمته منتدى ومدرسة لاتباعه من البدو في تلك المنطقة(١٠)٠

واعتنق المذهب الصفري أيضا عدد كبير من قبائل برغواطة على يد زعيمهم طريف بن شمعون الذي أخذ المذهب عن عكرمة في القيروان (١١)٠ وانتشر المذهب بين قبائل زناتة البربرية وخاصة بني يفرن ٠ وظهر منهم زعماء أشداء حاربوا الولاة الامويين والعباسيين ، من أشهرهم أبو قـرة اليفرني الصفري الذي قاد الصفرية في حركة واسعة ضد جند الخلافة وبايعه أصحابه بالامامة في تلمسان عام ١٤٠ هـ ٠ ويبدو أن بني يفرن كانوا من أكثر البربر حماسا للمذهب الصفري مما حدا بابن خلدون لأن يقول:« لما فشا دين الخارجية في المغرب ٠ وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلجموهم ، نزعوا الى القاصية ، وصاروا يبثون بها دينهم في البربر ، فتلقنه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه، ففشا في البربر ، وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم ، وانتحلوه وقاتلوا عليه»٠(١٢) ويمكن القول ان المذهب الصفري قد انتشر بشكل خاص بين قبائل البربر في المغرب الأقصى ، وليس عجيبا اذن أن نرى أول ثورة خارجية في المغرب قد انطلقت من هناك بزعامة ميسرة المطغري الصفري ٠

---

٨) ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١٠٥ ، مؤلف مجهول ، **نبذة تاريخية من اخبار البربر** ،ص ٦٠، القلقشندي ،ج٥ ، ص١٦٥، محمد اسماعيل عبد الرازق ، **الخوارج في بلاد المغرب** ، ص ٤٨ ٠

٩) ابن خلدون ، ج٦،ص١٠٥ ، الشطيبي ، **الجمان** ، ورقة ٢٠٢–٢٠٣ ، محمد اسماعيل عبد الرازق ، ص ٤٨ ٠

١٠) البكري ، ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ص ١٣٠ ، محمد اسماعيل عبد الرازق ، ص ٤٨ ٠

١١) ابن خلدون ،ج٦،٧-١٠ ، محمد اسماعيل عبد الرازق ، ص ٤٩ ٠
Marcais, **La Berberie Musulmane**, p. 48.

١٢) ابن خلدون ، ج٧ ، ص ٢٣ ٠

أما المذهب الاباضي فيبدو أنه كان معروفا لدى قلة من الناس في المغرب الأدنى قبل وصول سلمة بن سعد الحضرمي ، وقد استقر في جبل نفوسة في منطقة طرابلس حيث تسكن قبائل هوارة البربرية . ويظهر أن الهدف من رحلة سلمة كان ـ بالاضافة الى الدعوة لمذهبه ـ محاولة لاستطلاع الأحوال في تلك المنطقة والوقوف على مدى استعداد الناس لتقبل الآراء التي ينادي بها جماعة المسلمين (الاباضية) . أضف الى ذلك فان مهمة سلمة كانت ترمي الى ترغيب عدد من زعماء البربر للذهاب الى المشرق لتلقي العلم على يد امام الاباضية آنذاك ، أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي . وقد نجح سلمة في مهمته الى حد كبير واستطاع كسب عدد من الأتباع وخاصة في جبل نفوسة (١٣). وقد كان سلمة متحمسا في سبيل مبادئه يبذل كل جهد للوصول الى مأربه ، وقد اثر عنه أنه كان يخاطب أصحابه ويقول : « وددت أن يظهر هذا المذهب (الاباضي) بأرض المغرب يوما واحدا من غدوه الى الزوال فما أبالي أن ضربت عنقي . (١٤)

نتيجة لجهود سلمة فقد ارتحل بعض من اعتنق المذهب من أهل جبل نفوسة الى البصرة ليأخذوا أصول الدعوة وتعاليمها عن الامام أبي عبيدة . وكان أشهر هؤلاء الاشخاص أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الجناواني . (١٥) ولا تذكر المصادر المتوافرة المدة التي قضاها ابن مغيطر في المشرق الا أنه رجع وسلامة الحضرمي لا يزال على قيد الحياة. واشترك الاثنان في نشر تعاليم الاباضية في جبل نفوسة . وعندما توفي سلمة (أو عاد الى المشرق) أصبح ابن مغيطر مقدم الاباضية هناك وكانت له جهود كبيرة في اقناع كثير من بني قومه من نفوسة لاعتناق المذهب الاباضي حتى أن جبل نفوسة أصبح المعقل الرئيسي لاباضية المغرب في تلك الحقبة من التاريخ ، اي خلال الثلث الأول من القرن الثاني الهجري . (١٦) وانتشر المذهب بين قبائل هوارة وزناتة وسدراته ولواته القاطنة في تلك البقعة من بلاد المغرب . ورأت هذه الجماعات ـ نتيجة لجهود الدعاة الاباضية ـ في المذهب الاباضي المثل الصحيح للاسلام الحق ، واتخذت من شعار المساواة الذي نادى به الاباضية مبررا دينيا وشرعيا للثورة ضد الولاة .

---

١٣) الدرجيني ، ورقة ٦

١٤) الدرجيني ، ورقة ٤ ، شماخي ، سير ، ص ٩٨ ، الازكوى ، ورقة ٢٨٠ .

١٥) الوسياني ، ورقة ٢٨٠ ، علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، الحلقة الثانية ، ص ٢٧ .

١٦) الوسياني ، ورقة ٧٩ ، شماخي ، سير ، ص ١٤٤ .

وقد رأى دعاة الاباضية الأوائل أن الحاجة تدعو الى مزيد من البعثات العلمية للمشرق ليتفقهوا في أصول المذهب على أيدي مشايخ الاباضية في البصرة ٠ وحاولوا انتقاء رجال البعثات من بين القبائل البربرية المختلفة حتى يسهل عليهم اقناع قبائلهم ـ بعد رجوعهم ـ لتقبل الآراء والأفكار التي يبشرون بها ٠ وبناء على ذلك فقد اتجهت الى البصرة أول بعثة علمية منظمة اختير رجالها من قبائل ومناطق مختلفة ، وتألفت من أربعة أشخاص وهم : أبو درار اسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس ، وعبد الرحمن بن رستم (فارسي الاصل) من القيروان ، وعاصم السدراتي من سدراته غربي أوراس ، وأبو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوبي افريقية (تونس) وانضم اليهم في البصرة أبو الخطاب المعافري وهو عربي من اليمن ٠ وقد سمي هؤلاء في المصادر الاباضية حملة العلم الى المغرب ٠ (١٧)

أما تاريخ رحلتهم الى المشرق فلا تذكره المصادر الا أنها تشير الى رجوعهم عام ١٤٠ هـ ولما كانت المدة التي قضوها في البصرة خمس سنوات (١٨) ، فمن المرجح أنهم ولوا شطر المشرق عام ١٣٥ هـ ٠

بقي حملة العلم خمسة أعوام متتالية يتلقون العلم عن امام الاباضية أبي عبيدة التميمي في مدرسته التي أقامها لهذه الغاية في سرداب سري ٠ وبعد أن أنهوا مهمتهم واطمأن أبو عبيدة الى تعمقهم في معرفة أصول المذهب وتعاليمه عادوا الى بلادهم لنشر المذهب بين أقاربهم وفي مناطق استقرارهم ٠ وتشير المصادر الاباضية الى أن حملة العلم قد انشأوا مجالس سرية خاصة لتعليم المذهب على شاكلة المجالس الاباضية في البصرة ٠ (١٩) ولم يمض وقت طويل حتى برز عدد من العلماء الاباضيين من بين السكان المحليين ممن تلقوا التعليم في هذه المجالس « الاقليمية » ، وتسميهم المصادر الاباضية تلاميذ حملة العلم ٠ ومن أشهر هؤلاء : أبو خليل الدركلي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، محمد بن يانس ، وعمر بن يمكتن ٠ وقد افتتح الأخير مدرسة لتعليم القرآن وتفسيره في جبل نفوسة ٠ (٢٠) ومن المحتمل أن تلك المدرسة كانت ملتقى لعلماء الاباضية ومركزا لتلقين مبادىء الدعوة ٠ ومن المحتمل أيضا أن حلقات أخرى قد انشئت في مناطق أخرى للغرض نفسه وكان لها أثر كبير في استمالة عدد من رجال القبائل البربر لاعتناق المذهب الاباضي ٠

---

١٧) لم يرافقهم أحد من جبل نفوسة وذلك لان بعض رجال الجبل كانوا قد ذهبوا قبلا وعادوا الى موطنهم وعلى راسهم ابن مغيطر الجناواني الذي أسلفنا القول عنه .

١٨) عن حملة العلم انظر : الدرجيني ، ورقة ٤ـ٨ ، ابو زكريا ، ورقة ٥ ، اطفيش ، **الامكان** ، ص١١٢ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٣ ــ ١٢٤ ، محمد علي دبوز ، ج٣،ص١٩٤ .

١٩) انظر عن هذه المجالس الباب السادس

٢٠) شماخي ، سير ، ص ١٤٢ .

الصراع العسكري بين الاباضية والخلافة في بلاد المغرب

كان لجهود الدعاة الاباضية من حملة العلم وتلاميذهم أثر كبير في استمالة أعداد وفيرة من البربر في المغرب الادنى وخاصة في منطقة طرابلس ٠ الا ان دعاة الصفرية لاقوا في البداية نجاحا اكبر وحظا أوفر وذلك لأنهم بشروا بمباديء أكثر تطرفا ، جاءت ملبية لرغبة البربر في الثورة على السلطة الحاكمة ٠ ونادوا بالثورة السريعة دون المرور بمراحل مختلفة كما فعل الاباضية ٠ وتبعا لذلك فقد انتشر المذهب الصفري بين معظم قبائل المغرب الأقصى حيث ركز دعاة الصفرية جهودهم ٠ وفي عام ١٢٢ هـ قام الصفرية بثورة عارمة ضد الحكم الأموي واستمرت نحو ثلاثة أعوام وانتشرت من السوس الأقصى غربا حتى أواسط ليبيا شرقا ، واستطاع البربر الصفرية أن يحرزوا انتصارا ضخما على قوات الدولة الأموية في معركة الأشراف قرب طنجة ٠ واستمرت المعارك بين الطرفين ، وكثيرا ما كان النصر فيها يحالف البربر الصفرية ٠ وفي عام ١٢٥ هـ / ٧٤٢ ـ ٧٤٣ م استطاع الوالي الأموي حنظلة ابن صفوان أن يهزم البربر في معركتي القرن والاصنام (٢١) ٠

كانت ثورة الخوارج الصفرية التي قامت بين عامي ١٢٢ هـ و ١٢٥ هـ نقطة تحول في تاريخ الدعوة الاباضية في شمال افريقية ، اذ أدرك الاباضيون أن الدعاية الصفرية قد كسبت أعوانا كثيرين ، وخافوا انتشار المذهب الصفري بين جميع قبائل البربر وبالتالي من خسارة مواقعهم هناك وضياع حلمهم في انشاء دولة اباضية في بلاد المغرب ٠ ولذا فانهم أخذوا يكثفون دعوتهموزادوا عدد الدعاة الذين أصبحوا يجوبون المنطقة منبرقة شرقا الى السوس الاقصى غربا ٠ ليس هذا فحسب بل انهم بدأوا بتنظيم أنفسهم اداريا وأخذوا يؤمرون عليهم شخصا منهم عارفا بالمذهب مخلصا له ومتحمسا في سبيل نشره ٠ ولم يتخذ هذا الشخص لقب امام أو خليفة بل اتخذ لقب رئيس وهذا دليل على أن مرحلة اعلان امامة الظهور لم تحن بعد ٠ وأول رجل تذكره المصادر بأنه حمل هذا العبء وتلقب بالرئيس هو عبد الله بن مسعود التجيبي ٠ (٢٢) ويبدو أن معظم أنصار عبدالله هذا كانوا من قبائل زناتة وهوارة ٠ وقد قتل التجيبي نحو عام ١٢٧ هـ على يد الياس بن حبيب والي طرابلس لأخيه عبد الرحمن ابن حبيب الذي انتزع ولاية افريقية من حنظلة بن صفوان (٢٣) ٠ ولا تذكر المصادر سبب قتله ، ومن المحتمل أن التجيبي قد قام بنشاط كبير أدى الى

---

٢١) عن ثورة الخوارج الصفرية في شمال افريقية : انظر :
A. M. Khleifat, The Caliphate of Hisham b. Abd al-Malik, Unpublished thesis, London, 1973, pp. 132 ff.

٢٢) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ ٠

٢٣) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ ، الرقيق ، ص ١٢٣ وما بعدها ، ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢٢٣، السلاوي ، ج١ ، ص ١١٦ وما بعدها ٠

تهديد حكم الاسرة الفهرية في افريقية فتخلصوا منه قبل أن ينظم الاباضية في ثورة مسلحة ضدهم ٠

كان لمقتل التجيبي أثر كبير في نفوس أصحابه ٠ وعلى عكس ما أراد الياس بن حبيب كان هذا الحدث محركا قويا للاباضية دفعها للثورة العلنية ضد الحكم القائم المتمثل بالاسرة الفهرية التي يتزعمها عبد الرحمن بن حبيب ٠ وقد حاول عبدالرحمن أن يخفف من وقع المصاب وأعلن غضبه وعدم رضاه عن عمل أخيل تجاه التجيبي ، فعزله وولى مكانه حميد بن عبد الله العكي (٢٤) ، أملا في أن يتجنب الاحتكاك المسلح مع الاباضية في تلك الظروف التي يواجه فيها ثوارا آخرين من العرب الساخطين عليه لاستيلائه على السلطة وطرده الوالي الشرعي ، حنظلة بن صفوان ، ومن البربر الصفرية الثائرين ضد الحكم القائم باسم شعار المساواة ٠ (٢٥) وحاول عبد الرحمن كل جهده أن يتبع سياسة لينة مرنة مع الاباضية في طرابلس وجبل نفوسة ولكن محاولاته لم تلق ترحيبا من الاباضية لغضبهم الشديد على قتل رئيسهم ٠ولم يلبثوا أن ثاروا بقيادة الحارث بن تليد الحضرمي الذي انتخبوه امام دفاع لهم واختار بدوره عبد الجبار بن قيس المرادي ليكون قاضيا ومستشارا له ٠وكان الشخصان لا يفترقان حتى أن المصادر لمتستطعأنتميزالامامنالقاضي(٢٦)٠ خرج العكي ، والي طرابلس ، لقتال الاباضية ولكنه لم يستطع الصمودطويلا أمام الجيش الاباضي الذي كان يتألف في معظمه من قبيلة هوارة البربرية ، وفي ذلك يقول البرادي : « وكانت الكثرة من البربر هوارة فقتل الله بهما (أي

---

٢٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ ٠

٢٥) من هؤلاء الثوار : عطاف الاسدي في بعض نواحي تونس وعروة بن الوليد الصدفي في تونس ايضا كما ثار الصفرية بزعامة عبدالله بن سكرديد وثابت الصنهاجي في باجة . انظر : الرقيق ، ص ١٢٦ ، ابن خلدون ، ج٤،ص١٩٠،ج٦،ص١١١ ، النويرى ، ج٢٢، ق ١ ، ص ٣٩ ٠

٢٦) لا تذكر المصادر معلومات واضحة عن كيفية اشتراكهما في زعامة الاباضية اذ ان البرادي يرى انهما كانا مشتركين في الملك ولكنه دوما يقدم اسم الحارث على زميله . وأما الشماخي فيورد قيامهما بالثورة ويقول ان احدهما كان اماما والاخر وزيره او قاضية ولكنه لا يوضح من هو الامام ومن هو الوزير ويذكر ابن عبد الحكم معلومات اقرب الى الصحة من غيرها ويقول ان الحارث كان امام الحرب وعبدالجبار امام الصلاة وهذا يعزز القول بأن الحارث كان امام الدفاع وان عبد الجبار كان قاضية . ويورد المؤرخ الاباضي المعاصر علي يحيى معمر ، معلومات ترجح هذا الراي معتمدا في ذلك مصادر اباضية لم يذكرها . انظر البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٧٠ ، الشماخي ، **سير** ص ١٢٥ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤، علي يحيى معمر **الاباضية في موكب التاريخ** ، الحلقة الثانية ، ص ٤٥ .

الحارث وعبد الجبار) أهل الخلاف قتلا ذريعا » (٢٧) • وقد طلب العكي الأمان من الاباضية فأمنوه واستسلم لهم ولم يصيبوه بأذى الا انهم قتلوا أحد رجاله الذي اتهم بقتل عبد الله التجيبي • (٢٨) ولا تذكر الروايات المصير الذي آل اليه العكي ومن استسلم معه من أتباعه وهل عادوا وانضموا الى ابن حبيب أم أنهم لزموا الحياد في القتال الذي دار فيمـــا بعد بين جنـــد ابن حبيب والاباضيـــة •

لما علم ابن حبيب بهزيمة واليه على طرابلس واستسلامه أرسل يزيد بن صفوان المعافري واليا جديدا لمنطقة طرابلس ، ولم يأمره بقتال الاباضية • وحاول كسب رجال هواره الاباضية بالطرق السلمية • فأرسل اليهم شخصا يدعى مجاهد بن مسلم الهواري الذي كان ينتمي للقبيلة نفسها ولكنه كان مواليا لعبد الرحمن • حاول مجاهد استمالة رجال قبيلته ومناهم بالخير الوفير ان تركوا الحارث والاباضية وتوعدهم بالشر الوبيل ان استمروا في عدائهم لجند الخليفة • ولكن معظم رجال هوارة كانوا قد تمكنوا من المذهب الاباضي وتعمقت مبادئه في نفوسهم فلم يصغوا له وطردوه •

أمام هذا التحدي أيقن ابن حبيب أن السيف وحده هو الذي يمكنه من حسم الأمر على اعدائه ، فسير جيشا ضخما بقيادة محمد بن مفروق (مقرون ؟) لاخضاع الاباضية وأمر واليه الجديد على طرابلس للسير معه • كما اشترك في الحملة مجاهد بن مسلم الهواري على رأس قوة أخرى • ولكن الاباضيـــة تمكنوا من هزيمة هؤلاء جميعا وقتلوا قائد الجيش محمد بن مفروق ووالي طرابلس يزيد بن صفوان المعافري ، وتمكن مجاهد الهواري من أن ينجوبالقوة الباقية • ثم عاد بعد أن حصل على مدد آخر والتقى بالثوار الاباضية فيمعركة قاسية قرب جطيسة ولكنه هزم وارتد هاربا مع بقية جنده • وتابع الاباضية زحفهم صوب طرابلس فاحتلوها ثم استولوا على كثير من المواقع حولها ولم يمض وقت طويل حتى سيطروا على المنطقة الواقعة بيـن طرابلس وقابس وسرت •

أصيب عبد الرحمن بن حبيب بصدمة عنيفة نتيجة للهزائم التي مني بها جيشه وقواده فقرر مرة أخرى استمالة الاباضية ، وخاصة قبيلة هوارة التي كانت السند الرئيسي للثوار ، بالطرق السلمية فأرسل اليهم عامل طرابلس مع بعض مشايخ البربر في محاولة للوصول الى تفاهم معهم • ولكن الاباضية قتلوهم عن آخرهم • وهنا أيقن عبد الرحمن بن حبيب أن سياسة المصالحـة

---

٢٧) البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٧٠ .

٢٨) ابن عبد الحكم ، ص٢٢٥ .

لا تجدي نفعا مع هؤلاء الثوار الأشداء ، وأدرك أيضا أن حكمه مهدد بالزوال ان توانى في حسم الامور معهم · فسار اليهم على رأس حملة عسكرية قوية، وعندما وصل قابس في طريقه للقائهم علم بتآمر أهل القيروان ضده فرجع أدراجه الى القيروان وقضى على التمرد هناك · ثم عاود السير لقتال الاباضية في طرابلس وتمكن من هزيمتهم · (٢٩) وتختلف المصادر المتوافرة حول مصير الحارث وعبد الجبار اللذين تزعما الحركة الاباضية في هذه الفترة · فالمصادر السنية تذكر بأنهما قتلا أثناء المعارك التي جرت بين الاباضية وبين جيوش ابن حبيب · (٣٠) ولكن المصادر الاباضية تقول أن الرجلين وجدا مقتولين وسيف كل منهما مغمد في جثة صاحبه · (٣١) ومن المحتمل أن عبد الرحمن بن حبيب قد دس اليهما من قتلهما ثم وضع سيف كل منهما في جسم صاحبه ليخلق الذعر بين الاباضية وليثير بينهم الفتنة والخلاف · ومهما تكن الحقيقة فان مسألة الحارث وعبد الجبار قد ادت الى جدل طويل بين الاباضية في المشرق والمغرب وخلقت مشكلة فقهية لدى زعماء الاباضية واختلفوا في مسألة الولاية والبراءة منهما · فقال بعضهم أن كل واحد منهما مثل الآخر فيجب البراءة منهما · بينما قال البعض الاخر أن كل واحد منهما قتل الآخر ولكن لا يعرف الباغي منهما على صاحبه ولذا فان أفضل حل لهذه المشكلة هو التوقف عن الحكم عليهما · وقال فريق ثالث : ان صلاحهما متيقن قبل موتهما ؛ أما بغيهما فغير متيقن ولذا فهما باقيان على ولايتهما اذ من المحتمل أن يكونا قد قتلا على يد رجل ثالث بغى عليهما فجعل سيف كل واحد منهما في جثة صاحبه · (٣٢) ويبدو أن الخلاف حول هذه المسألة قد أدى الى اضعاف الروح المعنوية لدى أتباع الحركة في المغرب الأدنى · فاستعان وجهاء الناس وقادتهم بأئمة الاباضية في البصرة الذين اختلفوا بدورهم حول هذه المشكلة · وخوفا من الفرقة والنزاع وخشية فقدان مواقعهم في شمال افريقية كتب أبو عبيدة، امام الاباضية ، الى أصحابه في شمال افريقية يأمرهم بعدم ذكر الرجلين حتى يقطع الأحقاد ويجنب أتباعه الفتنة · ومما يدل على أثر هذه الحادثة السلبي أن أبا الخطاب ، أول امام ظهور اباضي في شمال افريقية ، اشترط عندما بويع فيما بعد بالامامة أن لا يذكر أصحابه اسمي الحارث وعبد الجبار

---

٢٩) من القتال بين حبيب والاباضية بزعامة الحارث وعبد الجبار انظر : الرقيق ، ص ١٢٨—١٢٩ ، ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج٦ ، ص ١٢٣ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٧٠ ، السلاوي، ج١،ص١١٧ ·

٣٠) الرقيق ، ص ١٢٩ ، ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٢٢٣ ، السلاوي ، ج١،ص ١١٧ ·

٣١) ابو زكريا ، ورقة ٩ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٧٠ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٥ ·

٣٢ — ابو زكريا ، ورقة ٩ ، البرادي ، **الجواهر** ، ص ١٧١ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٤ — ١٢٥·

في معسكره حتى لا تحدث الفرقة ويدب الخلاف بين جماعته ٠ (٣٣)

وعلى أي حال فان مقتل الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار كان له أثر كبير على الدعوة الاباضية في بلاد المغرب الأدنى ، اذ تفرق الاباضية وتنازعوا الى حين رغم أنهم بقوا على ولائهم للمذهب الاباضي ٠ وعندما جاءتهم أوامر امامهم أبي عبيدة بوجوب عدم الخوض في هذه المسألة ودعوته اياهم للتكاتف عادوا والتأموا من جديد واختاروا امام دفاع لهم هو أبو الزجار اسماعيل بن زياد النفوسي ٠ وكان ذلك في عام ١٣٢ هـ ، واستطاع الاباضية بزعامة امامهم الجديد أن يعيدوا سيطرتهم على مناطق واسعة من ولاية طرابلس كما استولوا أيضا على مدينة قابس وما جاورها ٠ ولكن الامام النفوسي قتل في العام نفسه (١٣٢هـ) وهو يحارب قوات الوالي عبد الرحمن ابن حبيب كما قتل عدد كبير من أتباعه ٠ ويبدو ان النصر الذي أحرزه ابن حبيب كان حاسما مما حدا بالاباضية للخلود الى الهدوء لفترة من الزمن وعادوا الى مرحلة الكتمان والدعوة السرية وبقوا كذلك مدة ثماني سنين متوالية من عام ١٣٢ هـ وحتى عام ١٤٠ هـ ٠ وفي هذه الفترة حدثت تطورات مهمة في مركز الخلافة وفي ولاية افريقية كان الاباضية أثناءها يعدون العدة لاستئناف نشاطهم العسكري ضد الولاة أملا في النصر واعلان الامامة الاباضية في بلاد المغرب ٠ وقبل أن نتحدث عن النشاط العسكري الذي بدأه الاباضية عام ١٤٠هـ لا بد لنا من القاء نظرة سريعة على التطورات السياسية في بلاد المغرب واثرها على موقف الاباضية وخططهم ٠

التطورات السياسية في المغرب الأدنى في العقد الرابع من القرن الثاني الهجري وأثرها في تطور الحركة الاباضية ٠

بعد الانتصار الذي أحرزه عبد الرحمن بن حبيب على الاباضية في عام ١٣٢ هـ بدا كأنه تمكن ـ بعد أربع سنوات من حكمه ـ من القضاء على خصومه ٠ وفي الوقت نفسه حصلت تطورات أخرى في مركز الخلافة ، اذ زالت دولة بني أمية وتمكن العباسيون من التربع على عرش الخلافة الاسلامية وبويع أبو العباس السفاح أول خليفة من الأسرة الحاكمة الجديدة ٠ ولما تأكد ابن حبيب من انتصار العباسيين كتب الى الخليفة بالسمع والطاعة فأقره السفاح على ولايته ٠ (٣٥) وواضح أن ابن حبيب قد أدى الولاء للخليفة ليضفي شرعية على ولايته ٠ ولكنه لم يلبث أن فتح ذراعيه للأمراء الأمويين الهاربين من

---

٣٣) ابو زكريا ، ورقة ٨ ، ابن عبد الحكم ، ص٢٢٥ ، البرادي ، الجواهر ، ص ١٧١ ، شماخي ، سير ، ص١٢٥ ، **الدليل لاهل العقول** ، ص ٢٤٠ ٠

٣٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٢٥ـ٢٢٦ ، اطفيش ، **الامكان** ، ص ٥٣ ،

٣٥) الرقيق ، ص ١٣٢ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص٦١ ٠

تنكيل العباسيين ، ورحب بهم وأصهر اليهم ثم انقلب عليهم وقتل بعضا منهم بينما فر الباقون وعلى رأسهم عبد الرحمن الداخل الى الاندلس (٣٦)٠ وحاول ابن حبيب مرة أخرى كسب ود العباسيين والحصول منهم على التأييد اللازم لترسيخ حكمه في ولاية افريقية ٠ ولكن أبا جعفر المنصور الذي اعتلى عرش الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح لم يكن مطمئنا لموقف ابن حبيب وحاول أن يتأكد من حسن نواياه ، فكتب اليه يدعوه الى الطاعة وارسال نصيب الخلافة من أموال افريقية ٠ فأجابه ابن حبيب الى الطاعة ووجه اليه بهدية بخسة ٠ (٣٧) فغضب أبو جعفر وكتب اليه يتوعده ويهدده ٠ فلما أتاه الكتاب قرر خلع طاعة أبي جعفر فجمع الناس في المسجد وخطب الناس قائلا : « اني ظننت هذا الجائر (أبو جعفر) يدعو الى الحق ويقوم به حتى تبين لي خلاف ما بايعته عليه من اقامة الحق والعدل ، وأنا الآن قد خلعته كما خلعت نعلي هذين » وقذفهما وهو على المنبر ٠ (٣٨) ثم أمر بنزع السواد ، شعار الدولة العباسية ٠ وأمر بتمزيق الرايات والثياب الرسمية التي تحمل هذا اللون ووصفها بأنها « لباس أهل النار في النار » ٠ ثم أمر كاتبه أن يكتب الى ولاته يخبرهم بخلع المنصور ويأمرهم بقراءة الكتاب من على منابر المساجد ٠ وقد حدث ذلك في عام ١٣٧ هـ أي في نفس العام الذي دخل فيه عبد الرحمن بن معاوية الأندلس ٠ (٣٩) وهكذا انفصلت ولاية افريقية كليا عن جسم الدولة العباسية واستقل ابن حبيب وأسرته في حكم البلاد ، الا أن الحظ لم يسعفه طويلا نتيجة المنازعات الداخلية بين أفراد أسرتهواستئناف الخوارج الصفرية والقبائل البربرية نشاطهم العسكري ضده ٠ ولم يلبث ابن حبيب سوى أشهر قليلة - بعد خلعه للمنصور - في الحكم قتل بعدها في نفس العام ١٣٧هـ/ ٧٥٥ م) على يدي أخيه الياس الذي كان في السابق سنده وساعده الأيمن ٠ كان الياس طموحا لتولي الحكم بعد أخيه عبد الرحمن ولكن الأخير كان يقدم ابنه حبيب ويعزو له كثيرا من الانتصارات التي لم يفعلها ليرفع من مقامه ويقوي مركزه بين الناس لكي يبايعوه للحكم بعد موت والده ، وكأن عبد الرحمن أراد لحكم افريقية أن يكون وراثيا في اعقابه (٤٠)٠ أثار هذا العمل حفيظة الياس الذي كان يرى أنه أحق في الولاية من ابن أخيه بحكم سنه

---

٣٦) الرقيق ، ص ١٢٠—١٣٣ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص ٦١ ، النويرى ، ج٢٢ ، ق١،ص٣٩—٤٠ ، مؤلف مجهول ، **اخبار مجموعة** ، ص ٥٠ ٠

٣٧) الرقيق ، ص ١٣٤ ٠

٣٨) الرقيق ، ص ١٣٤ ٠

٣٩) الرقيق ، ص ١٣٤ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص ٦٧ ، النويرى ، ج٢٢ ، ق ١ ، ص٣٩—٤٠ ٠

٤٠) الرقيق ، ص ١٣٤—١٣٥ ، ابن عذارى ، ج١،ص٦٧،النويرى ، ج٢٢ ، ق١،ص ٤٠ ٠

وبسبب جهوده في توطيد حكم الأسرة الفهرية في تلك البقعة من العالم الاسلامي . وقد استغل بعض الحاقدين على عبد الرحمن هذا النفور بين الاخوين وأوغروا صدر الياس ضد أخيه وشجعوه على التخلص منه ووعدوه المساعدة والطاعة . وكان لزوجة الياس الأموية بعض التأثير في هذا الشأن وخاصة أنها تكن حقدا دفينا لعبد الرحمن الذي قتل بعض الامويين الذين لجأوا الى افريقية بعد سقوط الدولة الأموية ، ومنبينهم ولدي عمها . فأخذت تحرض زوجها ضد أخيه وتقول له : « انه يستخف بك ، وقتل أصهارك ،وولى حبيبا عهده » (٤١) بالاضافة الى ذلك فان بعض العرب في القيروان قد استاءوا من عبد الرحمن لخلعه طاعة الخليفة العباسي وكانوا يتحينون الفرص للخلاص منه ووجدوا في أخيه الياس الرجل الذي يقوم بهذه المهمة. فأخذوا يحرضونه ضد أخيه ووعدوه بالطاعة ان تخلص منه وبايع لابي جعفر المنصور . وقد سنحت الفرصة عام ١٣٧ هـ عندما عين عبد الرحمن أخاهالياس واليا على تونس . وتظاهر الياس بالاستعداد للذهاب الى تونس وزار أخاه - الذي كان مريضا آنذاك - مودعا . وقعد عنده طويلا ثم انكب عليه يعانقه فوضع السكين بين كتفيه حتى صارت الى صدره ثم أعقب ذلك بضربة سيف وانصرف خارجا . فلاقاه أعوانه الذين كانوا ينتظرون النتيجة فأعلمهم بما حدث وأصروا عليه بأن يرجع ويحتز رأس أخيه حتى يطمئنوا الى ذلك ففعل ! وكان حبيب بن عبد الرحمن مع والده في قصر الامارة ولكنه استطاع الخروج مستخفيا حتى وصل تونس حيث كان عمه عمران بن حبيب فأخبره بما حدث وأخذ الاثنان يحشدان أعوانهما ومواليهما لمواجهة الياس . وفي عام ١٣٨ هـ خرجا لمحاربته والتقى الطرفان في موقع يعرف باسم سمنجة. ودارتمفاوضات بينهما انتهت باتفاق رضي به جميع وجهاء الاسرة الفهرية . ونص الاتفاق على أن يبقى عمران واليا على تونس وصطفورة والجزيرة (جزيرة شريك)، وأن يلي حبيب قفصة وقسطيلية (بلاد الجريد) ونفزاوة ، وما تبقى من ولاية افريقية والمغرب يكون تحت امرة الياس بن حبيب . (٤٢) ويبدو أن الياس لم يكن مخلص النية وأراد من الاتفاق أن يكون وسيلة لزعزعة قوة خصومه وتفريقهم ثم مواجهتهم فرادى ، وقد نجح في ذلك . فبعد الاتفاق سار معأخيه عمران الى تونس وهناك قبض عليه وأرسله مخفورا مع بعض أفراد أسرته الى الاندلس وبذلك أمن شره وخلصت له تونس وتوابعها بدون قتال (٤٣) . وفعل نفس الشيء مع ابن أخيه حبيب الا أن حبيبا توقف وهو في طريقه الى

---

٤١) الرقيق ، ص ١٣٤ ، انظر ايضا النويرى ، ج٢٢ ، ق ، ص ٤١ .

٤٢) الرقيق ، ص ١٣٦ — ١٣٧ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص٦٨ ، النويرى ، ج٢٢،ق١،ص ٤١ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٣١٤ .

٤٣) الرقيق ، ص ١٣٧ ، ابن عذارى ، ج١،ص ٦٨ ، النويرى ، ج٢٢ ، ق١،ص٤١—٤٢ .

الاندلس في طبرقة مدعيا أن الريح جعلت سيره مستحيلا ، فاجتمع اليه مواليه وأعوانه ـ ربما طبقا لخطة موضوعة قبل رحيله ـ وسار الجميع الى والي طبرقة ، سليمان الرعيني ، فأسروه ثم ساروا جنوبا واحتلوا الأربس على مسيرة يوم من القيروان . ولما علم الياس بما حدث استخلف على القيروان محمد بن خالد القرشي وسار مسرعا لمواجهة حبيب . والتقيا في مكان قريب من القيروان حيث جرت مناوشات خفيفة بينهما توقفت عند المساء . ثم أمر حبيب بايقاد النار في معسكره ليظن الياس أنه مقيم هناك . وانسحب تحت جنح الظلام الى القيروان وتمكن من احتلالها بمساعدة بعض أهلها المناوئين لسياسة الياس . ومضى الياس في اثره فخرج حبيب للقائه في مكان غير بعيد من القيروان . ودعا حبيب عمه الى حقن الدماء وعرض عليه المبارزة فمن قتل الآخر خلا له الأمر . وخاطب عمه قائلا : « لم نقتل صنائعنا وموالينا وهم لنا حصن أبرز أنا وأنت : فأينا قتل صاحبه استراح منه » . وأيد الفكرة اتباع الرجلين ونادوا الياس : « قد أنصفك يا الياس » . فخرجا وتبارزا وقتل الياس . وكان ذلك في عام ١٣٨ هـ (٤٤) . وأصبح حبيب بن عبد الرحمن يسيطر على معظم ولاية افريقية والمغرب الأدنى .

الصراع بين حبيب بن عبد الرحمن وقبيلة ورفجومة البربرية

التجأ اخوة الياس وبعض أقاربه وأتباعه ـ بعد مقتله ـ الى قبيلة ورفجومة احدى بطون قبيلة نفزة . وكان هذا العمل بداية النهاية لحكم الأسرة الفهرية . وأرسل حبيب بن عبد الرحمن الى زعيم ورفجومة ، عاصم بن جميل ، يطلب منه أن يرد أعمامه وأقاربه اليه ولكنه رفض . فسار اليه حبيب ، بعد أن استخلف أبا كريب جميل بن كريب القاضي على القيروان ، والتقيا في ميدان المعركة . ولكن حبيبا انهزم وسار الى قابس وأصبحت طريق القيروان مفتوحة أمام ورفجومة وأعوانها . ولم يبذلوا جهدا كبيرا في سبيل الاستيلاء عليها وذلك لأن أناسا من أهلها يبدو أنهم ضجروا من الحروب المستمرة والمنازعات الدائمة بين أفراد الأسرة الفهرية كما أن البعض الآخر كان مواليا للخلافة العباسية فانتهز هؤلاء الفرصة وأرسلوا الى ورفجومة يستقدمونها شريطة أن يقدموا الطاعة لبني العباس . ورغم أن ورفجومة لا يعنيها من أمر العباسيين شيء الا أنها تظاهرت بقبول الشرط . وسارت نحو القيروان . فخرج أبو كريب ـ الذي كان واليا عليها نيابة عن حبيب ـ للقاء الغزاة وعندما اقترب الطرفان خرج من عسكر أبي كريب أولئك الناس الذين كاتبوا ورفجومة سرا وخذلوا الناس عن الحرب ودعوهم الى طاعة زعيم ورفجومة

---

٤٤) الرقيق ، ص ١٣٨ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ، النويرى ، ج٢٢، ق١ ص٤٢ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٣١٥ .

عاصم بن جميل . فتفرق جل من كان مع أبي كريب وبقي في ألف من أصحابه . وحاربوا ورفجومة وأعوانها بشجاعة نادرة الا أن الكثرة غلبت الشجاعةوانهزم أبو كريب وقتل مع معظم أصحابه . ودخلت ورفجومة القـــيروان واستحلوا المحرمات وسبوا النساء والصبيان وربطوا دوابهم في المسجد الجامع وقتلوا من بالمدينة من قريش وندم الذين استقدموهم أشد ندامة . (٤٥)

بعد احتلال القيروان ، استخلف عاصم بن جميل عليها عبد الملك بن أبي الجعد النفزي ، بينما توجه على رأس قوة من أتباعه لمحاربة حبيب بن عبد الرحمن في قابس . ودارت بينهما معركة انتهت بهزيمة حبيب مرة أخـــرى واضطر الى الالتجاء الى اخوال أبيه في جبل أوراس حيث أعانوه وأمدوه بالمال والرجال . ثم لحق به عاصم واقتتلا وانتصر حبيب في هذه المرة وقتل عاصمـا وكثيرا من رجاله . (٤٦) ثم أقبل حبيب يريد القيروان فخرج اليه عبد الملك بن أبي الجعد النفزي والتقى الطرفان في عام ١٤٠ هـ في معركة قاسية استبسل فيها حبيب ورجاله الا أنه قتل في النهاية وانهزم أتباعه . وبقيت ورفجومة تسيطر على القيروان حتى أخرجها الاباضية بعد اعلان امامتهم كما سنرى .

الاباضيـــة يعلنون امامة الظهور

أثناء الفترة التي تلت مقتل اسماعيل بن زياد النفوسيالاباضي عام ١٣٢هـ **رجع اباضية المغرب الى مرحلة الكتمان لينظموا أنفسهم من جديد وينشروا**

---

٤٥) الرقيق ، ص ١٤٠ــ١٤١ ، ابن عذارى ، ج١،ص ٧٠ ، النويرى ، ج٢٢،ق١،ص٤٣ . ابن الاثير ،ج٥ ص ٣١٥ ، سعد زغلول عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي** ، ص ٣٠٥ــ٣٠٧ . يرى بعض المؤرخين ، والكتاب المحدثين أن ورفجومة كانت صفرية . انظر : سعد زغلول عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي** ، ص٣٠٧ ، مراجع الغناى ، القوى المتصارعة في المغرب خلال القرن الثاني الهجري ، ودور ليبيا فيه **مجلة كلية الاداب** ، جامعة بنغازي ، ١٩٧٦ ، ص ٨٨ .

اما الدكتور حسين مؤنس فيرى أن الدعوة الصفرية قد سرت في قبيلة ورفجومة ولما يتمكن الاسلام فـــي نفوسهم بعد فأضلتهم واخرجتهم من الاسلام . انظر ، حسين مؤنس ، ثورات البربر في افريقية والاندلس **مجلة كلية الاداب** ، القاهرة ، ج١،١٩٤٨،ص١٨٥ . ويبدو أن أعمال ورفجومة بالقيروان وماتنسبـــه المصادر الى زعيمها من مبادىء ومعتقدات تدل على انها غير مسلمة ، أو انها أسلمت ولما يتمكن الاسلام من نفوس اهلها فعادت وارتدت عن الاسلام ونادى زعماؤها بمبادىء وشعارات مناقضة تماما لتعاليـم الاسلام . فقد وصف المؤرخون زعيم ورفجومة ، عاصم بن جميل ، بانه كان كاهنا كما ادعى النبوة وبدل في الدين واسقط اسم النبي من الاذان وزاد في الصلاة . وهذا كله يدل على انهم ليسوا خوارج صفرية كما زعم بعض الكتاب المحدثين . أضف الى ذلك فان المصادر لا تشير الى ورفجومة كخوارج صفرية ولكنها تذكر أن قوما من الخوارج قد انضموا الى ورفجومة . وهذه الاشارة لا تعني أن ورفجومة نفسها كانت خارجية المذهب انظر : الرقيق ، ص ١٤١ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٠ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص٣١٥، النويرى ، ج٢٣ ق١ ، ص ٤٣ ــ ٤٤ ، ابن خلدون ، ج٤،ص٤٠٩ .

٤٦) الرقيق ، ص ١٤١ ، ابن عذارى ، ج١،ص٧٠،النويري ، ج٢٢ ، ق١ ، ص ٤٣ .

دعوتهم سرا في مناطق جديدة . وكانوا ابــان ذلــك يراقبون التطورات السياسية في شمال افريقية محاولين انتهاز الفرصة المناسبة لاعلان امامة الظهور . وكانت المنازعات الداخلية بين افراد الاسرة الفهرية الحاكمة والحروب المستمرة بين هذه الأسرة من جهة وقبائل البربر مثل ورفجومة ونفزه من جهة أخرى ؛ قد اغرقت الشمال الافريقي في حروب دمويةمستمرة أدت الى فقدان الأمن والطمأنينة وجعلت الناس يتوقون الى تنصيب حاكم قوي يعيد الاستقرار لبلادهم ويخلصهم من ويلات الحروب والمنازعاتالدائمة. ورأى اباضية المغرب في هذه الظروف والأحوال السائدة فرصة مناسبة لتحقيق حلمهم في اعلان الامامة وتأسيس دولة خاصة بهم . وقد شجعهم على ذلك عودة حملة العلم الخمسة من البصرة محملين بارشاداتونصائح امامالاباضية الأكبر أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، ومن ضمنها اشارته عليهم باعلان الامامة حينما يطمئنون الى قوتهم والى امكانية الظفر بعدوهم . وفي عام ١٤٠ هـ وهو العام الذي رجع فيه حملة العلم الى المغرب انتخب الاباضية أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري الحميري لمنصب الامامة طبقا لأوامر أبي عبيدة الذي أمر بتعيين أبي الخطاب هذا في حديثه مع حملة العلم قبيل مغادرتهم البصرة الى شمال افريقية . وتذكر الروايات الاباضية أن حملة العلم الخمسة استشاروا أبا عبيدة بشأن تعيين امام لهم ان أنسوا من أنفسهم قوة وقالوا له : « اذا وجدنا من أنفسنا طاقة أفنولي على انفسنا رجلا منا ؟ أو ما ترى ؟ فقال لهم أبو عبيدة : توجهوا الى بلادكم فان كان في أهل دعوتكم ما يجب به عليكم التولية في العدد والعدة من الرجــال فولوا على أنفسكم رجلا منكم ، فان أبى فاقتلوه ، وأشار الى أبي الخطاب » . ليس هذا فحسب بل انه عين أحد حملة العلم وهو اسماعيل بن درار الغدامسي ليكون قاضيا لهم . (٤٨)

بعد أن عادت البعثة العلمية من البصرة باشر اعضاؤها بالاتصال بجماعة الاباضية وخاصة في منطقة طرابلس وجبل نفوسة ، وأخذوا يهيئون القبائل البربرية التي اعتنقت المذهب الاباضي - مثل قبيلة نفوســة وهوارة - استعدادا للثورة واعلان الامامة . وكان أبو الخطاب نفسه يقوم بالاتصــال بأعيان الاباضية ومشايخ القبائل ويتشاور معهم حول وجوب اعلان الامامة وأفضل السبل والاوقات لتحقيق هذا الهدف . (٤٩) وبعد مشاورات طويلة وسرية بين حملة العلم وزعماء الاباضية في منطقة طرابلس استقر الرأي على أن الظروف ملائمة لاعلان الامامة وأن لديهم من القوة البشرية والمادية مــا

---

٤٨) أبو زكريا ، ورقة ٧ ، الدرجيني ، ورقة ٨ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٤ .
٤٩) أبو زكريا ، ورقة ٨ .

يستطيعون به مواجهة عدوهم واحراز النصر عليه • وتذكر بعض الروايات الاباضية أن زعماء الاباضية أخذوا يتشاورون فيمن يولونه أمرهم وعرضوا ذلك على عبد الرحمن بن رستم فاعتذر • (٥٠) الا أن هذه الرواية مشكوك في صحتها لأن الامام كان قد عين من جانب أبي عبيدة ومن غير المعقول أن يتجاوز الاباضية أوامره ويضربون بوصيته عرض الحائط • والارجح أن هذه الرواية قد دست فيما بعد لتزيد من قيمة عبد الرحمن بن رستم ـ مؤسس الدولة الرستمية ـ وترفع من قدره ولتقوي مركزه بين أتباعه ورعيته • وعلى أية حال فالثابت أن اباضية طرابلس قد استقر رأيهم ـ بناء على توصية امامهم الاكبر أبي عبيدة التميمي البصري ـ على انتخاب أبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمح المعافري ليكون أول امام ظهور في شمال افريقية • وتشير المصادر الاباضية الى كيفية انتخابه فتذكر أن أعيان الاباضية وشيوخ القبائل الموالية كانوا يخرجون الى موقع قريب من طرابلس يدعى صياد للتشاور في افضل السبل لتحقيق هذا الغرض • وكانوا يزعمون أنهم يجتمعون هناك لقسمة أرض مشتركة او أنهم يمشون في صلح بين متخاصمين • وامعانا في السرية فقد كان زعماؤهم ووجهاؤهم يذهبون بعد عودتهم لمدينة طرابلس لزيارة الوالي والسلام عليه ، وكان بعضهم يسمر عنده في الليل حتى لا ينكشف أمرهم وتفشل جهودهم • (٥١) وعندما اتفقوا على عقد الامامة لأبي الخطاب واجتمعت كلمتهم عليه جعلوا بينهم يوما معلوما ليجتمعوا فيه في صياد حيث تتم البيعة • وفي الوقت المحدد جاءوا الى صياد وأتوا بأبي الخطاب وبايعوه بالامامة على أن يحكم بينهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآثار الصالحين • واشترط عليهم أبو الخطاب أن لا يذكروا في عسكره مسألة الحارث وعبد الجبار اللذين مر ذكرهما ووجدا مقتولين وسيف كل منهما في جثة صاحبه حتى لا يحدث الخلاف وتدب الفرقة بين جماعته • فقبلوا هذا الشرط وتمت البيعة في عام ١٤٠ هـ • (٥٢) وبعد أن تمت مراسيم البيعة في صياد توجهوا الى مدينة طرابلس للاستيلاء عليها طبقا لخطة كانوا قد وضعوها من قبل • وتذكر المصادر الاباضية أن الخطة كانت تقضي بأن يأتي كل واحد ممن حضر البيعة برجال من عشيرته ومعهم سلاحهم ثم يتوجهون الى المدينة وكأنهم تجار أرادوا بيع بضاعتهم • وعندما يتوسطون المدينة يخرج الرجال بأسلحتهم من الجواليق المحملة على الجمال ويحكمون ، فيخرج لمساعدتهم من بالمدينة من أهل دعوتهم الذين كانوا على علم سابق بالخطة والموعد المحدد لتنفيذها • وأيا كان الصحيح في تفاصيل هذه الرواية فالثابت أن الاباضية استطاعوا دخول طرابلس على حين غرة • ولم يتمكن الوالي من

---

٥٠) ابو زكريا ، ورقة ٨ ، الدرجيني ، ورقة ٨ •

٥١) ابو زكريا ، ورقة ٨ •

٥٢) ابو زكريا ، ورقة ٩ ، الدرجيني ، ورقة ١٠ ، شماخي ، **سير** ، ص ١٢٥ـ١٢٦ •

الاستعداد للدفاع عن المدينة فاضطر للاستسلام • وخيره الاباضية بين الخروج بأمان أو القعود في المدينة على أن ينزع نفسه من الولاية • فاختار الخروج واتجه الى المشرق واستولى أبو الخطاب على طرابلس وأحسن السيرة واظهر العدل ولم يتعرض للسكان بأذى • (٥٣)

بعد هذا النجاح الذي حققه الاباضية في المغرب أرسلوا الى امامهم الاكبر في البصرة ، أبي عبيدة التميمي ، يخبرونه بانجازاتهم ويطلبون رأيه في بعض المسائل • وسر أبو عبيدة بذلك وأرسل اليهم كتابا هنأهم فيه وأجابهم على استفساراتهم وجاء فيه : « أتاني كتابكم تذكرون فيه ما من الله به عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم • ولعمري ما كثرتهم وان كثروا بأكثر ممن كان قبلهم على من قبلكم من سلفكم ، فاقتدوا بهم تهون عليكم كثرتهم •• نسأل الله العون والتوفيق في جميع أموركم ، وأن يكفنا واياكم بأسهم ، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم • فلعمري لقد أسرني ما انتهيتم اليه من أمركم ، وان كان ذلك لم يخف عنا • غير أنا لم نظن الذي كتبتم به الي • والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه •

أتانا كتابكم بمسائل : فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها ، ومنها ما رأيت ألا نجيبكم من غير هوان ولا تقصير الا الذي رأيته أصلح لجماعتكم وأقوم لشأنكم وأرفق لضعيفكم وأعطف في الذي اجيبكم فيه ، فما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ في رواية أو خبر أو غير ذلك فمن نفسي •• » (٥٤)

يتضح من هذه الرسالة أن أبا عبيدة كان على اتصال مستمر مع أتباعه في المغرب وأنهم كانوا يأتمرون بأمره ويسترشدون بنصائحه • وواضح كذلك أن أبا عبيدة كان يتجنب الخوض في مسائل فلسفية عميقة أو يجيب على اسئلة قد تؤدي الى اختلاف الرأي بين أصحابه في شمال افريقية وخاصة أنه كان على دراية بأن بعض من اعتنق المذهب لم يتمكن من تعاليمه بعد ، كما أن البعض الآخر لم يفعل ذلك عن قناعة وفهم بل كان مدفوعا بعصبية قبلية أو مصلحة ذاتية • (٥٥)

---

٥٣) ابو زكريا ، ورقة ٩ ، الدرجيني ، ورقة ١٠-١١ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٥ — ١٢٦ •

٥٤) ابو عبيدة ، رسالة في احكام الزكاة ، ورقة ١١٤ •

٥٥) المصدر نفسه •

بعد أن احتل أبو الخطاب طرابلس واطمأن الى استقرار الاحوال فيها قرر أن يوسع حدود ولايته على حساب ممتلكات مخالفيه في المذهب · فاحتل **جزيرة جربة وجبل دمر عام ١٤٠ هـ (٥٦) · ثم استولى على قابس في نفس العام** ودانت له معظم بلاد المغرب الأدنى · (٥٧) بعد ذلك رنا ببصره صوب القيروان ـ عاصمة افريقية وقصبتها · وترى المصادر السنية (٥٨) والاباضية (٥٩) أن **سبب خروج أبي الخطاب الى القيروان كان استجابة لاستغاثة النساء** القيروانيات اللاتي أرسلن له يصفن فساد ورفجومة وانتهاكها للحرمات · ومهما كانت صحة هذه المعلومات فالمرجح أن أبا الخطاب كان يتوق لاحتلال القيروان لما تثيره من ذكريات مجيدة وعزيزة في نفوس المسلمين ، **حيث أنها أول مدينة** اسلامية في بلاد المغرب وعاصمة ولاية افريقية · وما قيل عن ظلم ورفجومة وفسادها ـ وان صح ـ انما كان ذريعة لالهاب مشاعر الاباضية وتحميسهم للاشتراك في الحملة العسكرية المزمع القيامبها ضد ورفجومة التي كانت تسيطر آنذاك على القيروان ·

كان أبو الخطاب يدرك أهمية ضم القيروان « لمملكته » ولذا عمل كل ما في وسعه لضمان حملته العسكرية · وتذكر بعض الروايات أنه نادى ـ قبل سيره ـ **بالصلاة الجامعة وخطب أتباعه مرغبا اياهم في الجهاد وطالبا منهم الصبر والجلد** في سبيل الوصول الى الهدف المنشود · ثم أمر أصحابه بالتأهب الكامل والاستعداد للسير نحو القيروان ، وخرج من المسجد وسل سيفه وكسر غمده دليلا على تصميمه للوصول الى مأربه ونادى : « لا حكم الا لله » · **فاجتمع اليه أصحابه وهم ينادون : « لا حكم الا لله ولا امام الا ابي الخطاب » (٦٠)·** وعلى الرغم من الحماس الذي أبداه أتباعه فقد أراد أن يطمئن الى أن كل من صحبه في سيره مخلص ومصمم على الموت في سبيل المبدأ والهدف وقرر أن لا يشترك في الحملة متردد أو متخاذل أو من لم تسعفه ظروفه الخاصة لأي سبب كان · وأمر مناديه أن ينادي : « من له أبوان كبيران أو أحدهما فليرجع ، ومن له عروس قريب عهدها فليرجع . ومن أراد الرجوع منكم فليرجع بالليل» · (٦١)

---

٥٦) أبو راس ، **مؤنس الاحبة** ، ص ٤٥ .

٥٧) ابو زكريا ، ورقة ١٠ ، الدرجيني ، ورقة ١١ ، شماخي ، **سير** ، ص ١٢٨ .

٥٨) الرقيق ، ص ١٤١ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٣١٦ ، النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ، ص٤٤ .

٥٩) ابو زكريا ، ورقة ١٠ ، الدرجيني ، ورقة ١١ ، شماخي ، **سير** ، ص ١٢٧ .

٦٠) ابو زكريا ، ورقة ١٠ .

٦١) ابو زكريا ، ورقة ١٠ ، الدرجيني ، ورقة ١١ ، انظر ايضا شماخي ، **سير** ، ص ١٢٧ .

وتبعا لذلك رجع جماعة من جيشه وعدلوا عن الاشتراك في الحملة وبقي أبو الخطاب في ستة آلاف من أصحابه ۰ (٦٢) وسار بهم الى القيروان فألقى عليها الحصار ولما أبت عليه لجأ الى الحيلة فأمر أصحابه أن يخرجوا بالليل الى مكان يدعى رقادة ، غير بعيد عن القيروان ، ليوهم العدو أنه انسحب ۰ وفي الصباح وجدت ورفجومة منزل أبي الخطاب خاليا فاعتقدوا أنه لم يعد يقوى على الحصار فآثر الانسحاب فتعقبوه ، ولما وصلوا رقادة فوجئوا بكمائنه ۰ ودار قتال بين الطرفين انتصر فيه أبو الخطاب وهربت ورفجومة راجعة الى القيروان ۰ وفي هذه الاثناء انضم بعض أهل القيروان الى أبي الخطاب لسخطهم على ورفجومة ورغبتهم في التخلص من سيطرتها وبذلك استطاع أبو الخطاب أن يتغلب على عدوه ويحتل القيروان في عام ١٤١ هـ (٦٣) ۰

وترسم المصادر الاباضية ــ كعادتها ــ صورة مثالية للمعاملة الحسنة التي لقيها أهل القيروان من أبي الخطاب الذي أمر أصحابه بأن لا يتبعوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ۰ وقرع أحد اصحابه عندما أشار عليه بأخذ أموال المهزومين جريا على المعاملة بالمثل ۰ ولكن أبا الخطاب ذكره أن مبادئهم لا تجيز ذلك وأن دماء مخالفيهم وأموالهم حرام عليهم وخاطبه قائلا : « ان فعلنا ما فعلوا فحقيق على الله أن يرفضنا ، ويدخلنا معهم جهنم ۰ فنكون كما قال الله تعالى : « كلما دخلت أمة لعنت أختها ، حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ۰ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » ۰ (٦٤) والواقع أن الاباضية كانوا يعاملون اعداءهم المهزومين باحسان وعدل ۰ ولا تذكر المصادر غير الاباضية شيئا معاكسا لذلك وان كانت لا تسرف في المديح ولا تطنب في الحديث عن مثالية الامام الاباضي كما تفعل المصادر الاباضية ۰

بعد أن نظم أبو الخطاب الامور في القيروان عين واليا عليها عبد الرحمن ابن رستم الفارسي ، أحد حملة العلم الخمسة ۰ وعاد هو الى طرابلس التي اتخذها مقرا له ربما لكثرة الاباضية في تلك المنطقة وخاصة في جبل نفوسة ، ولكي يستعد لمواجهة الخطر المحدق به من الشرق بعد أن صمم العباسيون على استعادة سلطان الخلافة في بلاد المغرب (٦٥) ۰

---

٦٢) ابو زكريا ، ورقة ١١ ، الدرجيني ، ورقة ١١ شماخي ، سير ، ص ١٩٧ ۰

٦٣) ابو زكريا ، ورقة ١٠ــ١١ ، الدرجيني ، ورقة ١١ــ١٢ ، شماخي سير ، ص ١٢٧ــ١٢٨ ، انظر ايضا ابن الاثير ، ج٥،ص ٣١٧ ، ابن عذارى ، ج١،ص٧١ ، النويرى ، ج٢٢ ، ق١،ص٤٤ ، البكري ص٢٨ ۰

٦٤) سورة الاعراف ، آية ٣٨ ۰ عن المعلومات انظر : ابو زكريا ، ورقة ١١ ، الدرجيني ، ورقة ١١ــ١٢ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٨ ۰

٦٥) ابو زكريا ، ورقة ١١ ، الدرجيني ، ورقة ١٢ ، النويرى ، ج٢٢،ق١ ، ص ٤٤ ، انظر ايضا ابن الاثير ج٥ ، ص٣١٧ ۰

الصراع بين الاباضية والخلافـة العباسية

لم تعط الادارة العباسية انتباها كافيا لما كان يجري في بلاد المغرب خلال العقد الرابع من القرن الثاني الهجري نظرا لانشغالها بتوطيد حكمها في الولايات الشرقية ٠ ولما تم لها ذلك رنت ببصرها صوب المغرب ٠ وصمم أبو جعفر المنصور ـ الخليفة العباسي آنذاك ـ على بذل كل ما فيوسعه لاعادة بلاد المغرب الى حوزة الخلافة العباسية (٦٦) ٠وفي عام ١٤٢هـ عين أبو جعفر المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي واليا على مصر وأمره بتوجيه الجيوش للمغرب واعادة ضمها الى حظيرة الدولة العباسية ٠ وفور وصوله الى مصر أرسل حملة بقيادة العوام بن عبد العزيز البجلي ضد الاباضية الذين سيطروا آنذاك على بلاد المغرب الأدنى ٠ ولما سمع أبو الخطاب بذلك سار للقائه ٠ وعندما وصل موقع ودراسة أرسل أحد قواده لمجابهة العوام بن عبد العزيز وهزم الاخير وعاد الى مصر (٦٧) ٠ وفي نفس العام تمكنت جيوش أبي الخطاب من هزيمةجيش آخر بقيادة أبي الأحوص عمرو بن الأحوص العجلي (٦٨) ٠

لما سمع الخليفة بهذه الانتصارات التي أحرزها الاباضية بعث الى واليه ابن الاشعث يأمره بالسير لحرب الاباضية وأمده بجيشكبير بلغ مقداره ٤٠الف رجل (٦٩) ٠ ووجه معه بعض كبار قادته مثل الأغلببنسالم التميمي والمحارب ابن هلال والمخارق بن غفار الطائي ، وأمرهم جميعا بالسمع والطاعة لابن الأشعث ٠ ولكي يطمئن الخليفة على جنده ويأمن شر الارتباك والفتنة والفوضى فقد أوصى بأن يستلم القيادة الأغلب بن سالم التميمي ان قتل ابن الاشعث أو حدث ما يمنعه من الاستمرار في قيادة الجيش ٠ وان حدث للاغلب مكروه فتعطى القيادة للمخارق الطائي ، وان قتل الاخير فيستلم المحارب بن هلال قيادة الجيش ولكن الاخير توفي في الطريق (٧٠) ٠

---

٦٦) حاول الخليفة العباسي الاول اعادة ضم المغرب للخلافة العباسية وارسل حملة عسكرية للمغرب لتحقيق هذا الهدف ولكنه اضطر للعدول عن هذا الراي نظرا للمشاكل التي برزت في بعض ولايات المشرق مثل ثورة عبدالله بن علي ، عم الخليفة ٠ انظر مزيدا من التفاصيل في : الكندي، **الولاة والقضاة**، ص ١٠٢-١٠٣ ، **ابن تغري بردي** ، **النجوم الزاهرة** ، ج١ ، ص ٣٣١ ، سعد زغلول عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي** ، ص ٢٩٢ ــ ٢٩٥ ، احسان عباس ، **تاريخ ليبيا** ، ص٤٥-٤٦ ٠

٦٧) شماخي ، **سير** ، ص ١٣٠ ٠

٦٨) ابن عذارى ،ج١،ص٧١، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٣١٧ ، **النويري** ، ج٢٢،ق١، ص٤٥ ٠

٦٩) يذكر ابن الاثير أن عدد الجيش كان خمسين الفا بينما تورد المصادر الاباضية ان عدده سبعون الفا ٠ انظر : ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٣١٧، ابو زكريا ، ورقة ١٢، الدرجيني ، ورقة ١٣ ، شماخي ، **سير** ، ص ١٣٠ ٠

٧٠) ابن عذاري ، ج١، ص ٧٢ ، النويري ، ج٢٢ ، ق١، ص ٤٥ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص٣١٧ ٠

عندما سمع أبو الخطاب بانباء سير ابن الاشعث نحو المغرب أرسل لولاته وأتباعه في كل أنحاء المغرب ليوافوه بالرجال والمال لدفع الخطر المحدق بدولتهم الاباضية الفتية . وتجمع لديه ما يزيد على تسعين ألف محارب (٧١) .

وفي هذه الأثناء كان ابن الاشعث يرسل عيونه وجواسيسه لمعرفة أخبار أبي الخطاب . وقد رجعت عيون ابن الاشعث تحمل له أنباء الحشود الاباضية وتصميم رجال أبي الخطاب على الاستماتة في الدفاع عن دولتهم الناشئة . فضاق ابن الاشعث ذرعا بهذه الاخبار ، وتردد في لقاء أبي الخطاب في البداية ثم لجأ الى الحيلة لتفريق جند أبي الخطاب . فعمد الى رجال من عسكره وأمرهم أن يتزيوا بزي رسل قادمين من مركز الخلافة وأودعهم كتابا منسوبا لأبي جعفر المنصور ومرسلا لابن الاشعث ، وأمرهم بأن يتنحوا عن المعسكر وأن يأتوا في الغد وكأنهم قادمون من بغداد ومبعوثون من الخليفة . وفي الموعد الذي حدده لهم جاء الرجال وقدموا على معسكره وسلموا اليه الرسالة ففضها ابن الاشعث وقرأها على الجند وادعى أن أبا جعفر أمره بالرجوع لأمر هو أحوج اليهم فيه مما توجهوا اليه . فرجع العسكر نحو مصر ولكن ببطء شديد . وكانت عيون أبي الخطاب تتعقب ابن الاشعث فاذا ارتحل مرحلة رجعت منهم طائفة . وفي نفس الوقت كان ابن الاشعث يرسل خيلا تقطع الاثر خلفه لتنظر هل بقي في معسكره من عيون أبي الخطاب أحد .

وكان بعض جواسيس ابن الاشعث مقيمين في معسكر أبي الخطاب . فلما وصلت عيون أبي الخطاب وأخبروه أن ابن الاشعث رجع الى مصر ، تفرق جند أبي الخطاب ورجعوا الى منازلهم رغم نصيحة أبي الخطاب وأمره اياهم بعدم العودة حتى يتأكدوا من رجوع ابن الاشعث الى مصر (٧٢) .

لما أيقن عيون ابن الاشعث بتفرق القوم انطلقوا الى صاحبهم وأخبروه . فعاد ابن الاشعث مسرعا نحو المغرب ولم يفطن به أبو الخطاب الا بعد دخوله منطقة طرابلس . وكان أبو الخطاب آنذاك في ١٢ أو ١٤ ألف رجل من أصحابه . فاضطر أبو الخطاب لمواجهة ابن الاشعث في معركة عنيفة في ربيع الاول من عام ١٤٤ هـ في تاورغا قرب سرت ، قتل فيها أبو الخطاب وكل أتباعه الذين اشتركوا معه في المعركة (٧٣) . وتعود هزيمة أبي الخطاب الى الاسباب التالية : —

---

٧١) ابوزكريا ، ورقة ١٢ ، الدرجيني ، ورقة ١٣ .

٧٢) ابوزكريا ، ورقة ١٢ ، الدرجيني ، ورقة ١٣ ، شماخي ، سير ، ص ١٣١ — ١٣٢ ، انظر ايضا ابن عذاري ، ج١ ، ص ٧٢ ، النويري ، ج٢٢،ق١ ص ٤٥—٤٦ .

٧٣) ابو زكريا ، ورقة ١٢—١٣ ، الدرجيني ، ورقة ١٣ ، شماخي ، سير ، ص ١٣١ — ١٣٢ ، أنظر أيضا ابن عذاري ، ج١ ، ص ٧٢ ، النويري ، ج٢٢،ق١،ص٤٥—٤٦ .

١ ــ أن توقيت المعركة لم يكن في صالحه ٠ فقد كان وقت حصاد ولم يكن خبر عودة ابن الاشعث الى مصر يتناهى الى أسماع القوم حتى أسرعوا الى أوطانهم لجني محاصيلهم قبل أن تتلف ٠ وقد نصحهم أبو الخطاب بالتمهل ولكن العامة غلبت عليه فأذن لهم بالانصراف (٧٤) ٠

٢ ــ أما العامل الثاني فهو النزاع الذي نشب بين زناتة وهواره من أتباع أبي الخطاب واتهمت زناتة أبا الخطاب بميله وتحيزه لهوارة فانصرفت عنه قبيل وصول ابن الاشعث مما قلل عدد أصحابه وأضعف قوة جيشه(٧٥)٠

٣ ــ بالاضافة الى ذلك فان الحيلة التي اتبعها ابن الاشعث ثم سرعته في السير نحو أبي الخطاب واختيار الموقع كان لها آثار في اضعاف قوة الاباضية الذين حرموا من الماء واضطروا الى القتال في مكان لم يختاروه، ولم يعرفوه (٧٦) ٠

٤ ــ أخطأ أبو الخطاب حينما رفض نصيحة أصحابه الذين أشاروا عليه بعدم السير للقاء ابن الاشعث والانتظار حتى تتكامل قواته وتصله الامدادات من مختلف البقاع التي يسيطر عليها الاباضية ٠ وتذكر المصادر أن كثيرا من الامدادات كانت في طريقها اليه عندما علموا بوصول ابن الاشعث الى حيز طرابلس ، ومن بينها جيش يقوده عبد الرحمن بن رستم ،والي القيروان ٠ وقد وصلته أنباء الهزيمة وقتل الامام أبي الخطاب بينما كان في طريقه للانضمام اليه (٧٧) ٠

بعد معركة تاورغا خاض ابن الاشعث معركة أخرى ضد أبي هريرة الزناتي الذي كان يقود ١٦ ألفا من أتباعه ٠ ولا تذكر المصادر المتوافرة أية معلومات عن معتقدات الزناتي وأتباعه أومن أين جاءوا ولا المكان الذي حدثت فيه المعركة بينه وبين جند الخلافة ٠ وربما كانوا من اباضية زناتة الذين انفصلوا عن أبي الخطاب ثم ندموا على فعلتهم فكفروا عن خطأهم بمقاتلة ابن الاشعث ٠ومما يرجح هذا الرأي أن ابن عذارى يذكر أن هزيمة الزناتي قد حدثت في ربيع الاول من عام ١٤٤ هـ أي في نفس الشهر الذي حدثت فيه معركة تاورغا ٠ ومن المحتمل أيضا أن هؤلاء الزناتيين قد جاءوا مددا لابي الخطاب واستجابة

---

٧٤) ابو زكريا ، ورقة ١٢ ، الدرجيني ، ورقة ١٣ ، شماخي ، سير ، ص ١٣١ ٠

٧٥) ابن عذارى ، ج١،ص ٧٢ ، النويرى ، ج٢٢ ،ق١،ص ٤٥٠

٧٦) ابو زكريا ، ورقة ١٣ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ ٠

٧٧) ابو زكريا ، ورقة ١٣ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ ، شماخي ، سير ، ص ١٣٢ ٠

٧٨) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٢ ٠

لنداته قبل نشوب المعركة بينه وبين ابن الاشعث ، ولكنهم وصلوا بعد فوات الاوان فسقطوا فريسة في يد ابن الاشعث وقواته ولاقوا هزيمة مرة (٧٩) ٠

بعد هذا النصر الذي احرزه ابن الاشعث تفرق الاباضية في الجبال والتجأوا الى حصونهم المنيعة هناك ٠ أما ابن الاشعث فقد سار نحو القيروان ودخلها في جمادى الاولى سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١م(٨٠)٠ ثم قام بتحصين المدينة وشيدحولها سورا استغرق بناؤه ما يقرب من عامين (٨١) ٠

وفي نفس الوقت الذي اهتم فيه بتحصين المدينة واعادة تنظيمها فانــه لم يغفل عن دك جيوب الثوار وفي مقدمتهم الاباضية ٠ وكان يبادر لمهاجمتهم في أي مكان وفي أي زمان يشعر فيه بتجمعهم واستعدادهم للثورة محــــاولا القضاء على الشر قبل وقوعه ٠ وفي أواخر عام ١٤٤ هـ أرسل جيشا ضد الاباضية في منطقة ودان واستطاع اخضاعهم وقتل عدد كبير منهم (٨٢) ٠ وفي العـــام نفسه أرسل حملة أخرى بقيادة اسماعيل بن عكرمة الخزاعي ليخضع الاباضية في منطقة زويلة وكانوا قد تجمعوا تحت امرة زعيم لهم يدعى عبد الله بن حيان الاباضي ٠ واستطاع الخزاعي أن يخضعهم ، واضطر بعضهم للهجرة من زويلة والالتحاق بمعاقل الاباضية في المغـــــرب الاوســـــط حيث استقر عبد الرحمن بن رستم بعد مقتل الامام أبي الخطاب ٠ وحاول ابن الاشعث تشتيت جموعهم هناك فقاد حملة ضدهم وألقى عليهم الحصار ٠ لكن ابن رستم وأتباعه الاباضية كانوا قد تحصنوا في أماكن منيعة جدا لم يستطع ابن الاشعث اجتيازها ، وطال الحصار وأصيب جيشه بالجدري وهلك منهم خلق كثير مما اضطره للعودة الى القيروان تاركا ابن رستم وشأنه في المغــــرب الأوسط ٠ وكان لهذا الفشل اثر كبير في رفع معنويات ابن رستم وأتباعـــه الاباضية مما شجعهم على المضي قدما في الاستعداد لتأسيس دولة اباضية في تلك المنطقة من بلاد المغرب واستطاعوا تحقيق ذلك نحو عام ١٦٢ هـ كما سنرى (٨٣) ٠

على الرغم من فشل حملة ابن الاشعث ضد اباضية المغرب الاوسط فـــان جهوده في قمع الحركات المناوئة ، على اختلافها ، قد أدت الى خلق الهدوء والاستقرار في المغرب الادنى وافريقية ٠ وتشير المصادر الى أن ابن الاشعث بقي نحو ثلاثة أعوام (١٤٥ هـ ـ ١٤٧ هـ) ينعم بالهدوء والسلام ، ولم يقم في

---

٧٩) المصدر نفسه ٠

٨٠) ابن عذارى ، ج١،ص ٧٢ ، النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ، ص ٤٦ ٠

٨١) المصدر نفسه ٠

٨٢) ابن عذارى ، ج١، ص ٧٣ ٠

٨٣) ابن عذاري ، ج١،ص ٧٣ ، ابو زكريا ، ورقة ١٣ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ ، شماخي ، سير ، ص١٣٣

افريقية ما يعكر صفو الأمن • وانصرف الناس الى أراضيهم ومزارعهم يستغلونها في جو من الاستقرار والطمأنينة • ولعل هذا ما يفسر لنا خصوبة الارض وكثرة الانتاج الذي تتكلم عنه المصادر في عام ١٤٥ هـ (٨٤) • ولكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا نظرا للنزاع الذي نشب بين جند الخلافة أنفسهم • فقد انشق عن ابن الاشعث بعض قادة الجيش الذين رافقوه في حملته على بلاد المغرب واتهموه بالعصبية القبلية والاستبداد في الرأي • وهددوه بالموت ان لم يتخل عن الولاية • وأمام هذه المعارضة اضطر ابن الاشعث للتخلي عن الولاية والرجوع الى المشرق وولى الجند عليهم عيسى بن موسى الخراساني – أحد أبرز المناوئين لابن الاشعث – حتى يأتيهم الوالي الجديد • فعين الخليفة الأغلب بن سالم التميمي خلفا لابن الاشعث • وكان الأغلب قد جاء في جيش ابن الاشعث وولاه الاخير على الزاب وطبنة • ولما جاءه أمر الخليفة بتعيينه واليا ارتحل الى القيروان وكان ذلك عام ١٤٨ هـ • وقد بدا أن الاغلب سوف يحظى بتأييد جند الخلافة ويتفرغ لمحاربة الثوار الخوارج وتعمير البلاد• وبقي نحو عامين دون معارضة تذكر • وفي عام ١٥٠ هـ ثار الخوارج الصفرية بزعامة أبي قرة اليفرني في منطقة تلمسان فخرج اليه الاغلب ، مخلفا سالم بن سوادة التميمي نائبا عنه في القيروان • ففر أبو قرة أمام جيش الاغلب وحاول الاخير اللحاق به الى منطقة طنجة ولكن الجند انشقوا عنه ورفضوا خطته معتقدين بعدم لزوم ملاحقة الخوارج بعد أن أبعدوا عن القيروان • ولم يلبث أن ثار عليه بعض القادة واضطر الأغلب الى محاربة جنود كانوا في الاصل تحت امرته ولاقى حتفه في هذا النزاع عام ١٥٠ هـ (٨٥) •

عندما علم الخليفة بذلك عين عمر بن حفص ، من ولدقبيصة بن أبي صفرة أخي المهلب واليا على افريقية والمغرب • وكان عمر من القادة البارزين الشجعان حتى أنه كان يلقب هزارمرد وهي كلمة فارسية تعني ألف رجل(٨٦)• وصل عمر القيروان عام ١٥١ هـ يرافقه حرسه المكون من ٥٠٠ فارس • وكان لشجاعته وبطولته أثر كبير في انقياد الناس له • أضف الى ذلك أنه كان لبقا في استمالة الناس وتأليف قلوبهم ، اذ أنه تقرب من وجهائهم ووصلهم بالهدايا والاموال وأحسن معاملتهم مما أدى الى اذعانهم له واعترافهم بزعامته • وبقي في القيروان نحو ثلاثة أعوام ونيف ينظم شؤونها في سلام وطمأنينة ولم نسمع عن معارضة جدية قامت ضده اثناء تلك الفترة مما يشير الى قبول الجند بقيادته ورضاهم عن سيرته (٨٧) •

---

٨٤)ابن عذاري ، ج١،ص٧٣،النويري ، ج٢٢ ، ق١،ص٤٥ وما بعدها .

٨٥) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٣–٧٥، النويرى ، ج٢٢ ، ق١،ص ٤٥ – ٤٨ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص٣١٨، ٥٨٦–٥٨٧ .

٨٦) النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ، ص ٤٨ ، ابن الاثير ، ج ، ص ٥٩٥ .

٨٧) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٥ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٥٩٥ ، النويرى ، ج٢٢،ق١،ص ٤٨ ، ابن خلدون ، ج٤ ، ص ٤١٢ .

وفي عام ١٥٤ هـ واجه ابن حفص أخطر ثورة خارجية في بلاد المغرب ضمت الصفرية والاباضية • وبدأت بذلك مرحلة جديدة من الصراع بين الاباضية وبين الولاة المهالبة الذين حكموا افريقية وبلاد المغرب نحو ربع قرن من الزمان (١٥١ هـ الى ١٧٨ هـ) •

الصراع بين الاباضية والولاة المهالبة

بعد موت الامام أبي الخطاب عام ١٤٤ هـ / ٧٦١ م اضطر الاباضية في المغرب الادنى وافريقية الى العودة الى مرحلة الكتمان ، لعدم قدرتهم على الاستمرار في مرحلة الظهور • ولما كانوا مهددين بالخطر من جانب الولاة العباسيين فقد اضطروا الى اعلان مرحلة الدفاع وانتخبوا أبا حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي امام دفاع لهم عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م (٨٨) • ويبدو أن سلطان أبي حاتم كان مقصورا على بعض مناطق طرابلس وأن ولايته كانت للدفاع فقط وفي ذلك تقول المصادر الاباضية : « فلما أنس المسلمون (الاباضية) من أنفسهم قوة في حيز طرابلس اجتمعوا فأظهروا أن اجتماعهم في شأن امرأة صالحة اسمها مسلمة أساء اليها زوجها فلما اتقنوا رأيهم وحضر كل من ينظر اليه عقدوا الولاية لأبي حاتم » • « وكانت ولايته ولاية الدفاع وطلب الحق » (٨٩) • ويبدو أن أبا حاتم كان ينظر الى عبد الرحمن بن رستم ـ الذي كان قد لجأ الى المغرب الاوسط بعد موت أبي الخطاب وأقام مركزه في تاهرت ـ على انه الامام الذي يجب أن يعترف بقية الاباضية بامامته • والدليل على ذلك أن أبا حاتم كان « يرسل ثقاته بما يجتمع من مال الصدقة الى عبد الرحمن قبل ظهوره » (٩٠) • ولعل مرد ذلك الى أن عبد الرحمن كان أحد حملة العلم الخمسة كما عينه أبو الخطاب ـ أول امام ظهور في شمال افريقية ـ قاضيا لطرابلس ثم واليا على القيروان • ولذا فقد كان يتمتع بمكانة رفيعة جعلت بقية

---

٨٨) ابو زكريا ، ورقة ١٢ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ ، شماخي ، سير ، ص ١٣٤ . يختلف المؤرخون في أصل ابي حاتم ، اذ أن النويرى وابن الاثير والشماخي يذكرون بانه مولى كنده . أما ابو زكريا والدرجيني والبرادي فيذكرون انه من هوارة ويجعله البلاذرى من سدراته بينما ينسبة ابن خلدون الى قبيلة مغيلة . أنظر : النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ، ص ٤٩ ، ابن الاثير ج٥ ، ص ٥٩٨ ، شماخي ، سير ، ص١٣٣ ابو زكريا ، ورقة ١٣ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ ، برادي ، **الجواهر** ، ص١٧٣، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٦ ابن خلدون ، . ومن المرجح ان أبا حاتم ينتمي الى قبيلة هوارة أشد القبائل البربرية حماسا للمذهب الاباضي منذ بداية تسربه الى الشمال الافريقي . ويبدو أن ابن خلدون قد أخطأ فوضع مغيلة بدلا من مليلة وهي احدى بطون هوارة .

٨٩) ابو زكريا ، ورقة ١٣ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ ، شماخي ، سير ، ص ١٣٤ .

٩٠) ابو زكريا ، ورقة ١٢ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ .

الاباضية في شمال افريقية ينظرون اليه زعيما وقائدا رغم أنه لم يعتبر بعد امام ظهور ٠

ويبدو أنه كان هناك زعماء اباضيون اخرون في مناطق اخرى من بلاد المغرب مثل عاصم السدراتي (٩١) ٠ والمسور الزناتي ٠ ويذكر بعض الدارسين المحدثين أن هؤلاء الزعماء الاباضية كانوا مستقلين بعضهم عن بعض(٩٢)٠ ولكن المصادر الاباضية تشير الى عكس ذلك ، وتذكر أنهم جميعا كانوا يعترفون بسلطة أبي حاتم وينضوون تحت امرته في أوقات الحرب ٠ وهذا يدل على أن أبا حاتم كان امام الدفاء ، والسدراتي والزناتي وغيرهم كانوا أشبه بولاة تابعين له ٠ ونظرا لأن مناطقهم معزولة عن طرابلس بمناطق تحت حكم مخالفيهم فقد تصرفوا وكأنهم مستقلين لصعوبة الاتصال المستمر بينهم وبين الامام (٩٣) ٠

وعلى أي حال فان الاباضية ـ بعد مقتل امامهم أبي الخطاب ـ افتقروا الى الوحدة الحقيقية مما أضعف قوتهم الى حين ٠ وهذا ما حدا بأبي حاتم بأن لا يبدأ بمناوشة الاعداء فور انتخابه امام دفاع عام ١٤٥ هـ ٠ وبقي مدة خمس سنين يعمل في السر ويستخدم التقية الدينية حتى تمكن من جمع شتات الاباضية في ولاية طرابلس ٠ وعندما أنس من نفسه قوة واطمأن الى قدرة أتباعه واخلاصهم أراد اعلان الثورة عام ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م (٩٤) ٠ وتناهت أنباء استعداداتهم الى والي طرابلس ، الجنيد بن سيار ، فبعث لهم ٥٠٠ فارس ليطلبوا منه الطاعة والولاء للخليفة العباسي ٠ وواضح من عدد هذه القوة أنها لم تكن مرسلة للحرب بل للتهديد والوعيد ٠ وعندما وصلوا اليهم طلب أمير القوة من الاباضية أن يقروا بطاعة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ٠ ولم يشأ الاباضية أن ينكشف أمرهم كما لم يريدوا التسرع في اعلان التمرد والثورة فأعلنوا طاعتهم لامير المؤمنين ولكن دون تسميته ، وكانوا يعنون بذلك الامير الذي ارتضوه لأنفسهم وهو أبو حاتم ٠ وفي هذا الرد تقية ٠ على أثر ذلك رجعت القوة الى طرابلس وأعلمت الوالي بأن القوم قد اعلنوا الطاعة لأمير

---

٩١) اخطا المستشرق البولندي ليفتسكي **Lewicki** عندما اشار اليه بأنه أحد حملة العلم الخمسة انظر : **T. Lewick, E'tudes Ibadites, pp. 77 - 8 .**

والصحيح ان الرجل الذي يحمل نفس الاسم والذي كان واحدا من حملة العلم قد توفي سابقا أثناء حصار ابي الخطاب لمدينة القيروان عام ١٤١ هـ ٠ انظر ابو زكريا ، ورقة ١٠ــ١١ ، الدرجيني ، ورقة ١١ــ١٢ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٧ ٠

٩٢) **T. Lewicki, op. cit, p. 77, Fournel, I, p. 371**

٩٣) ابو زكريا ، ورقة ١٤ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ ـــ ١٦ ٠

٩٤) الشطيبي ، **الجمان** ، ورقة ٣٠٢ــ٣٠٣ ، بروفنسال ، **نبذ تاريخية** ، ص٤٩ ٠

المؤمنين (٩٥) • ويبدو أن الوالي لم يطمئن لنوايا الاباضية فأرسل اليهم حملة عسكرية الا أنها منيت بالهزيمة (٩٦) • وفي هذه الاثناء وصل الوالي عمر بن حفص الى القيروان عام ١٥١ هـ فكتب اليه والي طرابلس يستمده • فبعث اليه عمر قوة على رأسها خالد بن يزيد المهلبي • وعندما وصل طرابلس خرج واليها ، الجنيد بن سيار لاستقباله وسار الجميع لقتال الاباضية • ولما اقتربوا منهم طلب الجنيد منهم أن يعلنوا الولاء والطاعة لأبي جعفر المنصور بالاسم • فأبوا ذلك وردوا عليه ردا قبيحا وقالوا : « عليك لعنة الله وعلى أبي كافر معك ، يعنون أبا جعفر » • فاقتتل الطرفان وهزم الجيش العباسي ولحق بهم الاباضية الى طرابلس • واضطر الوالي ومن معه الى اخلاء المدينة واللجوء الى قابس (٩٧) • ولا تذكر المصادر المتوافرة تاريخا لهذه الحوادث ولكنها تشير الى أن هزيمة والي طرابلس قد جرت بينما كان عمر بن حفص موجودا في طبنة (٩٨) • ولما كان عمر قد ارتحل الى هناك في سنة ١٥٣ هـ فمن المحتمل أن تكون هزيمة والي طرابلس واحتلال الاباضية للمدينة قد حدث في العام نفسه •

وتجدر الاشارة الى أن أصحاب أبي حاتم ـ خلافا لعادتهم ومبادئهم ـ قد انتهكوا الحرمات في طرابلس وسلبوا القتلى والجرحى مما اغضب أبا حاتم نفسه • وتشير المصادر الاباضية الى أن الذين قاموا بهذه الاعمال كانوا من عوام البربر الذين لم يتمكنوا بعد من العقيدة الاباضية (٩٩) • وأغلب الظن أن ما ذهبت اليه هذه المصادر صحيح ، لأن ما حدث كان بالفعل مخالفا لسيرة الأئمة الاباضية في كل معاركهم التي خاضوها سواء في المشرق أو المغرب • والدليل على ذلك أن ابا حاتم نفسه قد استنكر بشدة ما فعله عوام البربر من جيشه وخاطبهم معنفا وقال : « ليس من سيرة المسلمين (الاباضية) اذا قتلوا من بغى عليهم من أهل التوحيد أن يسلبوهم بل يقولوا لأهل المدينة : ارجعوا الى قتلاكم فادفنوهم وخذوا ثيابهم » • وهددهم باعتزال الامامة ان لم يردوا الأسلاب الى أصحابها (١٠٠) •

بعد الاستيلاء على طرابلس لاحق أبو حاتم وأصحابه جند الخلافة الى قابس حيث التقوا هناك بجيش أنفذه عمر بن حفص بقيادة سليمان بن عباد المهلبي

---

٩٥) ابو زكريا ، ورقة ١٤ ، النويرى ، ج٢٢،ق١،ص ٤٩ •

٩٦) النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ص ٤٩ •

٩٧) ابو زكريا ، ورقة ١٤ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٥٩ •

٩٨) النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ، ٤٩ ، ابن الاثير ،ج٥،ص٥٩٨ــ٥٩٩

٩٩) ابو زكريا ، ورقة ١٤ ، الدرجيني ، ورقة ١٥ •

١٠٠) ابو زكريا ، ورقة ١٤ •

الذي يبدو أن عمر قد أوصى اليه بالقيادة العامة لجند الخلافة في تلك المنطقة٠ **ولم يكن سليمان أسعد حظا من سابقيه اذ مني بالهزيمة وكر راجعا الى** القيروان حيث تبعه أبو حاتم وألقى الحصار على المدينة (١٠١) ٠

حصار طبنة

بينما كانت هذه الحوادث تأخذ مجراها في منطقة طرابلس وشرقي تونس كان الوالي العباسي ، عمر بن حفص المهلبي موجودا في مدينة طبنة حيث ذهب الى هناك ليقوم بتحصينها وتقوية مسالحها بناء على اوامر تلقاها من الخليفة ، أبي جعفر المنصور الذي أراد أن يجعل من هذه المدينة وما حولها من حصون سدا منيعا في وجه أية غارات تأتي من بلاد المغرب الاوسط ٠ وتقع مدينة طبنة في اقليم الزاب غير بعيد من تاهرت حيث استقر عبد الرحمن بن رستم الفارسي الاباضي محاولا جمع الاباضية في المغرب الاوسط استعدادا لتأسيس دولة اباضية هناك ٠ أضف الى ذلك أن طبنة تقع على الطريق الرئيسي الى تلمسان حيث أقام الصفرية دولة لهم بزعامة أبي قرة اليفرني٠

وقد اعتبر اباضية تاهرت وصفرية تلمسان قدوم عمر بن حفص الى طبنة واقامة التحصينات فيها عملا عدوانيا يهدد كياناتهم ويودي بجهودهم٠ ولذا اتفق الطرفان ضد العدو المشترك وقرروا السير اليه ومحاربته قبل أن يكمل استعداداته ويبدأهم بالهجوم ٠ وكاتب عبد الرحمن بن رستم اباضية طرابلس وتونس وطلب منهم ملاقاته لاحكام الحصار على طبنة وابادة الجند العباسي هناك ٠ فوافاه السدراتي في ستة آلاف ، وكان هو في خمسة عشر ألف رجل ٠ وانضم اليهم بعد ذلك أبو حاتم الذي كان من قبل محاصرا للقيروان ٠ ولا تذكر المصادر عدد أتباعه الا انها تشير الى أنهم كانوا كثيرين (١٠٢) ٠ **أما الصفرية فقد اجتمعوا بقيادة أبي قرة اليفرني ، صاحب تلمسان ، وكان** عددهم أربعين ألفا ، ثم انضم اليهم عبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري في ألفين من أتباعه (١٠٣) ٠

ويبدو أن جماعات أخرى قد انضمت اليهم حتى بلغ عدد الجيوش المحاصرة اثني عشر عسكرا ٠ بينما كان عمر بن حفص في خمسة عشر ألفا وخمسماية فقط (١٠٤) ٠

أمام هذا الحشد الكبير من الاعداء وجد عمر بن حفص أن لا قبل له بمواجهتهم في معركة مفتوحة ٠ ولذا التجأ الى الحيلة والخداع محاولا غرس

---

١٠١) ابو زكريا ، ورقة ١٤ ، الدرجيني ، ورقة ١٦ ، النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ،ص٤٩ ٠

١٠٢) ابن عذارى ، ج١ ،ص٧٥ ، ابن الاثير ، ج٥ ،ص ٥٩٩ ، النويرى ، ج٢٢ ،ق١ ،ص٤٩ ٠

١٠٣) ابن عذارى ، ج١ ،ص٧٥ ، النويرى ، ج٢٢ ،ق١ ،ص٤٩ ٠

١٠٤) ابن عذارى ، ج١ ،ص ٧٥ ، يذكر النويرى (ج٢٢ ،ق١ ،ص٤٩) أن عمر بن حفص كان في خمسة الاف وخمسمائة فقط ٠

النزاع وعدم الثقة بين الصفرية والاباضية ٠ وأرسل رجلا من مكناسة ليعرض على أبي قرة ، زعيم الصفرية ، مبلغ أربعين ألف درهم وكساء وهدايا أخرى ثمينة على أن يرفع الحصار ويعود الى بلاده ، الا أنه رفض فقبل اخوه هذا العرض وانسحب مع كثير من الصفرية في جنح الظلام ٠ ولما رأى أبو قـــرة ما فعل أتباعه انصرف راجعا الى تلمسان ٠ وكان لانسحاب الصفرية اثــر معنوي ونفسي كبير على الاباضية فاضطروا الى رفع الحصار أيضا٠وانسحب عبد الرحمن بن رستم الى تهودة بينما رجع أبو حاتم واباضيـــة طرابلس وتونس الى القيروان محاولين احتلالها قبل عودة عمر بن حفص (١٠٥) ٠

سر عمر بن حفص بهذا النصر الذي لم يكلفه كثيرا سواء في المال اوالرجال، ووجد الفرصة سانحة للانتقام من بعض الذيـــن حاصروه وعلى رأسهـم عبد الرحمن بن رستم ٠ فأرسل اليه جيشا هاجمه في تهودة وقتل عددا كبيرا من أصحابه وفر منهزما الى تاهرت (١٠٦) ٠

بعد ذلك فطن عمر بن حفص الى الخطر الذي يتهدد القيروان بعد عودة أبي حاتم وأتباعه من الاباضية ٠ فقرر عمر الرجوع الى القيروان لانقاذها واستخلف على طبنة ومنطقة الزاب المهنأ بن المخارق بن غفار الطائي (١٠٧) ٠ ولما علم أبو قرة الصفري بمسير عمر بن حفص الى القيروان هاجم طبنة وحاصر المهنأ الطائي الا أن الاخير تصدى له بعناد وقاتله بشجاعة فهزمه واستباح عسكره واضطر الى الانسحاب الى تلمسان (١٠٨) ٠

استيلاء أبي حاتم الاباضي على القيروان ومقتل عمر بن حفص

عاد أبو حاتم مسرعا نحو القيروان وألقى عليها الحصار بجنوده الذين تشير

---

١٠٥) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٧ ، النويرى ، ج٢٢،ق١،ص٤٩ـ٥٠ يذكر الرقيق القيروني (ص١٤٢) ان المال أعطي لابن أبي قرة وأن المبلغ كان ٤٠٠٠ درهم ويتفق ابن الاثير ، (ج٥،ص٥٩٩) مع الرقيق في أن المبلغ كان ٤٠٠٠ درهم ٠

يجدر بالذكر أن المصادر الاباضية تتجاهل حصار طبنة كليا . ولعل مرد ذلك الى ان الحادثة كانـت فشلا ذريعا للاباضية وحلفائهم الصفرية . ولهذا لم يرغب مؤلفوها في الحديث عن ذكرى أليمة وهزيمة مرة امام عدو اقل عددا . وهو أمر لم يألفه الاباضية المشهورين بالشجاعة والتضحية في سبيل معتقدهم ٠

١٠٦) الرقيق ، ص١٤٣ ، ابن عذارى ، ج١،ص٧٦، النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ،ص ٥٠

١٠٧) الرقيق ، ص ١٤٣ ، النويرى ، ج٢٢، ق١ ، ص ٥٠ ٠

١٠٨) النويرى ، ج٢٢ ، ص ٥٠ ٠

المصادر السنية والاباضية الى كثرتهم (١٠٩) • وبقي محاصرا للمدينة مدة ثمانية أشهر لاقى الناس خلالها عنتا كبيرا • وكانوا يقاتلون الاباضية في طرفي النهار حتى أجهدهم الجوع وأكلوا دوابهم « وجعل الناس يخرجون فيلحقون بالبربر (الاباضية) من الجهد» (١١٠) • في هذه الاثناء كان عمر بن حفص في طريقه راجعا الى القيروان • فلما علم الاباضية بذلك رفعوا الحصار عن المدينة وهبوا لملاقاته محاولين نصب كمين له والقضاء عليه في الطريق • ويبدو أن عيون ابن حفص قد اخبرته بمسير الاباضية اليه فسلك طريقا مغايرا للطريق المعتاد • وفي نفس الوقت انتهز عامله على القيروان ، جميل ابن صخر ، فرصة رفع الحصار فخرج من القيروان والتقى مع عمر بن حفص في موقع يقال له بئر السلامة غير بعيد عن القيروان • وتوجها معا الى المدينة (١١١) • وبعد أن تشاور عمر بن حفص مع كبار قواده ومعاونيه استقر رأيهم على أن يبقوا في المدينة ويشحنوها بالمؤن استعدادا لحصار طويل• ومن المحتمل أنهم تبنوا هذه الخطة لعدم وجود قوات كافية تستطيع أن تواجه أبا حاتم وجيشه الضخم في معركة مفتوحة • وبعد أن شحن القيروان بالمؤن والاقوات حفر عمر بن حفص خندقا عند باب أبي الربيع • ورابط مع جنده خلفه • وبذلك فرض على نفسه الحصار واكتفى بالدفاع أملا منه في أن يحل بالمحاصرين ما حل بهم أثناء حصار طبنة ولكنه أساء التقدير وعادت خطته عليه بأسوأ النتائج (١١٢) •

عندما علم أبو حاتم بوصول عمر بن حفص الى القيروان كر راجعا بسرعة وأعاد فرض الحصار على المدينة • وحدثت مناوشات بين الطرفين عند باب

---

١٠٩) يرى كل من الرقيق وابن عذارى والنويرى ، ان عدد جند ابي حاتم كان ١٣٠ الف . انظر : **الرقيق** ، ص ١٤٤ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص ، ٧٦ ، النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ، ص٥٠ ، بينما يذكر البرادي والازدي وابن خلدون أن عدد جيش ابي حاتم بلغ ٣٥٠ الف رجل منهم ٨٥ الف فارس . انظر : البرادي ، **الجواهر** ، ص١٧٣ ، الازدي ، ص ٢١٣،٢١٦ ،

يذكر الازدي وابن خلدون أن أبا قرة قد اشترك في الحصار الا ان هذه المعلومات مشكوك فيها لان اباقرة قد عاد — بعد رجوع عمر بن حفص الى القيروان — وهاجم طبنة كما اشرنا الى ذلك ولكنه هزم وارتد الى تلمسان . وليس هناك اي دليل في المصادر المتوافرة بما فيها الازدي وابن خلدون يثبت انضمام ابي قرة الى ابي حاتم اثناء حصاره الاخير لمدينة القيروان . ولا تذكر المصادر الاخرى الموثوقة والتي تتحدث باسهاب عن حصار القيروان أية اشارة الى ابي قرة على الاطلاق . ومن المحتمل اذن ان الازدي وابن خلدون قد خلطا بين حصار طبنة وحصار القيروان .

١١٠) الرقيق ، ص ١٤٣ — ١٤٤ ، انظر أيضا ابن عذارى ، ج١،ص٧٦ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٦٠٠ ، **السلاوي** ، ج١ ، ص ١٣١ .

١١١) النويرى ، ج٢٢ ، ق١ ، ص ٥٠ .

١١٢) الرقيق ، ص ١٤٤ ، ابن عذارى ، ج١،ص٧٦ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٦٠٠ ، النويرى ، ج٢٢،ق١ ، ص ٥٠ .

أبي الربيع بينما قامت كتائب من جيش أبي حاتم بسد أبـــواب القيروان الاخرى ومنعوا الخروج من المدينة ٠ وبعد فترة ضاق الناس بالحصار وفقدت المؤن ومات بعض الناس جوعا ، وأدى ذلك الى نشوب خلاف بين عمر بن حفص وبعض قادته واختلفت آراؤهم حول معالجة الموقف وانقاذ الناس مما هم فيه من المحنة والبلاء (١١٣) ٠

وبينما هم على هذه الحال من الخلاف في الرأي والضيق في العيش جاءتهـم الأنباء تخبرهم بأن الخليفة قد بعث يزيد بن حاتم المهلبي على رأس جيش قوي لنصرتهم ٠ ولما سمع عمر بن حفص هذه الانباء وجد أن في ذلك حيفا عليه وقال عبارته المشهورة في بطون الكتب : « تتحدث نسوة العتيك أن يزيـــدا (هكذا) اخرجني من الحصار ، انما هي رقدة حتى أبعث للحساب » ٠ ثم كتب وصيته وخرج في اليوم التالي على رأس جماعة من أعوانه وقاتل الاباضيـــة حتى قتل في شهر ذي القعدة (أو ذي الحجة) من عام ١٥٤ هـ (١١٤) ٠

بايع الجند بعد مقتل قائدهم جميل بن صخر ، وكان أخـــا عمر بن حفص لامه ٠ وقام جميل بطلب الموادعة والسلم مع أبي حاتم والاباضية ٠ ويبدو أن أبا حاتم كان تواقا لهذا العرض حتى يتفرغ لقتال يزيد بن حاتم القادم من المشرق ٠ وتتجلى رغبة أبي حاتم في الصلح في التساهل الواضــــح في شروط الاتفاق مع جميل بن صخر ٠ ولعله أراد من ذلك أيضا فتح القيروان دون الحاجة الى مزيد من الحصار والعناء ٠ وقد نص الصلح بين الطرفين على ما يلي : ـ

١ ـــ أن يستولي أبو حاتم على القيروان ويدخلها دون قتال ٠

٢ ـ أن يقبل أبو حاتم بأن لا يقطع جميل وأصحابه طاعتهم لسلطانهـــم ولا ينزعون سوادهم ، اي أن يبقوا على ولائهم للخلافة العباسية ٠

٣ ـــ أن كل دم أصابه جند الخلافة من البربر والاباضية فهو هدر ولا تجــوز المطالبة بـــه ٠

٤ ـ أن لا يجبر أحد من جند الخلافة على بيع سلاحه ودوابه وممتلكاته (١١٥)٠

دخل أبو حاتم المدينة وقام بهدم تحصينات المدينة واحرق أبوابها وثلم سورها ٠ ولعله أراد بذلك أن لا تصبح المدينة ملجأ حصينا لأي عدو في المستقبل ٠ ثم استخلف عليها عبد العزيز بن السمح المعافري ـ أخا الامام أبي الخطـاب

١١٣) الرقيق ، ص ١٤٥ ٠

١١٤) الرقيق ، ص ١٤٦ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٦ ، النويرى ، ج٢٢،ق١،ص٥١ـــ٥٢، ابن الاثير ، ج٥، ص ٦٠٠ ، السلاوي ، ج١،ص١٣١ ٠

١١٥) عن الصلح بين جميل بن صخر وأبي حاتم انظر : النويري ، ج٢٢ ، ق ١ ، ص ٥٢ ٠

المعافري ـ واتجه هو صوب طرابلس ليستعد لمواجهة الوالي الجديد ، يزيد ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب • وخرج معظم جند الخلافة ـ طوعا ـ من المدينة واتجهوا الى طبنة في اقليم الزاب التي كانت لا تزال في قبضة العرب الموالين للخلافة العباسية • وكان ذلك مشجعا لأبي حاتم للتخلص من البقية الذين آثروا الاستقرار في القيروان • فكتب أبو حاتم الى واليه على القيروان يأمره ـ خلافا لبنود الصلح المتفق عليها ـ أن « يأخذ سلاح الجند وأن لا يجتمع منهم اثنان في مكان وأن يوجه اليه بهم واحدا بعد واحد » (١١٦) • وجد الجند العربي أنهم خدعوا وقرروا عدم الرضوخ لاوامر أبي حاتم واستوثق بعضهم من بعض بالايمان ألا يرضوا بما طلب أبو حاتم ، وقويت عزيمتهم واشتدبأسهم بأنباء تقدم يزيد بن حاتم وبانضمام عمرو بن عثمان الفهري واعوانه اليهم• تحالف الفهري قبل ذلك مع الاباضية واشترك معهم في حصار القيروان • ولما تأكد الجند من صدق عمرو بن عثمان ولوه عليهم مستفيدين بذلك من خبرته ومعرفته بأحوال الاباضية وقوتهم • وبادر عمرو بن عثمان وجند الخلافة أصحاب أبي حاتم بالهجوم وقتلوهم عن آخرهم • فاضطر أبو حاتم للعودة الى القيروان لتأديب عمرو بن عثمان وأصحابه والتقى الطرفان في معركة عنيفة في مكان لا تذكره المصادر ، وعلى الرغم من أن أبا حاتم قد خسر عددا كبيرا من جيشه فقد هزم عمرو بن عثمان وتفرق جنده • واتجه بمن بقي معه الى تونس بينما سار اخرون مع جميل بن صخر نحو المشرق حيث التقوا بيزيد ابن حاتم في منطقة سرت • وتعقب أحد قواد أبي حاتم المسمى جريربن مسعود المديوني عمرو بن عثمان ، والتقيا في مكان يدعى جيجل من أرض كتامة وهزم جرير وقتل في جمع كبير من أصحابه واستطاع عمرو بن عثمان النجاة • وتابع سيره الى طبنة حيث شكل مع الجند المقيمين هناك عونا كبيرا للوالي الجديد وذلك بمحافظتهم على منطقة الزاب هادئة وآمنة من الثوار وموالية للخلافة العباسية (١١٧) •

هزيمة الاباضية في المغرب الادنى
وانتصارهم في المغرب الاوسط

رأى أبو حاتم الاباضي أن الخطر يتهدده بوصول يزيد بن حاتم على رأس جيش قوي كبير • لـذا قرر أن يلتجىء الى جبل نفوسة حيث تقطن قبائل هواره ونفوسة الاباضية ، وحيث كان سكان الجبل السند القوي للدعوة الاباضية منذ بداية تسربها الى شمال افريقية • وهناك حشد اتباعه واستعد للقاء الوالي العباسي الجديد • وتمكن أبو حاتم من هزيمة مقدمة جيش يزيد بن

---

١١٦) الرقيق ، ص ١٤٧ •

١١٧) الرقيق ، ص ١٤٨ ، النويري ، ج٢٢،ق١،ص٥٢، شماخي ، سير ، ص ١٣٦ •

حاتم التي قادها سالم بن سوادة التميمي (١١٨) ٠

على الرغم من هذا الانتصار فقد تردد أبو حاتم في مواجهة يزيد وعاد وعسكر في جبل نفوسه ٠ فهاجمه يزيد ـ بعد أن عبأ قواته وأحسن تنظيمها واعدادها ـ وجرت بين الفريقين معركة قاسية في ربيع الاول من عام ١٥٥ هـ قتل فيها خلق كثير من كلا الطرفين الا أن النتيجة كانت في صالح يزيد ٠ وقتل الامام الاباضي أبو حاتم مع جل أصحابه في المعركة (١١٩)٠ بقي يزيد بن حاتم في منطقة طرابلس بعض الوقت يتعقب الاباضية في كل مكان ٠وتشير المصادر الى أنه طلب الخوارج (الاباضية) في كل سهل وجبل ، وجعل آل المهلب يقتلون البربر ويقومون بالثارات لعمر بن حفص (١٢٠) ٠ ثم استعمل يزيد أحد رجاله على طرابلس وارتحل الى القيروان ودخلها في عام ١٥٥ هـ ٠ وقام بتنظيم شؤون المدينة وبنى فيها المسجد الاعظم وجدده عام ١٥٧ هـ ورتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها ٠ ويبدو أنه أراد أن يعيد لقصبة افريقية مجدها ومكانتها العظيمة (١٢١) ٠

وفي الوقت الذي التفت فيه يزيد الى الاعمار والبناء فانه استمر في ملاحقة الثوار أينما كانوا وفي مقدمتهم رجال الاباضية ، وهم أكثر الثوار شجاعة وحماسة واستماتة في سبيل مبدئهم ٠ ولم يهنوا ولم يستكينوا رغم الضربات المتتالية التي تلقوها على أيدي الولاة ٠ وفي عام ١٥٦ هـ تجمع اباضية طرابلس وثاروا بقيادة أبي يحيى الهواري فتصدى لهم عبد الله بن السمط الكندي ، احد قواد يزيد ، والتقى الطرفان في مكان قرب شاطيء البحر فهزم الهواري هزيمة منكرة وقتل عدد كبير من أصحابه (١٢٢) ٠ وكانت هذه الوقعة آخر نشاط ثوري للاباضية في بلاد المغرب الادنى طيلة ولاية يزيد بن حاتم التي استمرت حتى وفاته عام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م ٠ وقد أتم ابنه داود عمله فتتبع الاباضية وقضى عليهم بدون هوادة ٠ وفي عهده الذي دام أقل من سنة ثارت قبيلة نفزة البربرية في جبال باجة بزعامة صالح بن نصير الاباضي الذي

---

١١٨) الرقيق ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ، النويري ، ج٢٢ ، ق١ ، ص ٥٣ ، شماخي ، سير ، ص ١٣٦ ٠

١١٩) الرقيق ، ص ١٦٠ ، ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٩ ، النويري ، ج٢٢ ، ق١،ص٥٣ ، ابو زكريا ، ورقة ١٤ ، الدرجيني ، ورقة ١٦ ، شماخي ، سير ، ص ١٣٦ ، يذكر خليفة بن خياط (ج٢،ص٦٨٠) أن أبا حاتم الاباضي قد هزم ونفي من بلاده ٠ وهذا يخالف كل المعلومات المتوافرة في المصادر السنية والاباضية ٠

١٢٠) الرقيق ، ص ١٦٠ ، النويري ، ج٢٢،ق١،ص ٥٣ ٠

١٢١) الرقيق ، ص ١٦٢ ، ابن عذارى ، ج١،ص٧٨، النويري ، ج٢٢ ، ق١،ص ٥٣ ـ ٥٤ ٠

١٢٢) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٧٩ ٠

استطاع أن يهزم جيشا أنفذه اليه داود بقيادة المهلب بن يزيد ٠ ثم وجه اليه داود جيشا بقيادة سليمان بن الصمة المهلبي فهزم صالح بن نصير الاباضي وهرب من باجة الى جبل أوراس حيث استطاع جمع شتات الاباضية هناك ٠ فلحق به سليمان بن الصمة وهزمه في معركة شديدة في شقبنارية على طرف جبل أوراس ، وقتله وأصحابه عن آخرهم (١٢٣) ٠

يبدو أن المعارك الكثيرة والحروب المستمرة التي خاضها الاباضية قدابادت قسما كبيرا منهم وأقنعت زعاماتهم بعدم جدوى اراقة الدماء ما دامت الخلافة مصممة على أن تبقى سلطتها قوية في بلاد المغرب الادنى وافريقية ٠ ولذا فانهم خلدوا الى الهدوء نحو عقد من الزمان ولم نسمع عن نشاط مسلح من جانبهم الا في عام ١٨٠ هـ في زمن ولاية هرثمة بن أعين حيث ثارت هوارة بزعامة عياض بن وهب الهواري وقضي على الثورة بسهولة ويسر (١٢٤) ٠

وعلى أي حال فان الاباضية في المناطق الشرقية من بلاد المغرب قد خبت جذوتهم وانهارت قوتهم منذ ولاية يزيد بن حاتم ومقتل امامهم أبي حاتم الملزوزي ٠ ولعل مرد استكانتهم الى عاملين : الاول ضعفهم وعدم قدرتهم على التصدي لجند الخلافة ، والثاني أن عبد الرحمن بن رستم قد نجح في تكوين دولة اباضية في المغرب الاوسط ، وبذلك حقق حلمهم في تكوين كيان خاص بهم ، وهاجرت بعض القبائل البربرية الاباضية من مناطق المغرب الادنى الى المغرب الاوسط لتعيش في كنف الدولة الاباضية الرستمية ٠وبقيت جماعات منهم في مناطق معزولة مثل جبل نفوسة في طرابلس وبلاد الجريد في جنوب تونس (١٢٥) ٠ وعلى الرغم من بعد مناطقهم عن بلاد الدولة الرستمية الا انهم كانوا يعتبرون أنفسهم تابعين لتلك الدولة ويعترفون بالامام الرستمي اماما وخليفة لكل الاباضية في شمال افريقية ٠

أما الدولة الرستمية التي اصبحت ملاذا للاباضية فتنسب الى عبدالرحمن ابن رستم السالف الذكر (١٢٦) ٠ وكان أحد حملة العلم الخمسة ٠ وقد عينه الامام أبو الخطاب المعافري ، اول امام ظهور في شمال افريقية ، قاضيا لطرابلس ٠ ولما احتل القيروان عام ١٤١ هـ جعل ابن رستم واليا عليها ٠ وبعد مقتل الامام أبي الخطاب لجأ عبد الرحمن بن رستم الى بلاد المغرب الأوسط واتخذ من جبل سوفجج المنيع ، جنوب تاهرت ملجأ له ٠ وأخذت وفود البربر

---

١٢٣) الرقيق ، ص ١٦٩ ، ابن عذارى ، ج١،ص ٨٢ ، النويرى ، ج ٢٢ ، ق١،ص٥٥ ٠

١٢٤) ابن الاثير ، ج٦،ص١٣٩ ٠

١٢٥) لاتزال هذه المناطق تحوى جماعات اباضية الى يومنا هذا ٠

١٢٦) أنظر ، فوق ، ص ١٦١ ٠

الاباضية تتقاطر اليه في ذلك الموقع الحصين معلنين تصميمهم على المضي في الكفاح حتى تقوم دولتهم التي تمثل ـ في رأيهم ـ دولة الحق والاسلام الصحيح (١٢٧) . واجتمع اليه علماء الاباضية وفقهاؤهم من كل حدب وصوب وقصده من طرابلس وجبل نفوسة وحدها ما يزيد على ستين من أكابر العلماء وأهل الفضل والرأي (١٢٨) .

وتقوى ابن رستم بالبربر الاباضية في المغرب الأوسط : الذين انتشر المذهب بينهم قبل مقدمه ، وشاع في قبائل لواته ومكناسة ومايـة وبعض بطون هوارة (١٢٩) . وبعد التنكيل الذي حل بالاباضية في بلاد المغرب الادنى هاجر عدد كبيرمن اباضية تلك المنطقةالى المغرب الاوسط والتفوا حول عبد الرحمن ابن رستم الذي كان آنذاك يتمتع بتقدير واحترام اتباع المذهب جميعا،وكانوا ينظرون اليه على أنه منقذ لهم من البلاء ومحقق لأهدافهم التي ناضلوا من أجلها وفي مقدمتها تأسيس الدولة الاباضية .

ولما سمع بذلك ابن الاشعث ، والي افريقية آنذاك ، جهز جيشا وسار بـه الى عبد الرحمن أملا في القضاء عليه قبل أن يتعاظم خطره . ولكن ابن رستم والاباضية تحصنوا في أماكنهم المنيعة وخندقوا على انفسهم وأقـام ابن الاشعث محاصرا لهم مدة من الزمن ولكنه لم يستطع اقتحام مواقع الاباضية. ودب الخلاف في جيشه وانتشر الوباء بين جنودهفاضطر الى الانسحاب والعودة الى القيروان . وكان ذلك في عام ١٤٥ هـ (١٣٠) .

أدى فشل ابن الاشعث الى رفع الروح المعنوية لاتباع عبد الرحمن بن رستم الاباضية ، وأخذت المساعدات تتوالى عليهم من أنحاء شمال افريقية جميعها وكذلك من اباضية المشرق الذين كانوا يبعثون لهمبالاموال اللازمة ، ويرسلون لهم بالنصح والارشاد ويجيبون على استفساراتهم وأسئلتهم حول ما يشكل عليهم من أمور الدنيا والدين (١٣١) .

بعد ذلك وقع اختيار ابن رستم وأتباعه على تاهرت لتكون مقرا لهم فبنوا

---

١٢٧) الباروني النفوسي ، ج٢،ص٣ .

١٢٨) المصدر نفسه .

١٢٩) ابو زكريا ، ورقة ١١ ، النفوسي ، ص ٣ـ٥ ، ابن خلدون ، ج٦،ص١٢٠ـ١٢١ ، محمد علي ديوز ،ج٣ ، ص ٢٥٥ـ٢٥٩ .

١٣٠) ابو زكريا ، ورقة ١١ ، النفوسي ، ج٢،ص٣، محمد علي ديوز ، ج٣،ص ٢٥٨ـ٢٦٠، محمد اسماعيل عبد الرازق ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

١٣١) ابن الصغير ،ص ٩ـ١٠ ،

المدينة ونظموها وانتهوا من ذلك في عام ١٦١ هـ (١٣٢) • وفي العام التالي رأى الاباضية في المغرب الاوسط أن الوقت قد حان لاعلان امامة الظهور • فنادوا بعبد الرحمن بن رستهم امام ظهور أو امام بيعة كما تسميه المصادر الاباضية (وكان من قبل امام دفاع فقط) • وبارك أئمة الاباضية في البصرة هذه الخطوة وبعثوا للامام الجديد بالاموال والمساعدات ليتسنى له القيام بالمهمات الملقاة على عاتقه على أكمل وجه (١٣٣)• وباعلان الامامة عام ١٦٢ هـ ولدت في المغرب الاوسط دولة اباضية عرفت في التاريخ باسم الدولة الرستمية وعاشت حتى عام ٢٩٧ هـ حينما قضى عليها الفاطميون •

وفي الحقيقة كان قيام الدولة الرستمية أكبر انتصار للدعوة الاباضية،ليس في شمال افريقية فحسب ، بل في جميع الولايات الاسلامية • وهكذا فان جهود الدعاة وحملة العلم الاباضية والتضحيات التي قدمها أتباع المذهب في مختلف أنحاء بلاد المغرب لم تضع سدى ، وانما أثمرت تكوين الدولة الاباضية القوية هناك وحققت الحلم الذي سالت من أجله دماء غزيرة وأهدرت في سبيله أرواح كثيرة •

---

١٣٢) عن تاهرت وموقعها : أنظر الحبيب الجنحاني ، «تاهرت عاصمة الدولة الرستمية » ، **المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية** ، ١٩٧٥ .

١٣٣) ابن الصغير ، ص ٩ ، الباروني ، ج٢،ص ٨٥ .

الخلاصـــة

كانت الفتنة في عهد الخليفة عثمان حدثا خطيرا ساعد في ازدياد شقة الخلاف بين المسلمين حول منصب الخلافة ، وقد أدت التطورات التي حدثت فيما بعد ـ وخاصة النزاع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - الى بروز فرقة الخوارج التي عارضت التحكيم ، وانشقت على علي بن أبـــي طالب ، ونادت بانتخاب خليفة للمسلمين عن طريق الشورى ٠

وكان الخوارج أول من تحدى سلطة قريش عمليا عندما عينوا عبد الله بن وهب الراسبي اماما لهم ونادوا بقية المسلمين للانضمام اليهم ٠ وبعد معركة النهروان اعتزل افراد منهم اصحابهم وذهبوا الى البصرة حيث اخذوا يدعون لمذهبهم سرا خوفا من بطش الولاة الامويين ٠ وقد تزعم هذا الفريق أبو بلال مرداس بن أدية التميمي الذي نادى بآراء وأفكار معتدلة فصلنا الحديـــث عنها في الباب الثالث من هذا الكتاب (١) ٠

في عام ٦٤ هـ حدث انقسام نهائي بين هؤلاء المعتدلين وبين أقرانهم مـن متطرفي الخوارج ٠ وسمي المعتدلون القعدة ، أي الذين قعدوا ـ طبقا لوجهة نظر المتطرفين ـ عن الجهاد في سبيل الله ومحاربة المخالفين من المسلمين (٢)٠
وفي بداية الربع الأخير من القرن الأول الهجري انقسم القعدة الى فرقتين : الصفرية والاباضية ٠ وسميت الاباضية بهذا الاسم نسبة الى عبدالله بن أباض الذي تعتبره المصادر غير الاباضية مؤسس الحركة ٠ أما المصــــادر الاباضية فتتفق مع بقية المصادر في نسبة الفرقة الى ابن اباض ولكنها في الوقت نفسه تجمع على أن مخالفيهم هم الذين سموهم بهذا الاسم ٠ وتذكر المصادر الاباضية صراحة أن عبد الله بن اباض لم يكن امامهم الحقيقـــي ومؤسس دعوتهم وان كان من علمائهم ورجالهم البارزين ٠ وبناء على ذلك فلم تسهب هذه المصادر في الحديث عن كثير من جوانب حياة ابن اباض ونشاطه (٣) ٠

ويعتبر الاباضية ، القدامى منهم والمحدثون ، جابر بن زيد الأزدي امامهم الأكبر ومؤسس حركتهم ٠ ولم يكن ابن اباض الا واحدا من اتباعه ، ولم يصدر في شيء من أفعاله الا بأمر ذلك الامام وارشاده ٠ ومن هنا فان الاباضية لم

١) أنظر الباب الثالث ، ص ٦٤ ـ ٧٤
٢) أنظر الباب الثالث ، ص ٦٦ـ٦٧
٣) أنظر الباب الرابع ، ص ٧٥ـ٨٥

يسموا أنفسهم ـ في البداية ـ بهذا الاسم ، ولم يرد في مصادرهم قبل الربع الاخير من القرن الثالث الهجري ·

وتفرد المصادر الاباضية فصولا خاصة للحديث عن مختلف جوانب حياة جابر بن زيد ونشاطه ودوره الكبير في خدمة الحركة الاباضية · وتشير هذه المصادر الى أن عدد أتباع الفرقة قد ازداد في عهده وانضمت للدعوة جماعات كبيرة من قبيلة الأزد التي ينتمي اليها جابر بن زيد ، كما انضم اليها بعض الموالي · ولم يقتصر نشاط جابر على البصرة وحدها بل تعداها الى مناطق أخرى · وتحتفظ المصادر الاباضية المتوافرة بمراسلات بينه وبين بعض أتباعه في الولايات الاسلامية النائية مثل عمان وخراسان ·

ونتيجة لسياسته الذكية الحذرة ولاستعماله التقية الدينية ، وقدرته الفائقة على الاستفادة من الظروف التي تمر بها الدولة الأموية فقد استطاع جابر أن يجمع الناس من حوله ويقنع كثيرا منهم بمبادئه وآرائه · ولم يمت جابر بن زيد الا وقد غدت الدعوة الاباضية عبارة عن حركة اسلامية شاملة اجتذبت عناصر مختلفة من قبائل وأجناس متعددة (٣) ·

وعندما توفي جابر بن زيد وخلفه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي استمر الأخير في أداء المهمة التي اضطلع بها سلفه ، وخلق مجتمعا متماسكا تسوده الألفة والمحبة والتعاون ، وطور التنظيمات السرية للحركة وأوجد نوعا من الحكومة الثورية السرية في البصرة كان لها دور كبير في انجاح الحركة وتحقيق أهدافها · كما أنشأ مدرسة سرية خاصة لتعليم الدعاة وتدريبهم أفرزت عددا من المشايخ الدعاة الذين عرفوا باسم **حملة العلم** · وقد أرسلوا الى الأمصار الاسلامية المختلفة للتبشير بمذهبهم هناك · وكان لهم فضل كبير في نشر الدعوة في المناطق التي أوفدوا اليها ، وخاصة تلك الواقعه على أطراف الدولة الاسلامية البعيدة عن مراقبة السلطة المركزية (٤) ·

وفي أواخر العقد الثالث من القرن الثاني الهجري استغل مشايخ الاباضية المشاكل التي واجهتها الدولة الأموية وأوعزوا الى أتباعهم لاعلان الامامة في بعض المناطق · واستطاع الاباضية تأسيس امامة اباضية في كل من حضرموت واليمن وعمان ، ولكن هذه الامامات لم تعمر طويلا وقضى الامويون على امامة اليمن وحضرموت بينما قضى العباسيون على امامة عمان الاولى نحو عام ١٣٤هـ · ولكن اباضية عمان استمروا في تنظيم انفسهم وأخذوا يتحينون الفرص لاعلان الامامة من جديد · واستطاعوا تحقيق هدفهم باعلان الامامة الاباضية

---

٣) انظر الباب الخامس ، ص ٨٦ـ١٠٢

٤) انظر الباب السادس ص ١٠٣ـ١١٥

الثانية نحو عام ١٧٧ هـ . ومنذ ذلك التاريخ أصبح تاريخ عمان مرتبطـا ارتباطا وثيقا بالمذهب الاباضي بحيث لا يمكن فهم تاريخ ذلك القطر بمعزل عن تاريخ الحركة الاباضية وتطورها . ولا يزال معظم سكان عمان ينتمون الى المذهب الاباضي حتى وقتنا الحاضر (٥) .

وقد قام الاباضية بجهود مضنية في سبيل انتصار دعوتهم في الجزء الغربي من بلاد الخلافة الاسلامية ، أي في البلاد التي تعرف اليوم باسم ليبيا وتونس والجزائر والمغرب . واستطاع أتباع الفرقة الاباضية ـ بعد كفاح مرير ـ تأسيس الدولة الرستمية الاباضية نحو عام ١٦٢ هـ . وقد عمرت هذه الدولة أكثر من قرن وثلث ، وقضى عليها الفاطميون عام ٢٩٧هـ . وعلى الرغم من ذلك فقد بقي هذا المذهب قائما في مناطق متعددة من بلاد المغرب حيث كـون أتباعه مجتمعات خاصة بهم في مناطق نائية بعيدة عن متناول السلطـة المركزية . ولا تزال بقاياهم موجودة الى يومنا هذا في جبل نفوسة في ليبيا ، وفي جزيرة جربة وقسطيلية (بلاد الجريد) في تونس ، وفي مزاب جنـوب الجزائر (٦) .

وهكذا فان جهود مشايخ البصرة الاباضيين وتنظيماتهم السرية الدقيقة خلال القرنين الاول والثاني الهجريين اثمرت تأسيس دول اباضية مستقلة كان لها دور هام ومجيد في التاريخ الاسلامي بوجه عام وفي تاريخ المناطق التي قامت فيها بوجه خاص .

---

٥) أنظر الباب السادس ، الفصل الاول والثاني ، ص ١١٦ وما بعدها

٦) أنظر الباب السادس ، الفصل الثالث

ملحـــــق

كتاب عبدالله بن أباض الى عبد الملك بن مروان

بسم الله الرحمن الرحيم ٠ من عبدالله بن اباض الى عبدالملك بن مروان ، أما بعد : سلام عليك ، فأني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، وأوصيك بتقوى الله ، فان العاقبة للتقوى والمرد الى الله ٠ واعلم أنه انما يتقبل الله من المتقين ٠ وقد جاءني كتابك مع سنان بن عاصم ، وانك كتبت الي أن أكتب اليك بكتاب فكتبته اليك ، فمنه ما تعرف ومنه ما تنكر ، ولكن الذي تنكره ليس عند الله بمنكر ٠ وأما ما ذكرت من عثمان والذي عرضت به من شأن الأمة فان الله ليس ينكر عليه أحد شهادته في كتابه الذي أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، « ان من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (١) ، والفاسقون (٢) ، والكافرون » (٣)٠ ثم اني لم أكـن أذكـر لك من شأن عثمان شيئا الا والله تعلم أنه حق ٠ وسأنزع لك من ذلك البينة من كتاب الله ، وسأخبرك خبر عثمان الذي طعنا عليه فيه ، وأبين شأنه وأمره ٠ لقد كان عثمان كما ذكرت من قدمه في الاسلام ولكن الله لم يجز العباد من الفتنة ، وذلك أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليـه الكتاب وبين فيه كل أمر ، وفصل فيه كل حكم ليحكم بين الناس فيمـا اختلفوا فيه وجعله هد ىورحمة لقوم يؤمنون (٤) ٠ فأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما وحكم أحكاما وفرض فرائض وحدودا ٠ فقال : « تلك حدود اللـه فلا تقربوها » (٥) ٠ وقال : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » (٦) ٠ ثم أمر نبيه باتباع كتابه وقال : « واتبع ما أوحي اليك من ربك » (٧) ٠ وقال : « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » (٨) ٠ فعمل محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ، ومعه عثمان ومن شاء الله من أصحابه ،

---

١ ــ سورة المائدة ، آية ٤٥ ٠

٢ ــ نص الآية (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون « سورة المائدة » آية ٤٧ ٠

٣ ــ نص الآية (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون « سورة المائدة » آية ٤٤ ٠

٤ ــ نص الآية (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون « سورة الاعراف » آية ٥٢

٥ ــ سورة البقرة آية ١٨٧ ٠

٦ ــ سورة البقرة آية ٢٢٩ ٠

٧ ــ سورة الاحزاب آيه ٣ ٠

٨ ــ سورة القيامة آية ١٨ ٠

لا يرونه يتعمد أحدا ولا يبدل حكما ولا يستحل حراما ولا يحرم حلالا ولا يبدل فريضة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم » (٩) .

فعمر صلى الله عليه وسلم ما شاء الله تابعا لما جاء به من عند الله ، مبلغا لما ائتمنه الله عليه ، معلما للمؤمنين ، مبصرا لهم حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم . ثم أورث الله عز وجل المسلمين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو كتابه الذي يهتدي من اهتدى باتباعه ولا يضل من ضل الا بتركه . ثم قام من بعده أبو بكر على الناس فأخذ كتاب الله وعمل بسنة نبيه فلم يفارقه أحد من المسلمين ولم يعيبوا عليه في حكم حكمه ولا قسم قسمه حتى فارق الدنيا وأهل الاسلام عنه راضون وله مجامعون . ثم قام من بعده عمر فكان قويا على الامر ، شديدا على أهل النفاق ، يهتدي بمن كان قبله من المؤمنين ويعمل بكتاب الله . وابتلاه الله بفتوح من الدنيا بما لم يبل به صاحبيه ، وفارق الدنيا والدين ظاهر وكلمة الاسلام جامعة ، وشهادة المؤمنين له بالوفاء قائمة . والمؤمنون شهداء الله في الارض . قال الله عز وجل: « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (١٠) . ثم استشار المؤمنين فتركها فيهم ، فولوا عثمان ففعل ما شاء الله بما يعرف الاسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزائن الأرض ، وأحدث أمورا لم يعمل بها صاحباه قبله ، وعهد الناس يومئذ قريب منهم . فلما رأى المؤمنون ما أحدث أتوه وكلموه وذكروه بكتاب الله وسنة من كان قبله ، فشق عليه أن ذكروه بآيات الله وأخذ بالجبرية وضرب من شاء منهم وسجن ، ونفاهم في أطراف الارض من أجل ان ذكروه بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآثار من كان قبله من المؤمنين . ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه « ومن أظلم ممن ذكربآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون » (١١). وأنا أبين لك يا عبد الملك بن مروان ما أنكر المسلمون على عثمان وفارقوه عليه ، عسى أن تكون غافلا فأذكرك ، أو جاهلا فأعرفك . فلا يحملنك هواء (هكذا) عثمان ياعبد الملك أن تكذب بآيات الله وتعرض عنها فانه لا يغني عنك من الله شيء . فالله الله يا عبدالملك قبل التناوش من مكان بعيد وقبل ان تكون لزاما . وانه كان مما طعن عليه المسلمون وفارقوه وفارقناه عليه . قال الله عز وجل : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في

---

٩ ــ سورة الانعام آية ١٥ .

١٠ ــ سورة البقرة آية ١٤٣ .

١١ ــ سورة السجدة آية ٢٢ .

الآخرة عذاب عظيم »(١٢) . وكان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقص فيها كتاب الله . ومما نقمنا عليه وفارقناه أن الله عز وجل قال : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » (١٣) فكان خيار هذه الامة قد طردهم ونفاهم . فكان من نفى من أهل المدينة أبا ذر الغفاري ومسلم الجهني ونافع بن الحطام ، ونفى من أهل الكوفة كعب وجندب بن زهير قاتل الساحر ، ونفى عمر بن زرارة ويزيد بن صحوان وأسود ابن دويج ويزيد بن قيس الهمداني وكردوس بن الحضرمي في أناس كثير من أهل الكوفة . ونفى من أهل البصرة عامر بن عبد الله ومدعور العنبري ومن لايستطاع عددهم من المؤمنين . ومما نقمنا عليه أنه أمر أخاه الوليد بن عقبة على الناس فكان يلعب بالسحر ويصلي بالناس سكران ، فاسق في دين الله ، وانما أمره من أجل قرابته . ومما نقمنا عليه جعل المال دولة بين الأغنياء ، وقد قال الله عز وجل : « كي لا يكون دولة بين الاغنياء » (١٤) . فبدل فيه كلام الله واتبع هواه . ومما نقمنا عليه أنه منع مواضع القطر وحماها لنفسه ولأهله ومنع الرزق الذي أنزله الله لعباده متاعا لهم ولأنعامهم . وقد قال الله عز وجل : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون » (١٥) . ومما نقمنا عليه أنه أول من تعدى في الصدقات . وقد قال الله . « انما الصدقات للفقراء والمساكين الى قوله فريضة من الله والله عليك حكيم (١٦) . وقال : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (١٧) والذي أحدث عثمان منعه فرائض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وأنقص أهل بدر من عطاياهم ألف ألف ، وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله وقال الله عز وجل . « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظوهرهم

---

١٢ ـــ سورة البقرة آية ١١٤ .

١٤ ـــ سورة الحشر آية ٧ .

١٥ ـــ سورة يونس آية ٥٩ .

١٦ ـــ نص الآية (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ، سورة التوبة آية ٦٠ .

١٧ ـــ نص الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ، سورة الاحزاب آية ٣٦ .

الآية (١٨)٠ مما نقمنا عليه كان يضم كل ضالة الى ابله ولا يردها ولا يعرفها، وكان يأخذها من الابل والغنم اذا وجدها عند أحد وان كانوا قد أسلموا عليها ٠ وكان لهم في حكم الله ما أسلموا عليه ٠ وقد قال الله عز وجل : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين » (١٩) ٠ وقال : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » (٢٠) ومما نقمنا عليه أنه أخذ خمس الله لنفسه وأعطى منه أقاربه وكان ذلك تبديلا لحكم الله وفرض الله الخمس « لله وللرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل الى قوله والله على كل شيء قدير » (٢١) ٠ ومما نقمنا عليه منع أهل البحرين وأهل عمان أن يبيعوا شيئا من طعامهم حتى يباع طعام الامارة وذلك تحريم لما أحل الله ٠ « وأحل الله البيع وحرم الربو (هكذا) » ٠ وكان من عمل عثمان أنه يحكم بغير ما أنزل الله وقد خالف سبيل الله وسبيل صاحبيه ٠ وقال الله : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا « ٢٣ » ٠ وقال : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون الكافرون والفاسقون (٢٤) وقال : « ألا لعنة الله على الظالمين » (٢٥) ٠ وقال : « ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » (٢٦) وقال : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » (٢٧) وقال : « وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقواأنهملايؤمنون» (٢٨) ٠ وكل هذه الآيات تشهد على عثمان وانماشهدنا

---

١٨ ــ سورة التوبة آية ٣٤ (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) ٠

١٩ ــ سورة الاعراف آية ٨٥ ٠

٢٠) سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما) آية ٢٩ ٠

٢١ ــ نص الآية (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) سورة الانفال آية ٤١ ٠

٢٢ ــ سورة البقرة آية ٢٧٥ ٠

٢٣ ــ سورة النساء آية ١١٥ ٠

٢٤ ــ سورة المائدة آية ٤٧ ٠

٢٥ ــ سورة هود آية ١٨ ٠

٢٦ ــ سورة النساء آية ٥٢ ٠

٢٧ ــ سورة هود آية ١١٣ ٠

٢٨ ــ سورة يونس آية ٣٣ ٠

عليه بما شهدت عليه هذه الآيات ٠ والله يشهد بما أنزل اليكم أنزله بعلمه والملئكة (هكذا) يشهدون وكفى بالله شهيدا (٢٩) ٠ فلما رأى المسلمون الذين أتى به عثمان من معصية الله والمؤمنون شهداء الله في الارض ناظرون في أعمال الناس ٠ وقال الله عز وجل : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (٣٠) ٠ وترك خصومة الخصمين في الحق والباطل ، ووقع ما وعدالله منالفتن وقدقال الله عز وجل : « ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (٣١) ٠ وعلم المسلمون أن طاعة عثمان على ذلك طاعة ابليس ، فساروا الى عثمان من أطراف الارض واجتمعوا اليه ملأ من المهاجرين والانصار وعامة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتوه فذكروه بالله وأخبروه بالذي أتى من معاصي الله ، فزعم أنه يعرف الذي يقولون وأنه يتو بالى الله عز وجل منه ويراجع الحق ٠ فقبلوا الذي أتاهم به من الاعتراف بالذنب والتوبة الى الله عز وجل ومراجعة الحق ٠ وكان حقا على أهل الاسلام اذا التقوا بالحق أن يقبلوه ويجامعوه ما استقام على الحق ٠ فلما تفرقوا عنه نكث الذي عاهدهم عليه وعاد الى اعظم من الذي تاب منه ٠ فكتب الى عماله في ادبارهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ٠ فلما ظهر المؤمنون على كتابه ونكثه العهود رجعوا اليه وقتلوه بحكم الله ٠ وقد قال الله عز وجل : « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون » (٣٢) ٠ وقد عمل بكتاب الله وجامع المسلمين زمانا ثم ارتد على عقبيه ٠ وقد قال الله عز وجل : « ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهموأملىلهم»(٣٣)٠ فهذا وأمثاله من خبر عثمان هو الذي فارقه عليه المؤمنون وفارقناه وطعنوا عليه فيه وطعنا نحن اليوم فيه ٠ وذكرت كونه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلته معه ، فقد كان علي بن ابي طالب أقرب قرابة الى رسول الله وأعظم خلة واقدم هجرة واسبق اسلاما وأنت تشهد له بذلك وانا بعد ذلك ٠ فكيف كانت قرابته وخلته هل كانت نجاة اذا ترك الحق أم هلاكا ؟ واعلم أن علامة كفر هذه الامة اذا تركوا الحكم بما أنزل الله وحكموا بغير ما انزل الله « فمن أصدق من الله حكما لقوم يوقنون » (٣٤) ٠ وقال : « فبأي حديث

---

٢٩ — نص الآية (لكن الله يشهد بما أنزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) سورة النساء آية ١٦٦ ٠

٣٠ — سورة التوبة آية ١٠٥ ٠

٣١ — سورة العنكبوت آية ١ — ٣ ٠

٣٢ — سورة التوبة آية ١٢ ٠

٣٣ — سورة محمد آية ٢٥ ٠

٣٤ — نص الآية (افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) سورة المائدة آية ٥٠ ٠

بعد الله وآياته يؤمنون » (٣٥) ٠ فلا يغرنك يا عبد الملك بن مروان عز نفسك ولا تسند دينك الى الرجال فانهم يستدرجون من حيث لا يعلمون ٠ فان أملك الاعمال خواتمها وكتاب الله جديد أبدا لا ينطق الا بالحق ٠ أجارنا الله باتباعه أن نبغي او نضل ، فاعتصم بحبل الله يا عبد الملك واعتصم بالله يهديك الى صراط مستقيم ٠ قال الله عز وجل : « ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » (٣٦) ٠ وكتاب الله هو حبل الله المتين الذي أمر المؤمنين أن يعتصموا به فقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٣٧) ٠ فأنشدك الله أن تدبر معاني القرآن وتكون مهتديا به مخاصما به قال الله عز وجل : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٣٨) ٠

٠ وأما قولك في معاوية أن الله قام معه وعجل نصره وبلج حجته وأظهره على عدوه بالطلب لدم عثمان ٠ فان كنت تعتبر الدين من قبل الدولة والغلبة في الدنيا فانا لا نعتبره من قبل ذلك ، فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعلمون ، وظهر المشركون على المؤمنين ليبلي المؤمنين ويملي الكافرين وقال : « وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين »(٣٩) وانظر ما أصاب المؤمنين من المشركين يوم أحد،وانظركيفظهرقتلةابنعفان عليه وعلى شيعته يوم الدار ، وظهرعلي علىاهلالبصرةوهمشيعة عثمان ، وظهر المختار على زيد وأصحابه وهم شيعتهم ، وظهر مصعب على المختار، وظهر أهل الشام على أهل المدينة ، وظهر الزبير على أهل الشام بمكة ٠ فلا تعتبر الدين من قبل الدولة ، فقد يظهر الناس بعضهم على بعض ٠ فقد أعطى الله فرعون ملكا وظهر في الارض ٠ وأعطى الذي حاج ابراهيم في ربه ملكا ٠ ثم ان معاوية انما اشترى الامارة من الحسن بن علي ، ولم يف له بما اشترطه عليه وعاهد الله العظيم ليوفين له ٠ وقد قال الله عز وجل ٠ « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها الآية (٤٠) ٠ ولا تسئل (هكذا) عن معاوية وعن صناعته غيري لأني قد أدركته ورأيت عمله وسيرته ، ولا أعلم من الناس أحدا أترك للقسمة التي قسمها الله ولا لحكم حكمه الله ولا أسفك لدم حرمه الله منه فلو لم يصب من البلاء الا دم ابن سمية لكان فيه ما يكفره،

---

٣٥ ــ سورة الجاثية آية ٦ ٠

٣٦ ــ سورة آل عمران آية ١٠١ ٠

٣٧ ــ سورة آل عمران آية ١٠٣ ٠

٣٨ ــ سورة محمد اية ٢٤ ٠

٣٩ ــ سورة آل عمران آية ١٤٠ــ١٤١ ٠

٤٠ ــ نص الاية (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون) سورة النحل آية ٩١ ٠

ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا لعينا كافرا شاربا للخمر فيكفيه من الشر • فلا يخفى عمل معاوية ويزيد على كل عاقل ، فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك في معاوية • فقد أدركنا أهل بيتكم يطعنون في معاوية ويزيد ويعيبون عليهما كثيرا فما (هكذا) يصنعون • فمن يتول عثمان ومن معه فاني أشهد الله وملائكته أني منهم برىء ، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ونموت عليه اذا متنا ونبعث عليه اذا بعثنا ونحاسب بذلك عند الله • وكتب (هكذا) الي تعذرني الغلو في الدين • أعوذ بالله من الغلو • وسأبين لك ما الغلو في الدين اذا جهلته • والغلو في الدين أن يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتاب الله الذي بين ، وسنة نبيه التي سن • وقال الله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » (٤١) • وقال : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق » (٤٢) • كما على عثمان والأئمة بعده وأنت بعد على سبيلهم وطاعتهم تجامعهم على معصية الله وتتبعهم ، وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم أنت عليها • وقال الله عز وجل • « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » (٤٣) • فهؤلاء أهل الغلو في الدين فليس من غضب لله حين عصي ورضي بحكم الله ودعا الى كتاب الله والى سنة نبيه وسنة المؤمنين بعد بغال في الدين • وكتبت الى تعرض بالخوارج وتزعم انهم يغلون في دين الله ويتبعون غير سبيل المؤمنين ويفارقون أهل الاسلام • وأنا أبين لك سبيلهم • هم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من بدعة وفارقوه حين ترك حكم الله ، وهم اصحاب الزبير وطلحة حين نكثا وأصحاب معاوية حين بغى ، واصحاب علي حين بدل كتاب الله وحكم عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص فهم فارقوا هؤلاء كلهم وأبوا أن يفرقوا بحكم البشر دون حكم الله • فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقة • كانوا يتولون في دينهم وسنة نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويدعون الى سبيلهم ويرضون على ذلك • كانوا يخرجون واليه يدعون وعليه يفارقون • وقد علم من عرفهم وعرف حالهم أنهم كانوا أحسن عملا وأشد قتالا في سبيل الله • هذا خبر الخوارج شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداؤنا ولمن ولاهم أولياؤنا بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه اذا متنا ونبعث عليه عند ربنا • انا براء الى الله من ابن الازرق وصنيعه وأتباعه • لقد كان حين خرج على الاسلام فيما ظهر لنا ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد اسلامه فنبرأ الى الله منهم •

---

٤١ ـ سورة النساء آية ١٧١ •

٤٢ ـ سورة المائدة آية ٧٧ •

٤٣ ـ سورة المائدة آية ٧٧ •

وأنت كتبت الي أن أكتب اليك بجواب كتابك وأجتهد لك في النصيحـة٠ وذكرتني بالله وأفضل ما ذكرتني به أن قلت : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ٠ الاية (٤٤)٠ واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لنبينه للناس ولا تكتمونه فقد بينت لـك واخبرتك خبر الأئمة ، وكان حقـا علي ان أنصح لك ، فان الله لم يتخذني عبدا لأكفر به ولا أن اخادع الناس بشيء ليس في نفسي وأخالف الى ما أنهى عنه ٠ أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لتحل (الحلال؟) وتحرم الحرام ٠ ولا تظلموا الناس شيئا ، وأن يكون كتاب الله حكمـا بيني وبينكم فيما اختلفنا فيه ، وأن نتولى من تولى الله وأن نبرأ ممن تبرأ الله منه ، وان نطيع من أمر الله بطاعته ، ونعصي من أمر الله بمعصيته في كتابه ٠ فهذا الذي ادركنا عليه نبينا صلى الله عليه وسلم ٠ وأن هذه الأمة لم تسفك دما الا حين ترك كتاب الله وسنة نبيه ٠ وقد قال الله عز وجـل : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلـت واليه أنيب » (٤٥) ٠ والقرآن هو السبيل الواضح الذي هدى الله به من كان قبلنا محمد وأصحابه الخليفتين الصالحيـن ، ولا يضـل من اتبعـه ولا يهتدي من تركـه وقال ٠ «وانهذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعواالسبل فتفرق بكم عن سبيله » (٤٦) ٠ فاحذر أن تتفرق بك السبل وتتبع هواك فان الناس انما يتبعون في الدنيا والآخرة امامين : امام هدى وامام ضلالة ، فامام الهدى الذي يتبع كلام الله ويقسم بقسمة الله ويحكم بحكم الله وهو الذي قال عز وجل : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » (٤٧) ٠ وهؤلاء هم الائمة الذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم ٠

واما أئمة الضلالة فهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ويقسمون بغير قسمة الله ويتبعون آهواءهم بغير سنة من الله فهؤلاء الذين قال الله عز وجل فيهم : « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون » (٤٨) ٠ وفيهم

---

٤٤ ــ نص الآية « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » سورة البقرة آية ١٥٩ ٠

٤٥ ــ سورة الشورى آية ١٠ ٠

٤٦ ــ سورة الانعام آية ١٥٣ ٠

٤٧ ــ سورة الانبياء آية ٧٣ ٠

٤٨ ــ سورة القصص آية ٤١ ٠

قال : « ولا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا » (٤٩) وقال : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » (٥٠) ٠ وهذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ٠ فماذا بعد الحق الا الضلال ٠ فلا تضربن عنك الذكر صفحا ، ولاتشكن في كتاب الله ٠ وقد كتبت الي بمرجوع كتابك فأنشدك الله لما قرأته وأنت مشغول حتى تتفرغ له وتدبر معانيه وتنظر فيه بعين البصيرة ٠ واكتب الي جواب كتابي ان استطعت وانزع الي الشواهد من كتاب الله والبينة منه ٠ فاصدق بذلك قولك ، ولا تعرض لي بالدنيا فانه لا رغبة لي في الدنيا ،وليست من حاجتي ، ولكن لتكون نصيحتك لي في الدين ولما بعد الموت ٠ فان ذلك أفضل النصيحة ٠ والله قدير أن يجمع بيننا وبينك على الطاعة فانه لا خير فيمن لم يكن على طاعة الله وبالله التوفيق وفيه الرضا ٠ والسلام عليك ٠

البرادي ، **الجواهر المنتقاة** ، ص ١٥٦ـ١٦٧ ٠

---

٤٩ ـ نص الآية (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا) سورة الفرقان آية ٥٢ ٠

٥٠ ـ سورة الكهف آية ٢٨ ٠

المصادر والمراجـــــع

المصادر المخطوطة

ابن عبد السلام ، جعفر بن أحمد (توفي اواخر القرن الحادي عشـــــر الهجري) ، **ابانة المناهج في نصيحــة الخــوارج** ، دار الكتب المصريـــــــة رقم ٢٥٤٩٩ ب ٠

ابن عطيه ، شبيب (عاش في القرن الثاني الهجري) ، **سيرة شبيب** ، دار الكتب المصرية رقم ٢٢٤٩٨ب ٠

أبو زكريا يحيى بن أبي بكر (توفي في النصف الثاني من القرن الرابـــع الهجري) ، **السيرة وأخبار الامة** ، دار الكتب المصرية رقم ٩٠٣٠ ح ٠

ابو عبيدة ، مسلم بن ابي كريمة التميمي (توفي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري) ،**رسالة في احكام الزكاة** ، دار الكتب المصرية رقـم ٢١٥٨٢ب ٠

الازدى ، جابر بن زيد ، **جوابات** ، الخزانه البارونية في جزيرة جربـــة في تونس (استفدت من صورة مصورة تفضل علي بها صديق مغربي ، وأعارني اياها لساعات محدودة) ٠

الازكوى ، سرحان بن سعيد (عاش في القرن الحادي عشر الهجري) ، **كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة** ، مخطوطة المكتبة البريطانية رقم Or. 8076.

البرادي **رسالة فيها تقييد كتب اصحابنا** ، دار الكتب المصرية رقم ٢١٧٩١ب٠

البلاذري ، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ) ، **انساب الاشراف**،المكتبةالسليمانية في تركيا رقم ٥٩٨ ٠

الجيطالي ، اسماعيل بن موسى (ت٧٥٠هـ) **شرح قواعد الاسلام** ، دار الكتب المصرية رقم ٢٢٠٦٧ب ٠

الحضرمي ، ابو اسحاق ابراهيم بن قيس (توفي في القرن الخامـــس الهجري) ، **مختصر الخصال** ، دار الكتب المصرية رقم ٢١٥٩١ ب ٠

الخراساني ، ابو غانم (توفي في القرن الثاني الهجري) **المدونـــة** ، دار الكتب المصرية رقم ٢١٥٨٢ب ٠

الدرجيني ، ابو العباس احمد (توفي في القرن السابع الهجري) **طبقات الاباضية** ، دار الكتب المصرية رقم

الرقيشي ، احمد بن عبدالله (توفي في القرن العاشر الهجري) ، **مصباح الظلام** ، دار الكتب المصرية رقم ٢٠٥٤٩ب ٠

السوفي ، ابو عمر عثمان بن خليفة (توفي اواخر القرن السادســـس الهجري) ، **شرح السؤالات** ، دار الكتب المصرية رقم ٢١٧٨٩ب ٠

الشطي ، محمد (توفي في القرن التاسع الهجري) ، **الجمان في اخبارالزمان**، دار الكتب المصرية رقم ١٤١٦ تاريخ .

الشماخي ، ابو العباس احمد بن سعيد (ت٩٢٨هـ) ، **شرح مقدمة اصول الفقة** دار الكتب المصرية رقم ٢١٥٨٧ب .

الشماخي ، احمد بن سعيد (ت٩٢٧هـ) ، **شرح مقدمة التوحيد** ، دار الكتب المصرية رقم ٢٢٥٧٢ب .

الصائغي ، سالم بن سعيد ، **كنز الاديب وسلافة اللبيب** ، مخطوط مكتبة جامعة كمبردج رقم Add. 2896.

عمروس بن فتح ، **اصول الدينونة الصافية** ، الخزانة البارونية في جزيرة جربة في تونس .

العوتبي ، مسلمة بن مسلم الصحاري (توفي في القرن الخامس الهجري) **انساب العرب** ، دار الكتب المصرية رقم ٢٤٦١ تاريخ .

العيني ، بدر الدين محمود بن احمد (ت٨٥٥هـ) ، **عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان** ، دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

الفرهودي ، الربيع بن حبيب (ت١٧٠هـ) ، **مسند الربيع** ، دار الكتب المصرية رقم ٥٨٢ ٢١ ب

القلهاتي ، ابو عبدالله محمد بن سعيد الازدي (توفي في القرن الثاني عشر الهجري) **الكشف والبيان** ، المكتبة البريطانية رقم Or. 2606.

المحروقي ، درويش بن جمعة بن عمر ، **كتاب الدلائل والوسائل** ، المكتبة البريطانية رقم Or. 2085.

المغربي ، ابن حيون (ت٣٦٣هـ) ، **المجالس والمسايرات** ، جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٦٠ب .

مؤلف مجهول ، **غرر السير** ، مكتبة بودلين في اكسفورد رقم D'orville 542

مؤلف مجهول ، **قطعة من كتاب الاديان** ، دار الكتب المصرية رقم ٢٢٢٩٨ب.

مؤلف مجهول ، **محاورة بين شيعى وخارجى في شأن الشيخين ابي بكر وعمر وشأن الحكمين وماقيل في ذلك** ، دار الكتب المصرية رقم ١٩٨٨٢ب .

الناصرى ، عثمان بن عبد العزيز (ت١٢٥٩) ، **منهاج المعارج لأخبار الخوارج** دار الكتب المصرية رقم ٢١٤٤ تاريخ ـ تيمورية .

الورجلاني ، ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم ، **الدليل لأهل العقول** ، المكتبة البريطانية رقم Or. 6504.

الوسياني ، ابو الربيع (ت٤٧١هـ) ، **سير ابي الربيع** ، دار الكتب المصرية رقم ٩١١٣ح .

المصادر المطبوعـــة

ابن الابار ، محمد بن عبدالله (ت٦٥٨هـ) ، **الحلة السيراء** ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣م ٠

ابن ابي الحديد ، عبد الحميد هبة الله (ت٦٥٥هـ) ، **شرح نهج البلاغة** ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، بيروت ، ١٩٥٩ – ١٩٦٤ م ٠

ابن ابي دينار ، ابو عبدالله محمد بن القاسم (عاش في القرن الحادي عشر الهجري) ، **المؤنس في اخبار افريقية وتونس** ، تحقيق محمد شمام ، تونس ١٩٦٧م ٠

ابن اعثم ، احمد (ت٣١٤هـ) ، **كتاب الفتوح** ، مخطوطة مكتبة احمـــد الثالث ، استنبول ، رقم ٢٩٥٦ ٠ (طبع ثلاثة أجزاء منه في حيدر اباد ١٩٦٨ – ١٩٦٩ م ٠)

ابن الاثير ، مجد الدين المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ) ، **النهايـــة في غريب الحديث** ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ٠

ابن الاثير ، عز الدين علي بن محمد (ت٦٣٠هـ) ، **الكامل في التاريخ** ، ليدن ١٨٥٧–١٨٦٩)م ٠ **اللباب في تهذيب الانسان** ، القاهرة ، ١٣٥٧–١٣٦٩)م٠ **اسد الغابة في تمييز الصحابة** ، القاهرة ، ١٢٥٨ هـ ٠

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، مصر (بلا تاريخ) ٠

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) ، **سيرة عمـر بن الخطـاب** مصر (بـلا تاريخ) ٠

ابن حبيب ، محمد (ت ٢٤٥ هـ) ، **المنمق** ، حيدر آباد ، ١٩٦٤ م ٠ **المحبـر** ، حيدر آباد ، ١٩٤٢ م ٠

ابن حزم ، عليبن أحمد بن سعيد الاندلسي ت (٤٥٦ هـ) ، **أنساب العرب** ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٢ ٠

ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ، **الفصل في الملل والنحـــل** ، مصر ، ١٣١٧ – ١٣٢٠ هـ ٠

ابن تغري بردى ، يوسف (ت٨٧٤هـ) ، **النجوم الزاهرة** ، القاهرة ، ١٩٢٩م٠

ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) ، **تهذيـــب التهذيـــب** ، حيدر آباد (١٣٢٩ – ١٣٢١ هـ) ٠ **لسان الميزان** ، ١٣٢٢ ٠

ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧ هـ) ، **المسالك والممالك** ، ليدن ، ١٨٧٢ م ٠

ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٤هـ) **كتاب العبر** ، بيروت ، ١٩٥٦

بولاق ، ١٨٤٧م . **المقدمة** ، بيروت ، ١٩٦١ . بولاق ، ١٩٢٠ م .
ابن خلكان ، احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) ، **وفيات الاعيان** ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، – ١٩٧١م .
ابن دريد ، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) ، **الاشتقاق** ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
ابن سعد ، محمد (ت ٢١٠هـ) ، **الطبقات** ، ليدن ، ١٩٠٥ م .
ابن سعيد ، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ) **المغرب في حلى المغرب** ، تحقيق شوقي ضيف ، ١٩٥٥ م .
ابن سلام ، ابو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ) ، **الاموال** ، القاهرة ١٣٥٣هـ .
ابن عبدالبار ، يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣هـ) ، **الاستيعاب في معرفة الاصحاب** ، حيدر آباد ، ١٣١٨هـ .
ابن عبد الحكم ، عبدالله (ت ٢١٤هـ) ، **سيرة عمر بن عبد العزيز** ، تحقيق احمد عبيد ، دمشق ، ١٩٦٤ م .
ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٩هـ) ، **فتوح مصر** ، نيوهايفن ، ١٩٢٢م .
ابن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ) **العقد الفريد** ، القاهرة ، ١٩٤٠م .
ابن عذارى ، ابو عبدالله محمد (ت في الثلث الاول من القرن الثامن الهجري) ، **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب** ، بيروت ، ١٩٥٠م .
ابن عساكر ، علي بن حسن (ت ٥٧١هـ) **تاريخ دمشق** ، مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٣١ه عام و٢٠٥ أدب .
تاريخ دمشق ، الجزء الاول ، دمشق ، ١٩٥١م ، الجزء الثاني ، القسم الاول دمشق ، ١٩٥٤ ، الجزء العاشر ، دمشق ، ١٩٦٣ .
ابن عساكر ، علي بن حسن (ت ٥٧١هـ) ، **تهذيب التاريخ الكبير** ، دمشق ، ١٣٣٠ – ١٣٥١ هـ .
ابن الفقيه الهمداني ، احمد (ت نحو عام ٢٨٩هـ) ، **كتاب البلدان** ، ليدن ١٨٨٥م .
ابن قتيبه ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، **عيون الاخبار** ، القاهرة ، ١٩٢٥– ١٩٣٠م .
ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، **المعارف** ، تحقيق ثروت عكاشة القاهرة ، ١٩٦٠م .
ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) ، **البدايه والنهاية** ، القاهرة ، ١٩٣٢م .
ابن المرتضى ، احمد بن يحيى الزيدي (ت ٨٤٠هـ) **طبقات المعتزلة** ، بيروت ١٩٦١م .
ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت ٣٣٥هـ) ، **الفهرست** ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .

ابو داود ، سليمان بن الاشعث (ت٢٧٥هـ) ، سنن ، القاهرة ، ١٩٥٢ ٠
ابو العرب ، محمد بن احمد بن تميم القيرواني (ت٣٣٣هـ) ، **طبقات علماء افريقية وتونس** ، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي ، تونس ، ١٩٦٨٠
ابو الفداء ، اسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ) ، **المختصر في اخبار البشر** ، استنبول ، ١٢٦٨هـ ٠

ابو الفداء ، اسماعيل (ت ٧٣٢هـ) ، **تقويم البلدان** ، باريس ، ١٨٤٠م ٠
ابو الفرج ، علي بن الحسين الاصبهاني (ت٣٥٦هـ) ، **الاغاني** ٢٠ جـزء (بولاق) ١٢٨٤ـ١٢٨٥ هـ ٠ الجزء الحادي والعشرون ، ليدن ، ١٣٠٦ هـ ، الفهارس ليدن ، ١٩٠٠م ٠

أبو نعيم ، احمد بن عبد الله (ت ٣٤٠هـ) ، **حلية الاولياء** ، القاهرة ، ١٩٣٢ـ١٩٣٨م ٠
ابو نعيم ، احمد بن عبدالله (ت٤٤٠هـ) ، **دلائل النبوه** ، حيدر آباد ، ١٩٥٠م
ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ) ، **الخراج** ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ ٠
الازدى ، ابو زكريا يزيد بن محمد (ت٣٣٤هـ) ، **تاريخ الموصل** ، تحقيق علي حبيبه ، القاهرة ، ١٩٦٧م ٠

الاشعري ، علي بن اسماعيل (ت٣٣٠هـ) ، **مقالات الاسلاميين** ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ ٠
الازكوى ، سرحان بن سعيد (ت في القرن الثامن عشر الميلادي) ، **تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة** ، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي ، ابو ظبي ، ١٩٧٦م ٠

الباروني ، عبدالله بن يحيى ، **سلم العامة والمبتدئين** ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ٠
الباقلاني ، محمد بن الطيب (٤٠٣هـ) ، **التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة** ، تحقيق أبو ريده ومحمود الحضرمي ،القاهرة، ١٩٤٧م ٠
البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ) ، **الصحيح** ، مصر ١٣١٥ هـ ٠
البخارى ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ) ، **التاريخ الكبير** ، حيدر اباد ، ١٣٨٢هـ ٠
البرادي ، ابو القاسم بن ابراهيم (ت ٦٩٧ هـ) ، **الجواهر المنتقاة** ، طبعة حجرية ، القاهرة ، ١٨٨٤م ٠
البغدادي ، عبد القادر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ) ، **الفرق بين الفرق** ، بيروت ، ١٩٧٣م ٠
الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت٢٢٥هـ) ، **البيان والتبيين** ، القاهرة ، ١٩٢٧م ٠
الحيوان ، القاهرة ، ١٩٣٨ـ١٩٤٥م٠ **العثمانية** ، القاهرة ، ١٩٥٨ م٠

الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ) ، **الوزراء والكتاب** ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ ٠

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، **كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون** ، طهران ، ١٩٥٧ م ٠

الحميرى ، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ) ، **منتخبات في اخبار اليمن** ، ليدن ١٩١٦م٠

الحميري ، **رسالة الحور العين** ، القاهرة ، ١٩٤٧ م ٠

الحنفي ، ابو محمد عثمان بن عبد الله ، **الفرق المفترقة بين اهل الزيغ والزندقه** ، انقرة ، ١٩٦١م٠

الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت٤٦١هـ) ، **تاريخ بغداد** ، ١٩٣١م ٠

خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ) ، **كتاب الطبقات** ، بغداد ، ١٩٦٧م٠ دمشق ، ١٩٦٦-١٩٦٧م، **كتاب التاريخ** ، دمشق ١٩٦٧م ، النجف ، ١٩٦٧م ٠

الذهبي ، محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ) ، **سير اعلام النبلاء** ، **الجزء الاول** ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ذخائر العرب رقم ١٩ ، القاهرة ، ١٩٥٦م ٠
الجزء الثاني ، تحقيق ابراهيم الانباري ، القاهرة ١٩٥٧ م ٠
الجزء الثالث ، تحقيق محمد اسعد طلس ، **القاهرة** ، ١٩٦٢م ٠

الذهبي ، محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ) ، **العبر في خبر من غبر** ، الجزء الاول تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٠م٠ الجزء الثاني ، تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ١٩٦١م٠ الجزء الثالث ، تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ١٩٦١م٠ الجزء الرابع ، تحقيق المنجد ، الكويت ١٩٦٣م ٠ الجزء الخامس ، تحقيق المنجد ، الكويت ، ١٩٦٦م ٠

الذهبي ، **ميزان الاعتدال** ، تحقيق علي محمد البجاوى ، القاهرة ، ١٩٦٣م

الذهبي ، **تذكرة الحافظ** ، حيدر آباد ، ١٣٣٤هـ ٠

الذهبي ، **تاريخ الاسلام** ، القاهرة ، ١٣٦٧-١٣٦٩هـ ٠

الرازي ، ابو حاتم احمد بن حمدان ، **الزينة في الكلمات الاسلامية** ، تحقيق عبدالله السامرائي ، بغداد ، ١٩٧٢م ٠

الرازي فخر الدين (ت٦٠٦هـ) ، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** ، القاهرة ، ١٩٣٨م ٠

الربيع بن حبيب (توفي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري) ، **الجامع الصحيح** ، القدس ، ١٣٨١هـ ٠

الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ) ، **جمهرة نسب قريش** ، بيروت ، ١٩٦٦م ٠

الزبيري ، مصعب بن عبدالله (ت٢٣٦هـ) **نسب قريش** ، القاهرة ، ١٩٥٣م

السرخسي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت٤٩٠هـ) ، **كتاب المبسوط** ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ ٠

الشماخي ، احمد بن سعيد (ت٩٢٨هـ) ، **كتاب السير** ، طبقة حجرية ، القاهرة، ١٨٨٤م .
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ) ، **الملل والنحل** ، القاهرة ١٩٦١م.
الضبي ، احمد بن يحيى (ت٥٩٩هـ) ، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس** ، مدريد ، ١٨٨٤ .
الطبري ، محمد بن جعفر (ت٣١٠هـ) ، **تاريخ الرسل والملوك** ، ليدن ،١٨٨١م القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٨م .
القيرواني ، الرقيق (ت٤١٧هـ) ، **تاريخ افريقية والمغرب** ، تحقيق المنجي الكعبي ، تونس ، ١٩٦٨م .
الكتبي ، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ) ، **فوات الوفيات** ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤م.
الكندي ، ابو عمر محمد بن يوسف (ت٣٥٠هـ) ، **الولاة والقضاه** ، ليدن ، ١٩١٢م . **كتاب القضاة** ، باريس ، ١٩٠٨م. **كتاب ولاة مصر**،بيروت،١٩٥٩م.
المالكي ، ابو بكر عبدالله (ت٤٣٨هـ) ، **رياض النفوس** ، تحقيق حسين مؤنس ، **القاهرة** ، ١٩٥١م.
المالكي ، ابو الحسن علي بن محمد الربيع (ت٤٤٤هـ) ، **فضائل الشام** ، تحقيق صلاح الدين المنجد دمشق ، ١٩٥٠م.
الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ) ، **الاحكام السلطانية**،مصر، ١٣٨٦ هـ .
المبرد ، محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) ، **الكامل في اللغة** .
المراكشي ، عبدالواحد (عاش في القرن السابع الهجري) ، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب** ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
المسعودي ، علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ) ، **مروج الذهب** ، باريس ، ١٨٧٣م.
المسعودي ، علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ) ، **التنبيه والاشراف** ، ليدن ، ١٨٩٤م .
مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) ، **صحيح مسلم** ، مصر ، ١٣٧٤هـ .
المقدسي (شمس الدين محمد بن احمد (ت في القرن الرابع الهجري) ، **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** ، ليدن ، ١٨٧٧م .
المقري ، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ) ، **نفح الطيب** ، تحقيق احسان عباس، بيروت ، ١٩٦٨م .
المنقري ، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) ، **وقعة صفين** ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ .

مؤلف مجهول ، **تاريخ الخلفاء** ، موسكو ، ١٩٦٧ م ٠
مؤلف مجهول ، **العيون والحدائق** ، ليدن ، ١٨٦٩م ٠
مؤلف مجهول ، **نبذة تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى** ، الرباط ١٩٣٤م ٠
النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ)، **نهاية الأرب في فنون الادب** ، القاهرة ١٩٢٣-١٩٥٥ ٠ الجزء الثاني والعشرون ، غرناطة ، ١٩١٧م٠
النووى ، ابو زكريا يحيى (ت٦٧٦هـ) ، **تهذيب الاسماء** ، تحقيق وستنفيلد جوتنجن ، ١٨٤٢م ٠
الهمداني ، ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ) ، **الاكليل** ، الجزء الاول القاهرة ، ١٩٦٣ ، الجزء الثامن ، بغداد ١٩٣١ ، الجزء العاشر ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ ٠
الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ليدن ، ١٨٨٤-١٨٩١م ٠
الورجلاني ، ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم، **الدليل والبرهان** ، طبعة حجرية القاهرة ، ١٣٠٦ هـ ٠
ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، ليبزغ ، ١٨٦٦-١٨٧٣م ٠
يحيى بن آدم (ت٢٠٣هـ) ، **الخراج** ، تحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ٠
اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت٢٨٤هـ) ، **تاريخ** ، ليدن ، ١٨٨٣م ٠ **البلدان** ، ليدن ١٨٦٠م ٠

المراجع العربية

أبو زهرة ، **محمد** ، **المذاهب الاسلامية** ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ٠
اطفيش ، محمد بن يوسف ، رسالة **شافية في بعض التواريخ** ، طبعة حجرية ، الجزائر ، ١٢٩٩ هـ ٠
اطفيش ، محمد بن يوسف ، الامكان **فيما جاز أن يكون أو كان** ، طبعة حجرية ، الجزائر ١٣٠٤ هـ ٠
اطفيش ، محمد بن يوسف ، **شرح كتاب النيل** ، بيروت ، ١٩٧٢ م ٠
أمين ، احمد ، **فجر الاسلام** ، القاهرة ، ١٩٢٨ م ٠
الباروني ، ابوالربيع سليمان ، **مختصر تاريخ الاباضية** ، تونس ، ١٩٣٦م٠
الباروني النفوسي ، عبد الله ، **الازهار الرياضية** ، تونس (بلا تاريخ) ٠
البكري ، صلاح ، **تاريخ حضرموت السياسي** ، القاهرة ١٩٥٦م٠
الجنابي ، كاظم ، **تخطيط مدينة الكوفة** ، بغداد ، ١٩٦٧م ٠
الحارثي ، سالم بن حمد ، **العقود الفضية في أصول الاباضية** ، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان (بلا تاريخ) ٠
الحامد ، صالح ، **تاريخ حضرموت** ، بيروت ١٩٦٨ م ٠
حركات ، ابراهيم ، **المغرب عبر التاريخ** ، الدار البيضاء ، ١٩٦٥ م

حسن ، حسن ابراهيم ، **تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي**، القاهرة ، ١٩٥٣ م .
حسن ، علي ابراهيم ، **التاريخ الاسلامي العام** ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
حسين ، طه ، **الفتنة الكبرى** ، دار المعارف بمصر (بلا تاريخ).
الخربوطلي ، علي حسني ، **تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي** ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
الدباغ ، مصطفى مراد ، **جزيرة العرب** ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
دبوز ، محمد علي ، **تاريخ المغرب الكبير** ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
الدجيلي ، محمد رضا حسن ، **فرقة الازارقة** ، النجف الاشرف ، ١٩٧٣م.
دكسن ، عبد الامير ، **الخلافة الاموية** ، بيروت ، ١٩٧٤ م .
الدوري ، عبد العزيز ، **مقدمة في تاريخ صدر الاسلام** ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
الدوري ، عبد العزيز ، **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب** ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
الراوي ، ثابت اسماعيل ، **تاريخ الدولة العربية** ، بغداد ، ١٩٧٠م .
الريس ، فهد ضياء الدين ، **النظريات السياسية الاسلامية** ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
الزاوي ، الطاهر احمد ، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** ، القاهرة ،١٩٦٣م.
الزركلي ، خير الدين ، **الاعلام** ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
زلوم ، عبد القادر ، **عمان والامارات السبع** ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
السالم ، السيد عبد العزيز ، **تاريخ المسلمين وأثارهم في الاندلس** ، بيروت ١٩٦٢م .
السالمي ، عبد الله بن حميد ، **تحفة الاعيان** ، الطبعة الخامسة ، الكويت، ١٩٧٤ م .
السالمي ، عبد الله بن حميد ، **جوهر النظام في علم الاديان والاحكام** ، القاهرة (بلا تاريخ) .
السالمي ، عبد الله بن حميد ، **اللمعة المرضية** ، ١٣٦٨ هـ .
السالمي ، عبد الله بن حميد ، **شرح الجامع الصحيح** ، الجزأين الاولوالثاني القاهرة ، ١٣٢٦ هـ ، الجزء الثالث ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ،١٩٦٣م
السالمي ، محمد بن عبد الله ، **نهضة الاعيان بحرية عمان** ، القاهرة (بلا تاريخ) .
السالمي ، محمد بن عبد الله وناجي عساف ، **عمان .. تاريخ يتكلم** ، دمشق ، ١٩٦٣ م .
السلاوي ، أبو العباس احمد بن خالد الناصري ، **الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى** ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م .
السيابي ، سالم ، **اسعاف الاعيان بسيرة اهل عمان** ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

العبادي ، احمد مختار ، **في التاريخ العباسي والاندلسي** ، بيروت ، ١٩٧١م.
عباس ، احسان ، شعر الخوارج ، **بيروت** ، ١٩٧٤

عباس ، احسان ، **تاريخ ليبيا** ، بيروت ، ١٩٦٧
مخطوطة الازكوي » ، **مجلة المؤرخ العربي** ، عدد ٢ (١٩٥٧) .

عبد الحميد ، سعد زغلول ، **تاريخ المغرب العربي** ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
عبد الحميد ، عرفان ، **دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية** ، بغداد ، ١٩٦٧ م .

عبد الرزاق ، محمود اسماعيل ، **الخوارج في بلاد المغرب** ، الدار البيضاء ، ١٩٧٦ م .

عبد الرازق ، محمود اسماعيل ، **الحركات السرية في الاسلام** ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

عبد المطلب ، رفعت فوزي ، **الخلافة والخوارج في المغرب العربي** ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

عبد الوهاب ، حسن حسني ، **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية** ، تونس ، ١٩٦٦ .
العقاد ، عباس محمود ، **الديمقراطية في الاسلام** ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .
العلي ، صالح احمد ، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري** ، بغداد ، ١٩٥٣ م .

عدنان ، محمد عبد الله ، **دولة الاسلام في الاندلس** ، القاهرة ، ١٩٤٩م .
عدنان ، محمد عبد الله ، **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة** ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

الغرابي ، علي ، **تاريخ الفرق الاسلامية** ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
قلماوي ، سهير ، **أدب الخوارج في العصر الاموي** ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .

كحالة ، عمر ، **معجم قبائل العرب** ، دمشق ١٩٤٩ م .
كحالة ، عمر ، **معجم المؤلفين** ، دمشق ، ١٩٥٧ م .
معمر ، علي يحي ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
معمر ، علي يحي ، **الاباضية بين الفرق الاسلامية** ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
المنجد ، صلاح الدين ، **معجم المخطوطات** ، بيروت ، ١٩٦٢ م .
مؤنس ، حسين ، **فجر الاندلس** ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
مؤنس ، حسين ، **فتح العرب للمغرب** ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .
النجار ، محمد ، **الدولة الاموية في الشرق** ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
النشار ، علي سامي ، **نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام** ، الاسكندرية ، ١٩٦٤ م .

المراجع الاجنبية

Arberry, A.J., **The Chester Beatly library, a hand book of the Arabic Manuscripts,** Dublin, 1955

Arnold, Thomas, **The preaching of Islam,** London, 1935.**The Caliphate,** London, 1967.

Azmi, M.M., **Studies in early Hadith Literature,** Buirut, 1963

Brockelmann, C., **History of the Islamic peoples,** London, 1934.

Bosworth, C.E., **The Islamic Dynasties (Islamic Surveys,** No. 5), Edinburgh, 1967.

Chejne, A., **Succession to the rule of Islam,** Lahore, 1960.

Dennett, D.C., **The passing of the Umayyad Caliphate,** Ph.D. Thisis, Harvard, 1939.

Despois, J., **Le Djabal Nefousa,** Paris, 1935.

Dixon, A.A., **The Umayyad Caliphate,** London, 1971.

Fournel, Les Berberes. Paris, 1875-1881.

Gabrieli, F., il Califfato **di Hisham,** Alexandria, **1935,**

A Short History of the Arabs, English translation by **S. Attanasio,** London, 1965.

Gibb, H.A.R., **Studies on the Civilization of Islam,** London,**1969,** **Mohammedanism,** Oxford, 1969.

Coldziher, I., **Muslim Studies,** vol. I, edited by S.M. Stern, translated by C.K. Barber and S.M. Stern, London, 1967, vol. 2, edited by S.M. Stern, translated, by C.R. Barber and S.M. stern, **London, 1971.**

Hitti, ph. K., **The History of the Arabs,** New York, 1964.

Holt, P. M., Lambton, A. K. S. and B. Lewis (eds.), **The Cambridge History of Islam,** Cambridge, 1970.

Holt, P. M. and lewis, B. (eds.), **Historians Of the Middle East,** London 1964.

Hopkins, Medieval Moslem government in Barbary until the 6th centutry of Hijra, London, 1958.

Huseini, Ishaq Musa, **The life and works of Ibn Qutayba,** Beirut, 1950

Julien, Andre, **Histoire de L'Afrique du Nord,** Paris, 1931.

Khadduri, Majid, **War and Peace in the law of Islam,** Baltimore, 1960.

Khleifat, A. M., **The Caliphate of Hisham b. Abd al-Malik, PH. D. Thesis,** London, 1973.

Lammens, H., **Etudes Sur le Siecle des Omayyades,** Beirut, 1930.

Lammens, H., **Etudes Sur le regne du Calife Omaiyade Moawiya yer,** London, 1908.

Lammens, S. J., **Islam, Beliefs and Institutions,** trans. by Sir E. Penison Ross, London, 1929.

Lane Poole, S., **Catalogue of Muhemmadan Coins in the British Museum,** London, 1876.

Laternari, W., **The Religions of the Oppressed.** Trans. by Lisa Sergio, London, 1963.

Le Strange., **The lands of the eastern Caliphate,** Cambridge, 1930.

Levi-Provensal, **Nukhab Tarikhiyya Jamia li Akhbar al-Maghrib al-Aqsa (extracts** from different sources Collected by levi-Provensal), Sholoon, 1923.

Levy, R., **The Social Structure of Islam,** Cambridge, 1969.

Lewicki, T., Etudes ibadites Nord Africaine, 1955.

Lewis, B., The Arabs in History, London, 1968.

Mareis, G., **La Berberie Musulmane et L'orient au moyen age.,** paris, 1946.

Masqueray, E., **Chronique D'Abu zakaria,** Alger, 1873.

Miles, S.B., The Countries and Tribes of the Persian Gulf, London, 1966.

Motylinski, A. De. C., **Chronique D'Ibn Saghir Sur Les imams Rostimides de Tahert.** Actes du 14 congres international des orientalistes, Alger, 1906.

Muir, M., **The Caliphate,** Beirut, 1963.

Nicholson, R.A., **A literary History of the Arabs,** Cambridge, 1953.

Nickerson, J.S., A short History of North Africa, New York, 1968.

Pellat, Ch., **Le Milieu Basrien et de formation du Gahiz,** Paris, 1953. (Arabic translation by Ibrahim al - Kaylani), Damascus, 1961.

Peterson, E.E., **Ali and Muawiya,** Copenhagen, 1964.

Rossi, E., **Storia di Tripoli della Tripolitania,** pubblicazioni Dell' Istitute per L'oriente, Nor, 60, Roma, 1963.

Salem, E.,**The Political Theory and Institutions of the Khawaridj, Baltimore,** 1956.

Schacht, J., **The Origins of Muhammadan Jurisprudence,** London, 1967.

Shaban, M.A., **Islamic History,** Cambridge, 1971.

Shaban, M. A., **The AbbasidRevolution.** Cambridge, 1970.

Tritton, A.S., **The Caliphs and Their non-Muslim subjects,** Oxford, 1930.

Tritton, A.S., **Islam,** London, 1966

Tyan, E., **Institution du droit public Musulman,** Beirut, 1954.

Van Vloten, G., **Rechrches sur la Domination Arab,** Amsterdam 1894. (Arabic translation, by Hasan Ibrahim Hasan), Cairo, 1965.

Watt, W.M., **Free will and predestination,** Edinburgh, 1962.

Watt, W.M., **Islam and the integration of society,** London, 1966.

Watt, W.M., **Islamic Political thought** (Islamic Surveys No. 6), Edinburgh, 1968.

Wellhausen, J., **Die Religios, Politischen opposition Spartein in alten Islam,** Berlin, 1906. (Arabic translation by Abd al-Rahman Badawi), Cairo, 1958.

Wellhausen, J., **The Arab Kingdom and its Fall,** Beirut, 1963.

Zambaur, E., **Manuel de Genealogie et de chronologie pour L'Histoire de L'Islam,** Hanover, 1927.

المقالات المنشورة باللغة العربية : ـ

التطواني ، محمد بن تاويت ، « دولة الرستميين أصحاب تاهرت » ، **صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد** ، ج٥ ، عدد ١ ، ٢ (١٩٥٧) .

الجنحاني ، الحبيب ، « تاهرت عاصمة الدولة الرستمية » ، **المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية** ، السنة الثانية عشرة (١٩٧٥) .

العبادي ، احمد مختار « سياسة الفاطميين نحو المغـــــرب والاندلس » ، **صحيفة معهد الدراسات الاسلامية** ، مدريد ، ج٥ (١٩٥٧) .

عبد الجليل ، محمد بن ، « خلافة عثمان وعلي » ، **حولية الجامعة التونسية** ، عدد ١١ (١٩٧٤) .

عمر ، فاروق ، « بيليوغرافيا في تاريخ عمان » ، **مجلـة المورد** ، بغداد ، عدد ٤ (١٩٧٤) .

عمر ، فاروق ، « ملامح من تاريخ حركة الخوارج الاباضيـــة كما تكشفهـــا مخطوطة الأزكوى » ، **مجلة المؤرخ العربي** ، عدد ٢ (١٩٥٧) .

الغناى ، مراجع ، « القوى المتصارعة في المغرب خلال القرن الثاني الهجري ودور ليبيا فيه » ، **مجلة كلية الآداب** ، جامعة بنغازي (١٩٧٦) .

مؤنس ، حسين ، « ثورات البربر في افريقية والاندلس » ، **مجلة كلية الاداب**، جامعة القاهرة (١٩٤٨) .

النعيمي ، سالم ، « ظهور الخوارج » ، **مجلة المجمع العلمي العراقي** ، ج ١٥ (١٩٦٧) .

المقالات المنشورة باللغات الاجنبية : ـ

Allauche, I. S., "Deux epitres de theologie abadite", **Hesp. Vol.22 (1936),** pp. 57-88.

Baali, A., "Bibliographie ibadite", Revue Algerienne", (1943-45), part I, pp. 39 - 40.

Basset, R., "les sanctuaires du Djabal Nefousa", Journal Asiatique (1899), pp. 423-470 and (1899), pp. 88-120.

Bekri, C., "le kharijisme berbere", **A.I.E.O.,** Vol. 15 (1957), pp. 55-108.

Brunschvig, B., "Ibn Abd al-Hakam et la Conquete de L'Afrique du Nord par les Arabes", **A.I.E.O.** Vol. **6, pp. 108-155.**

Crupi la Rosa, G., "I trasmettitori della dottrina ibadita",**A. I. C. N,** N.S., 5 (1953), pp. 123 - 139.

De Goeje, J., "Al-Baladhuri's Ansab al-Ashraf", **Z.D.M.G.,** Vol. **38 (1884).**

Ennami, A.K., "Description of New Ibadi Manuscripts from North Africa", **J. S. S.,** Vol. 15, I (1970), pp. 63-87.

Faroughy, A., "A Persian dynasty in North Africa, the Rustomids", **Islamic Review,** (1952)

Fuck, J.W., "Imran b. Hittan", **E.I** (2).

Gabrieli, F., "Al Poesia Harigita nel secolo degli Omayyadi", **R.S.O, Vol.** 20 (1943), pp. 57-65.

Goichon, A.M., "la vie feminine au Mzab", **Revue du monde Musulmane,** Vol. 62 (1925)

Heggoy, N. N., "The Mozabites of Algeria", M.W., Vol. 37, pp. 192-207.

Hinds, M., "The Murder of the caliph Uthman", **International Journal of Middle East Studies,** Vol. **3 (1972). 450-9.**

Hinds, M., "Kufan political alignments and their **background in the Mid-Seventh Century" Ibid,** Vol. **2 (1971) pp. 436-67.**

Kafafi, M., "The rise of Kharijism according to Abu said **Muhammad** Said al-Azdi al-Qalhati", **The Bulletin of the Faculty of Arts,** Cairo Univ., **Vol. 14, I (1952), pp. 29-48.**

Kumar, R., "British attitude towards the Ibadiyya **revivalist movement in** East Africa", Int. Studies, Vol. 3 (1962), p. **443-450.**

"al-Ibadiyya", **E. I (2).**

Lewicki, T., "Les subdivisions de L'Ibadiyya", **S. I, Vol** 9 (1958), pp. 71-82.

Lewicki, T., "The Ibadites in Arabia and Africa", J. W. H., Vol. 13, I (1971), pp. 51-130.

Lewicki, T., "Une chronique ibadite. Kitab as- Siyar d'Abu'l-Abbas Ahmad as-Sammahi", **Revue des Etuded Islamiques,** (1934), pp. 59-78.

Lewicki, T., "Notice sur la chronique ibadite d'ad-Dargini", **Rocznik Orientalistyczny, Vol.** 11 (1936), pp. 146-172.

Lewicki, T., "Les historiens, biographes et traditionistes ibadites dans L'Afrique du Nord au moyen-age", **Rocznik Orientlistyczny,** Vol. 21 (1957) pp. 301-343.

Lewicki, T., "Les ibadites en Tunisie au moyen age", **Accademia Polacca di Scienze lettere di Roma :** Conferenze. Fasc. 6 (Roma, 1959), pp. 6 ff.

Lewicki, T., "Un document ibadite inedit sur L' emigration des Nafusa du Gabal", **Folia Orientalia,** Vol. 2 (1960), pp. 214-6.

Lewicki, T., "Les Premiers commersants arabes en Chine", **Rocznik Orientalistyczny,** Vol. 11 (1936), pp. 173-186.

Lichenstadter, I., "Arabic and Islamic Historography", **M.W**, Vol. 5 (1945), pp. 126-132.

Marcy, G., "Le Dieu des Abadites et des Bargwata", **Hesp.,** Vol. 22 (1963), pp. 33-56.

Miles, G.C., "Some new light on the History of Kirman in the first Century of Hijra", **W.O.I** (1959).

Milliot, L., "Recueil de deliberation des djema'a du Mzab", **Rev. Etud. Isl.,** Vol. 21 (1938), 117-230.

Motylinski, A. De. C., "Chronique d'Ibn Saghir sur les imams rostemides de Tahert", **Actes du xlve Congres International des Orientalistes** (Alger, 1905), Troisieme Partie (suite) : Langues musulmans (arabe, persan et ture)" (Paris, 1908) pp. 3-132.

Motylinski, A. De. C., "L'Aqida des Abadhites", **Recueil de Memoires et de Textes Publies en L'honneur du xIv Congres des Orientalistes,** Algier (1905).

Motylinski, A. De. C., "Les manuscrit arabe de zouagha", **14 Cong, Int. Or.** (1905) 2, 4 section, pp. 79-92.

Motylinski, A. De. C., "Expedition de Pedro de Navarre et de Garcia do Tolede Contre Djerba (1510) d'apres les sources abadhites", **14 Cong. Int. Or.** (1905), 3, 3 section, pp. 133-159.

Nallino, C. A., "Rapporti fra la dogmatica mu'tazilita e quella degli Ibaditi dell'Africa settentrionale", **R.S.O,** Vol. 7 (1916 - 8), pp. 455-60.

Pellat, CH., "al-Ahnaf b. Kais", **E.I** (2).

Ross, E. C., "Annals of Oman", **J. As. Soc. Bengal,** Calcutta (1874).

Ross, E. C., "Tenets of the Ibadhi sect of Oman", **J. As. Soc. Bengal** (1873).

Rubinacci, R., "The Ibadis", in **Religion in The Middle East,** Vol. 2, pp. 302-317.

Rubinacci, R., "il Califfo Abd al-Malik b. Marwan e gli Ibaditi", **A. I. O. N,** (1953), pp. 99-181.

Rubinacci, R., "La Purita rituale secondo gli Ibaditi", **A.I.O.N,** N.S., Vol. 6. (1954-6), pp. 1-41.

Rubinacci, R., "La Professione di fede di al-Gannawani", **A.I.O.N,** Vol. 14 (1964), pp. 552-592.

Rubinacci, R., "Il Kitab al-Gawahir de al-Barradi", **A.I.O.N,** N.S., Vol. 4 (1952), pp. 95-110.

Rubinacci, R., "Notizia di alcuni manoscritti ibaditi Presso L' Instituto Universitario Orientali di Napoli", **A. I. O. N,** N.S., Vol 3 (1949), pp. 431-38.

Rubinacci, R., "Djabir b. Zayd", **E.I** (2).

Rubinacci, R., "al-Azariqa", **E.I** (2) .

Sachou, E., "Uber die Religiousen Anschauungen der Ibadiischen Muhammedaner in Oman und Ostafrika", **M.S.O.S,** Vol. I, Part 2 (1898), pp. 47 ff.

Schacht, J., "Bibliotheques et manuscrits abadites", **Revue Africaine,** Vol. 100 (1956), pp. 375-398.

Schacht, J., "Notes mozabites", al-Andalus, Vol. 22 (1957), pp. 1-20.

Schacht, J., "A Revaluation of Islamic Traditions", **J.R.A.S** (1949), pp. 143-154.

Smith, P., "The Ibadites", **M.W.,** Vol. 1 2(1922).

Smith, G. R., "The Omani Mss. Collection at Muscat", unpublished article kindly given to me by the author.

Smogorsewski, Z., "Essai de Bio-bibliographie Ibadite - Wahbite", **Rocznik Orientalistyczny,** Vol. 5 (1928), pp. 45-47.

Smogorsewshi, Z., "Un Poeme abadite Sur Certaines divergences entre les Malikites et les Abadites", **Rocznik Orientalistyczny,** Vol. 11, pp. 260-268.

Strothmann, R., "Berber und Ibaditen", **Der Islam, Vol. 27(1928),** pp. 258-279.

Thomson, J., "Kharijitsm and The Kharijites" **M. P. V.,** (1933), pp. 373-89.

Vaglieri, V., "Traduzione di passi riguardanti il conflitto Ali-Muawiya e la secessione Kharigita", **Annali dell' Istituts Universitario Orientale di Napoli** (1954).

Vaglieri, V., "L' Imamato ibadita dell Oman", **A.I.O.N., N.S.,** Vol. 3, (1949), pp. 245-282.

Van Ess, J., "Unter suchungen zu einigen ibaditischen Handschriften", **Z.D.M.G., Band 126, Heft I** (1976), pp. 25-63.

Watt, M., "Kharijite thought in the Umayyad Period", **D. I.,** Vol. 36 (1961), pp. 215-232.

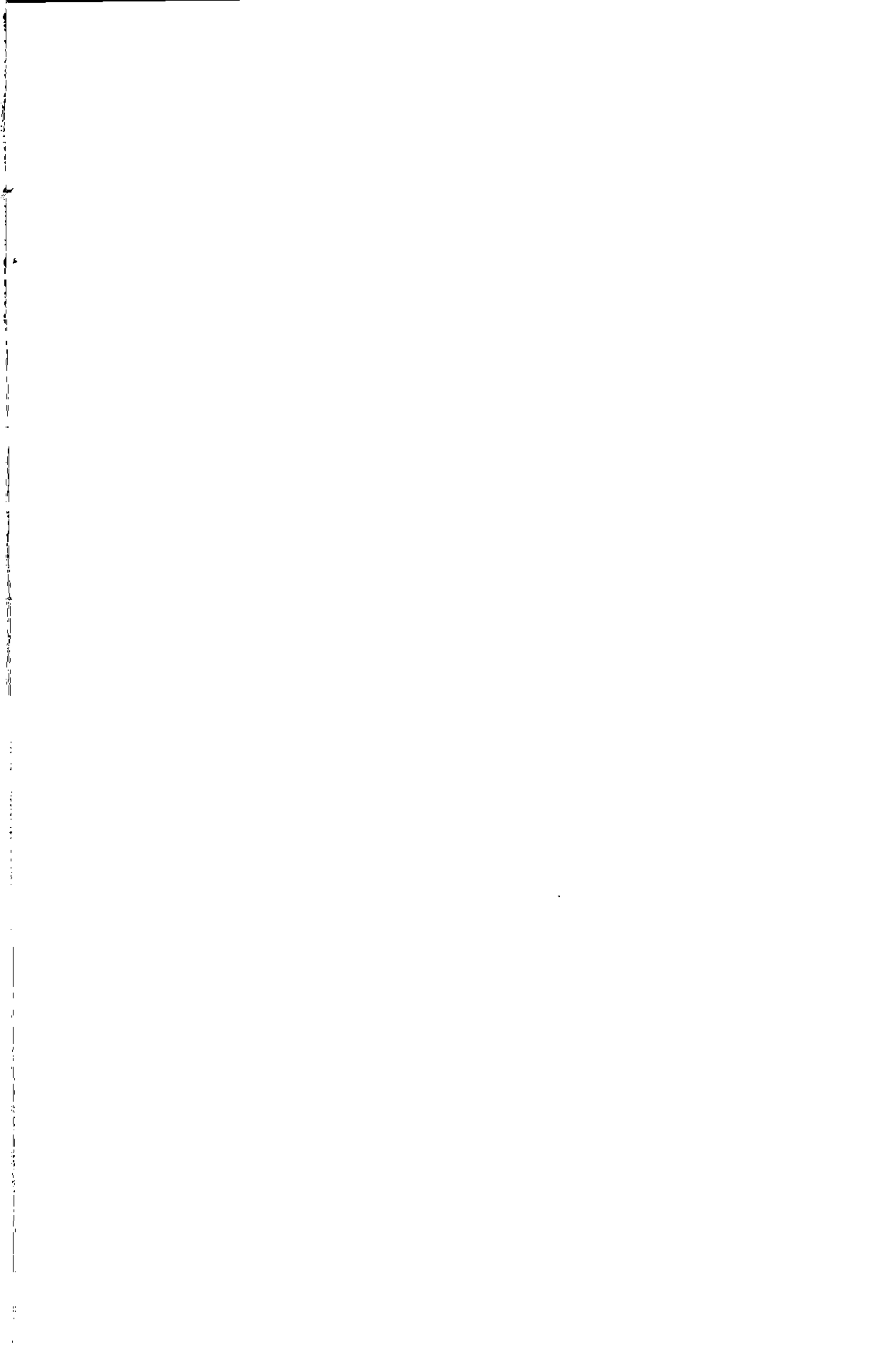
Wilkinson, J. C., "The Ibdi Imama", **B.S.O.A.S,** Vol. 39 (1976),pp. 535-51.

"The Julanda of Oman", **J. of Omani Studies,** London-Muscat (1976), pp. 97-108.

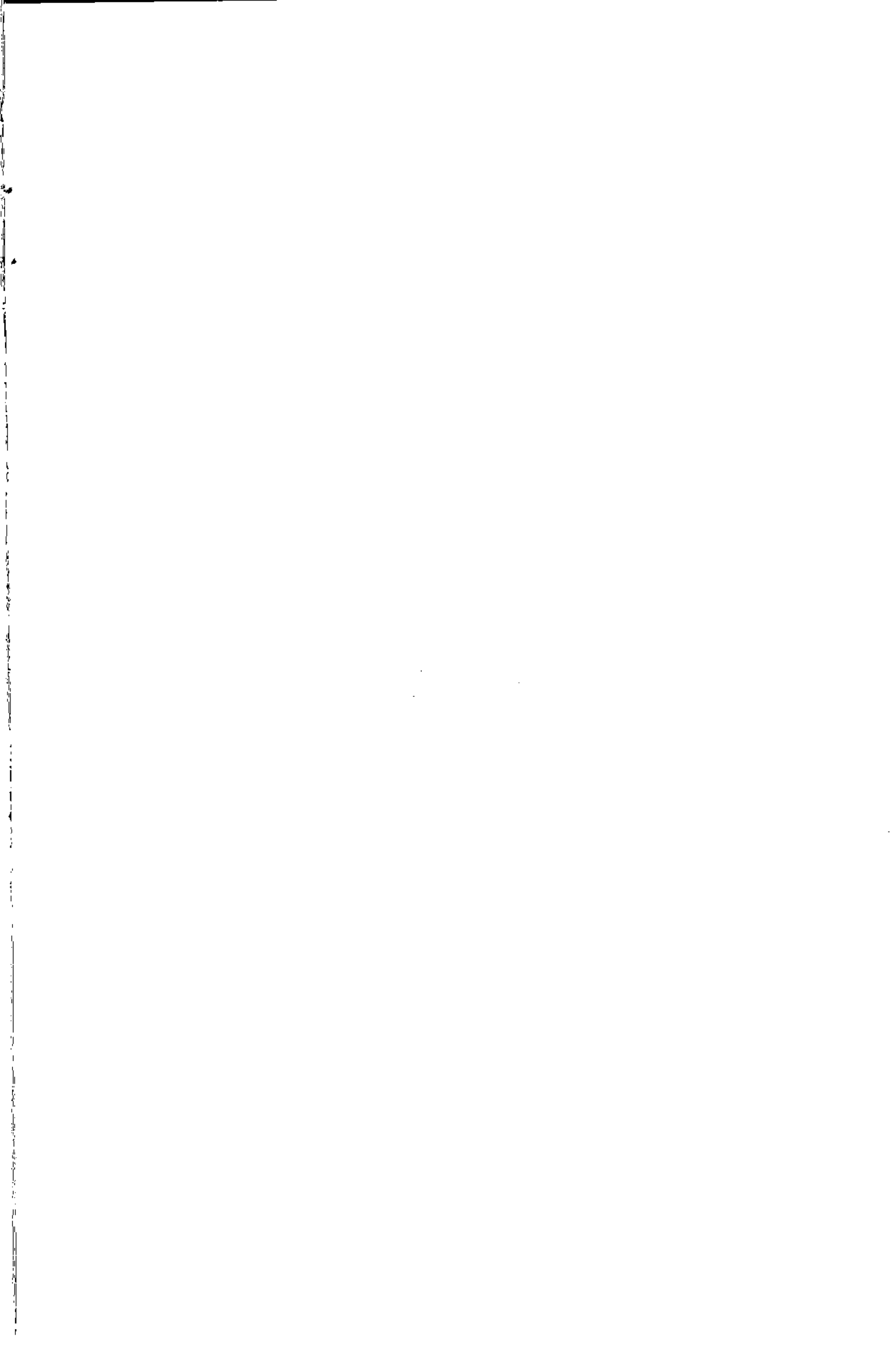
Wilkinson, J. C., "Bio-bibliographical Background to the crisis period in the Ibadi Imamate of Oman", **Arabian Studies,** Vol. 3, pp. 137-164.

Wilkinson, J. C., "Sources for the Early History of Oman",unpublished paper read in **the first International Symposium on studies in the History of Arabia,** University of Riyad, 1977.

Wilkinson, J. C., "The Origins of the Omani State", in **The Arabian Peninsula,** ed. by D. Hopwood, 1972, pp. 67-88.



الفهارس العامة



فهرس الشعوب والقبائل والفرق والدول

فهرس الاماكن

فهرس الأشخاص

ا

ح

خ

د

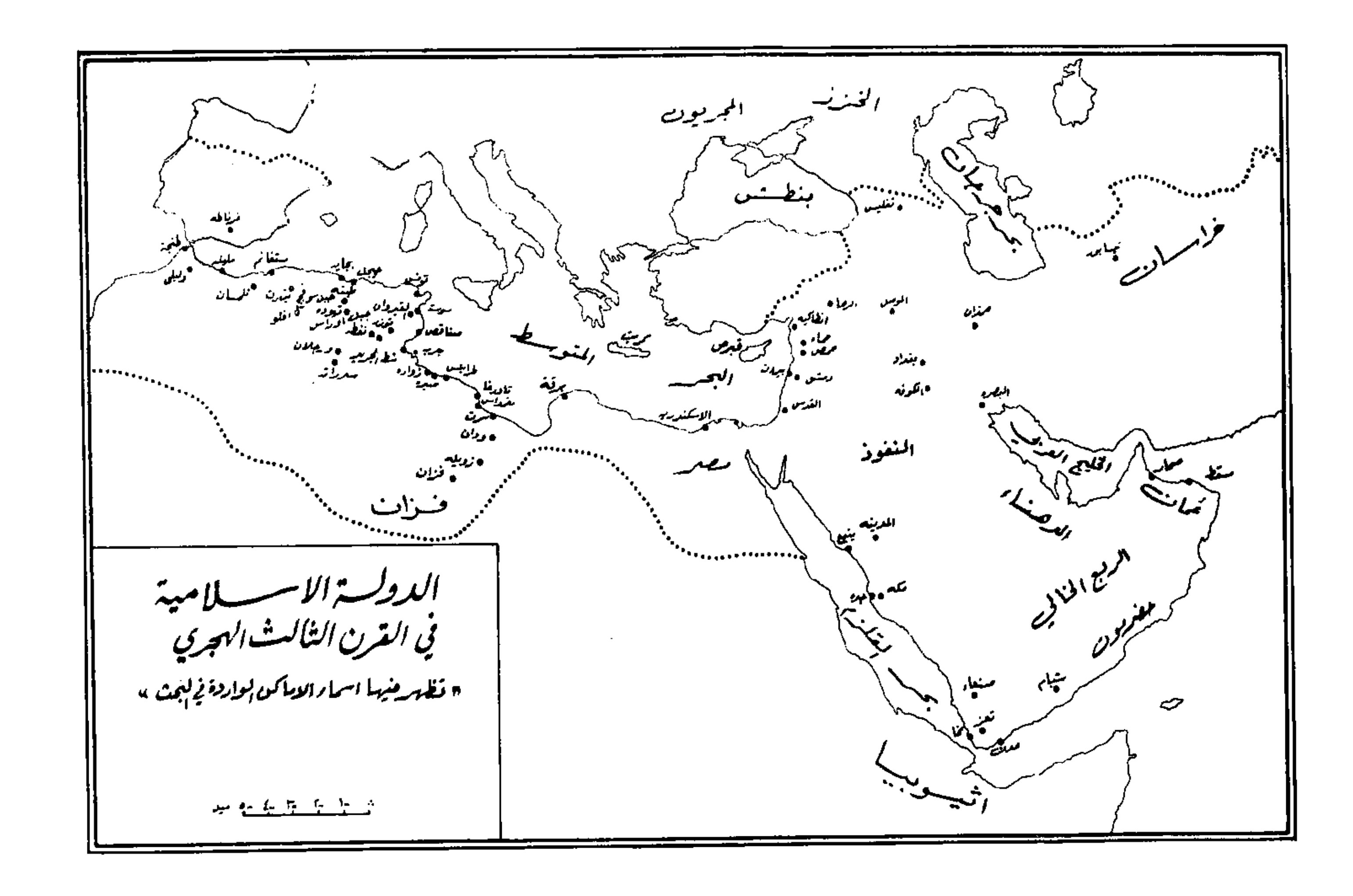
ش

ص

ض

ط

ع



الدولة الاسلامية
في القرن الثالث الهجري
« تظهر فيها اسماء الاماكن الواردة في البحث »
الخزر
الجريون
بنطس
بحر جرجان
خراسان
المتوسط
البحر
مصر
فزان
النفوذ
الدهناء
الخليج العربي
عمان
الربع الخالي
مهريون
البحر الأحمر
اثيوبيا



ص.ب:٦٦٨
الرمز البريدي:١١٣ مسقط
سلطنة عمان

رقم الإيداع:٢٠٠٢/٢٤٣

المطابع الذهبية ٦٩٩٩٧٢